على العهد

على العهد: رواية
الكاتب: يارا العيسوي
تصميم الغلاف: محمد عمارة
تدقيق وإخراج فنيّ: الباشا عبدالباسط
الطبعة الأولى: 2017
رقم الإيداع: 2017/17536

دار بنت الزيات للنشر والتوزيع :Facebook Page
E_mail: bentelzayat1@gmail.com
Website: www.bentelzayat.tk

رئيس مجلس الإدارة / د. شاهندة الزيات

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©
لدار بنت الزيات
المشهرة قانونًا بسجلّ تجاريّ رقم / 49351

على العهد

رواية

يارا العيسوي

كلمة الناشر

✍ الحلم مثل الحب، لا يمكن أن يفهمه إلا من مرَّ به وعاشه، فالطموح معقودٌ لديك في الوتين، إن وجدته وعثرت عليه..

تمسك به ولا تترك أطرافه، فالطرف عادة هو ما سيصل بك إلى طريق إنقاذك من الجهل والاندثار. فالقراءة ارتقاء، والحروف عطاء، ولكي تجعل لك قيمة..

لا تنحن رغم أي ظروف، ولا تطأطئ رأسك لليأس، واغزل من الإصرار الأمل في الله قلائد من لؤلؤ، تتزين بها على مدى خطواتك.

د/ شاهندة الزيات

الفصل الأول

- ما تسيبنيش يا بابا.

- صدقيني يا بنتي غصب عني.

- والله مش هازعَّلك تاني ولا هازعَّل ماما تاني، وما عدتش هاتخانق مع سارة، بس ما تسبنيش هنا.

* * *

- دوري على أختك يا سارة.

- هتقوم يا بابا بالسلامة وهندور عليها سوا.

- خلي بالك من نفسك يا بنتي، أنا هاموت، وأنا متطمن إني هاسيب ورايَا ذرية صالحة تدعيلي.

- بابا عشان خاطري ما تقولش كدا.

- لما تلاقي أختك قولي لها تسامحني، وعرفيها إني كنت بحبها قوي.

- بابا ما تسيبنيش أنا ما ليش غيرك.

- أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله.

- بابا!

* * *

صدقيني..

دي بس البداية، من النهار دا هيبدأ العد التصاعدي للأيام السودا في حياتك، وفري دموعك؛ لأنك هتحتاجيها قوي، بس مش دلوقتي، صدقيني هتتمني الموت ومش هتلاقيه، وعد مني هادفعك تمن يُتمي عشرين سنة، عشتهم في حرمان وعذاب وشقا واستحملت بس عشان اليوم دا، اليوم اللي أروي فيه قلبي بدموعك دي،

نامي كويس قوي؛ لأن السهر هيبقى كتير الفترة الجاية يا ... يا أمي!!

الحكاية ابتدت من 20 سنة، يوم ما بابا رجع من الشغل قبل ميعاد خروجه...

- السلام عليكم

- وعليكم السلام، إيه اللي جابك بدري؟

بابا ما كانش خايف من اللي حصل قد ما هو خايف من رد فعل ماما، وبعد إصرارها قالها إن المصنع اتباع لواحد استغنى عن العمالة كلها، وبالفعل حصل اللي كان خايف بابا منه، والدنيا اتقلبت عندنا في البيت...

- تقدر تقول لي هنعيش منين، فضلت تزن عليَّ بالخلفة ومشيت وراك وبعدين؟! تقدر تقول لي هنأكل بناتك منين؟؟

- ربنا هيرزقنا برزقهم.

- دا اللي انت فالح فيه؛ ربنا هيرزقنا برزقهم، وآدي الرزق انقطع تقدر تقول لي هناكل ونشرب منين؟

بابا كان متوقع كل اللي ماما عملته، بس اللي عمره ما توقعه هو قرارها اللي غير حياتنا كلنا...

- هي كلمة، بنت واحدة كفاية علينا قوي.

- إزاي عايزاني أرمي بنتي في ملجأ!!

- أنا ما عنديش كلام تاني، من بكرة تاخد واحدة منهم وتوديها الملجأ، ومن لحظتها هي بالنسبة لنا ميتة.

في الحقيقة ماما ما كانش يفرق معاها مين تمشي ومين تبقى، أصلًا ماما ما كانتش بتعرف تفرَّق بينْنَا، إحنا مش بس شبه بعض في الشكل، لأ إحنا شبه بعض في كل حاجة..

حتى في الفستان اللي كنّا لابسينه يومها؛ فأصبح الموضوع بالنسبة لنا موضوع قرعة مين فينا هتفضل؟ مين هتمشي؟ دي قضية القدر حسمها وقتها، ومن يومها ابتدي حظي السيئ، فلقيت ماما بتلبّسني وبتديني لبابا، ولقيت نفسي في ثانية قدام باب ملجأ، مش فاكرة وقتها بابا قال إيه بالظبط -أو بمعنى أصح- ما فرقش معايا وقتها من كلامه غير حاجة واحدة بس...

- سامحيني يا بنتي، إنتِ بتدفعي تمن غلطة أبوكِ غلطها زمان، أبوكِ يا بنتي عارف إن الرسول قال "فاظفر بذات الدين" وما سمعش كلامه ودوَّر على الجمال وآدي النتيجة..

- طيب ليه يا بابا ما سمعتش كلام الرسول؟ مش حضرتك قلت لي لو مشيت وراه مش هاغلط أبدًا؟

- يا ريتني قلت لنفسي الكلام دا قبلك يا بنتي، أنا مش عارف هاشوفك تاني ولا لأ ياحبيبتي، بس عايز أقول لك حاجة اوعي تنسيها.

- اتفضل يا بابا

- دايمًا خلي بينك وبين ربنا خيط، ودايمًا يا بنتي خليه مرن وقوي؛ عشان مهما بعدتِ عنه لازم في الآخر هترجعي لرضا ربنا تاني، وساعتها هابقى متطمن عليكِ، وخليكِ دايمًا على العهد دا واعرفي إن بابا بيحبك قوي.

وسابني بابا هناك لوحدي ومشي، ومن يومها اتيتمت بسببها هي!

مع الأيام نسيت، نسيت تربيتي، ونسيت صلاتي.. نسيت كل اللي بابا رباني عليه، بس عمري ما نسيت العهد اللي بينْنَا و لا عمري خلفته، وبالرغم من كل الضلال اللي بقيت فيه خليت بيني وبين ربنا خيط، وزي ما بابا قال خليته قوي ومرن وعلى أمل إن بعد كل اللي أنا فيه يرجعني لطريق ربنا مرة تانية، وعلى

الرغم من إنه صعب جدًا أحافظ على الخيط دا وسط حياتي اللي بقيت فيها، بس أنا هافضل دايمًا على عهدي مع بابا وعمري ما هاخلفه، عشان كدا خليت الخيط مع ربنا هو إني...

- "ياسمين!"

قالتها صديقتها، وهي تدلف غرفتها سريعة؛ فأخفت ياسمين ما تكتب، ثم تلعثمت قائلة:

- حرام عليكِ يا "نيرة "خضيتيني.

- إيه دا يا كسلانة لسَّا ما لبستيش؟

- أنا مش هاقدر أنزل الشغل النهار دا يا نيرة؛ تعبانة قوي من سهرة امبارح وعايزة أنام.

- لا متنزليش إيه! دا صاحبنا تحت في الصالة وقدامه شوية وهيتجنن

ابتسمت ياسمين بخبث، فجلست أمامها نيرة قائلة:

- حرام عليكِ يابنتي، الراجل قدامه شوية وهيتجنن عليكِ

- طب وأنا أعمل له إيه يعني؟

- يعني إنتِ مش عارفة هو عايز إيه؟

تحولت نبرتها للغضب قائلة بصرامة:

- نيرة! قلت لك ما تتكلميش بالطريقة دي تاني، ولا تتكلمي في الموضوع مرة تانية.

- نفسي أعرف ليه كل ما أجيب لك سيرة الموضوع دا تتعصبي كدا، يا بنتي دا مستعد يدفع لك قد اللي بناخده كلنا في سنة مقابل ليلة واحدة بس

- ولو فلوس الدنيا دي كلها برضه مش هيلمسني.

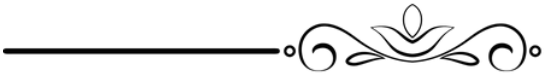

- ياباي عليكِ يا ياسمين، هو فيه حد يا بنتي يرفض السعادة برضه؟!

- لو دي سعادتكم خليها لكم.

- أنا بس نفسي أعرف البوص ساكت عليكِ إزاي؟!

- هيعمل إيه يعني؟ هيشغلني بنت ليل بالغصب ولا إيه؟

- هههههه وبيعمل أكتر من كدا إلا معاكِ إنتِ، هاموت وأعرف ليه؟! عمومًا البوص بيقول لك تنزلي الصالة النهار دا، يلا سلام.

زفرت ياسمين بضيق، ثم جلست فأخرجت أوراقها، واستأنفت الكتابة...

* * *

الفصل الثاني

- هيعمل إيه يعني؟ هيشغلني بنت ليل بالغصب ولا إيه؟

- هههههه وبيعمل أكتر من كدا إلا معاكِ إنتِ، هاموت وأعرف ليه؟! عمومًا البوص بيقول لك تنزلي الصالة النهار دا، يلا سلام.

زفرت ياسمين بضيق، ثم جلست فأخرجت أوراقها، واستأنفت الكتابة ... أظن كدا عرفتو إيه هو الخيط اللي اختارته عشان يكون بيني وبين ربنا، وعارفة إنه ربنا هيحافظ لي عليه، والدليل على كدا إن أنا الوحيدة اللي صاحب الشغل عمره ما غصبها على حاجة، على طول يقول لي لو فلوس الدنيا كلها قدامي عمري ما هاخليكِ تعملي حاجة غصب عنك، بصراحة مش عارفة ليه؟! بس أنا عارفة إنه ربنا برحمته هيفضل محافظ على الخيط دا،

وما تستغربوش إني بتكلم بالطريقة دي رغم إني شغالة في كباريه، هتعرفوا إيه اللي وصلني لكدا، وهتعرفوا إنها السبب في كل اللي أنا فيه دا، أنا عارفة إن الخيط دا هيرجعني لربنا، بس مش دلوقتي...

مش قبل ما آخد حقي منها ومن بنتها واشوفهم بيتعذبوا زي ما انا اتعذبت وقتها بس هارجع ياسمين أيام ما كان عندها 5 سنين على تعاليم بابا وتربيته وعلى عهدي معاه،أنا هاسيبكم شوية عشان أجهز وأنزل لصاحبنا، ومش محتاجة أكلمكم عن صاحبنا؛ هتعرفوا هو مين كمان شوية.
- السلام عليكم، مساء الخير يا ماما.

- وعليكم السلام، اتأخرتي ليه يا سارة؟

قبَّلت سارة يد والدتها، ثم جلست جوارها قائلة مبتسمة:

- لسَّا مخلصة محاضراتي من شوية وكنت باشتري ملزمة وباصور ورق مهم، بس خلصت وجيت على طول يا قلب سارة عشان واحشاني.

- يا بت يا بكاشة!

- والله مش بكش يا قلبي، بس واحدة وبتحب أمها،فيها حاجة دي؟

- هههههههه لا يا لمضة ما فيهاش حاجة، قومي بقى غيري وصلي عقبال ما أحضّر العشا.

- ماشي يا مامتي.

وقفت سارة، فهمّت بالذهاب ولكنها توقفت فجأة، ثم عادت فجلست جوارها قائلة بحنان:

- اللي في عيونك دي دموع مسحتيها أول ما دخلت مش كدا؟

تلعثمت والدتها قائلة:

- ها؟ لا يا حبيبتي، دا أنا كنت...

- الظابط ما قالّكيش أي حاجة عنها؟

سالت دموعها على وجنتها قائلة:

ما عرفش يوصل لأي حاجة، أنا حاسة إني عمري ما هاشوفها تاني!

- لا ياحبيبتي ما تقوليش كدا، إن شاء الله هنوصل لها.

- أبوكِ مات وهو غضبان عليَّ، وأنا عارفة إني لو لقيت ياسمين وسامحتني أبوكِ كمان هيسامحني، وقتها بس هاقدر أموت وأنا مش خايفة من عقاب ربنا.

- حبيبتي صدقيني هتلاقيها، وأنا إن شاء الله بكرة هاروح الملجأ اللي كانت فيه، أكيد هالاقي حاجة.

- أنا كل شهر هناك وما حدش بيوصَّلني لحاجة.
- أنا حاسة إني بإذن الله هاوصل بكرة لحاجة.
- يارب يا بنتي.
- يارب يا حبيبتي، صحيح جبتِ النقاب الأبيض اللي قلت لك عليه؟
- آه يا حبيبتي عندك جوا، بس ما إنتِ طول عمرك مش بتلبسيه غير أسمر، إشمعني المرة دي؟
- بصراحة عندي فرح، وما ينفعش الكل يبقى أبيض في أبيض، وأبقى أنا حجر النرد اللي في الوسط.
- هههههه طب يلا يا لمضة قومي صلي عقبال ما أحضر العشا

* * *

- لو عايز فيها مليون جنية هاديلك

قالها صاحبنا -كما تسميه ياسمين- بانفعال وجدية، فضحك أحدهم قائلًا:

- يااااه!! مليون جنية عشان ليلة واحدة؟

شادي! أنا مش باهزر، أنا عايزها، وأنا بقى ما تعودتش أكون عايز حاجة وما آخدهاش.

جلس على المقعد أمامه قائلًا ببرود:

- هي اللي مش عايزة، هاغصبها يعني؟

- يا سلام! وإشمعني دي بقى إن شاء الله؟

- لأنه دا كان شرطها لما عرضت عليها الشغل إنه آخر شغلها في الصالة، وأنا وافقت.

- ووافقت ليه بقى إن شاء الله؟

- ما كانش ينفع أضيع جمال كدا من إيدي، ياسمين بتشتغل في اليوم قد باقي البنات كلهم، بس برضه من غير ما حد ياخد منها حاجة.

ضحك بسخرية قائلًا:

يعني عايز تقنعني إن حضرتها بِكر وطول السنين اللي فاتت دي في شغلها هنا ما حدش لمسها؟

ابتسم شادي قائلًا:

- عارف إنك هتستغرب، بس دي الحقيقة.

قطب صاحبنا حاجبيه بذهول وقبل أن يتحدث، سمعا صوت طرقات على الباب، فقال شادي:

- اتفضل

دلفت ياسمين مبتسمة، فوثب من مكانه ناظرًا إلى فستانها الأسود وخصلاتها الناعمة وعينيها العسليتين بذهول، فمدت يدها قائلة بصوت رقيق:

نورتنا يا "خالد بيه".

ابتسم خالد وصافحها قائلًا:

- هو فيه جمال كدا؟

ابتسمت ياسمين برقة، فقال شادي:

- أستاذ خالد جاي لك مخصوص يا ياسمينة.

نظرت إليه بمكر قائلة:

دا شرف ليَّ إنه خالد بيه ييجي لحد هنا عشان يشوفني أنا.

ابتسم خالد فنظر إليه نظرة فهمها، فتنحنح قائلًا:

طيب هاسيبكم شوية، هاروح أشوف الصالة وأرجع لكم.

ابتلعت ياسمين ريقها حينما خرج وأغلق الباب، فنظرت إلى خالد بتوتر لتجده يبتسم لها ابتسامة اعتادتها وكرهتها، فقال الأخير ممسكًا يدها:

- عايز أتكلم معاكِ شوية.

سحبت يدها سريعًا قائلة بتوتر:

- اتفضل.

- طب هنتكلم وإحنا واقفين يعني؟

جلست ياسمين على المقعد أمامه، محافظة على بسمتها المصطنعة قائلة:

- أؤمرني يا خالد بيه.

- بلاش خالد بيه دي، أنا مش كبير للدرجة دي.

ابتسمت بخبث، فقالت بجرأة:

أؤمرني يا ... يا خالد.

ابتسم خالد، فنظر إلى أسفل قليلاً، ثم تلعثم قائلًا بجدية:

ياسمين.

- نعم!

- تتجوزيني؟

*** * ***

الفصل الثالث

- نيرة! تعالي ثانية واحدة.

قالها شادي بضيق لنيرة فهرولت الأخيرة تجاهه، وقالت مبتسمة:

- خير يا بوص؟

- خالد مع ياسمين جوا في مكتبي، قال إنه عايزها في موضوع

ابتسمت بمكر قائلة:

- طب وأنا مالي؟

- النهار دا قبل ما تنامي تعرفي لي منها كان عايزها في إيه.

- طب ودا يهم حضرتك في إيه؟

- نيرة! إنتِ تعملي اللي باقول لك عليه وبس.

- طب وحضرتك ما تسألهاش ليه؟

- مش هتقول لي كل حاجة لكن إنتِ صاحبتها، نيرة أنا مش هانام النهار دا لحد ما تكلميني.

قالت نيرة ببراءة (مصطنعة طبعًا):

- طب ما حضرتك لو تفهّمني ممكن أقدر أساعدك.

نظر شادي إلى أسفل قليلاً مفكرًا، ثم قال بجدية:

- لما تعرفي لي كان عايزها في إيه هاقول لك.

- النهار دا بالليل الأخبار كلها هتكون عندك يا بوص.

- تمام.

* * *

- ياسمين! بس اسمعيني، ما ترفضيش وخلاص.

قالها خالد بتوسل لياسمين، فوقفت الأخيرة قائلة بغضب:

- أستاذ خالد! ممكن أسألك سؤال؟

وقف قائلًا بترقب:

- اتفضلي

- عايز تتجوزني ليه؟ أكيد واحد معروف في البلد زي حضرتك مش هيسيب كل البنات اللي بيتمنوا منه إشارة وبيجي يتجوز واحدة من كباريه مش كدا؟

نظر خالد إلى أسفل دون أن يتحدث، فأردفت:

- أنا أقولك انت عايز تتجوزني ليه ... ببساطة عشان ماعرفتش تاخد اللي جابك هنا دلوقتي بسهولة في الحرام فعايز تاخده في الحلال، وفاكرني هبلة وهافرح بعرضك اللي مش هيخليني أفرق عن أي بنت ليل.

قطب حاجبيه، فتابعت:

- ما جواز المتعة برضه حرام على فكرة دا لو ما كنتش حضرتك تعرف يعني.

نظر إليها بصدمة، ثم قال بذهول:

- حرام! بتتكلمي عن الحلال والحرام؟

- إسمع يا أستاذ خالد، أنا ممكن أعمل أي حاجة حرام تتخيلها ومش هيبقى فارق معايا؛ لأني مشيت في الطريق دا -ماشي مش بمزاجي- لكن برضه مشيت فيه، بس لازم تعرف إني عمري ما هاخلي حد يلمسني، دا عشان تختصر على نفسك الطريق وما تفكرش في حاجات تانية

اقترب منها خالد قائلًا بصوتٍ منخفض:

- ياسمين أنا مش هاسيبك، أنا عايزك مراتي، أنا عمري ما تخيلت إن لسَّا فيه في الدنيا بنت زيك...

فتلعثم وأكمل:

- بنت لسَّا ما حدش لمسها!!

ابتسمت ياسمين بحسرة قائلة:

- وهي دي الحاجة الوحيدة اللي اخترتها بمزاجي في الدنيا، أستاذ خالد، عرض حضرتك مرفوض.

قالتها وهمت بالذهاب، ولكن استوقفها صوته قائلًا بغضب:

- مش أنا اللي أعوز حاجة وما آخدهاش يا ياسمين، أنا هابقى أول واحد يلمسك -سواء بمزاجك أو غصبًا عنك- وتقدري تعتبري دا وعد مني، مش هيلمسك غيري أنا.

أخذت تدير عينيها هنا وهناك بتوتر ودون أن تستدير إليه ... أكملت طريقها فخرجت من المكتب، وهرولت إلى غرفتها وجلة خائفة مضطربة.

* * *

السلام عليكم

- وعليكم السلام، إزيك يا هندسة؟

- هههههه إزيك يا يويو؟

- الحمدلله يا ست سارة، عاش من سمع صوتك.

- وحياة ماما؟ دا على أساس إني مش لسَّا سايباكي في الجامعة بتلمي حق التاكسي.

- هههههه طب اقفلي يا سارة أحسن لك.

- يا بت بقى اسمعي.

- عايزة إيه يا سارة في يومك دا؟

تحولت نبرة صوتها إلى الجدية قائلة:

- إيه؟ إنتِ قلتِ لي قبل كدا إن جدك كان مدير ملجأ كبير هنا في البلد.

- ذاكرتك حلوة.

- اسمه إيه الملجأ دا؟

- ليه؟

- اخلصي يا حشرية.

- مش فاكرة والله يا سارة، جدو ساب الملجأ من زمان، تحبي أسألهولك

- هو إنتِ هتسألية، بس بعد ما أعمل حاجة كدا.

- حاجة إيه؟

- وانتِ ما لك يا رخمة، دا إيه دا ياربي؟

- بقى كدا؟ ماشي يا ست سارة، طنط عاملة إيه؟

- عاملة لي صينية بطاطس بس إيه حاجة واااو!

- بطاطس! الله! طب ما فيش عزومة؟

- ألو ... إيه ... ألو، الحمد لله يارب، الشبكة بتقطع، سلام دلوقتي وأكلمك السنة الجاية.

- هههههه آه يا ندلة! ماشي يا سارة من حق اللي طابخ بطاطس يدلع

- هههههه طب يلا سلام يا يويو.

- سلام ياقلبي.

* * *

- يا نهارك فحلقي! رفضتِ يعني إيه؟

قالتها نيرة منفعلة في غرفتها لياسمين، فضحكت الأخيرة بمرح قائلة:

- رفضت يعني ما وافقتش.

- عسولة قوي، وليكِ عين تهزري كمان؟

- وما اهزرش ليه يا نونو والموضوع أصلًا كله لعبة؟

- لعبة! يابنتي إنتِ هتشلّيني! عارفة يعني إيه حرم خالد صفوت؟ يعني دخلتِ التاريخ!

- لو كنت قبلت، اللقب دا كان هيفضل يومين إتنين، بكتيره قوي أسبوع يكون شبع مني وأرضى غروره وبعدها يرميني.

- وليه ما يكونش بيحبك؟

ضحكت ياسمين عاليًا ثم قالت:

- خالد صفوت مش عايز مني غير اللي أنا وانتِ عارفينه وبس، ما فيش حد بيحب حد بيكون عايزه ليلة واحدة مستعد يدفع قدامها مليون جنية، عمومًا كبّري واقفلي الموضوع دا.

- وانتِ فاكرة إنه هيسيبك؟ هههههه تبقي بتحلمي، العالم اللي زي دي بتاخد اللي هي عايزاه سواء بالرضا أو بالغصب حتى.

لحظتها تذكرت كلماته التي تحاول نسيانها بشتى الطرق؛ لتنزع الخوف من قلبها "مش أنا اللي أعوز حاجة وما اخدهاش يا ياسمين، أنا هابقى أول واحد يلمسك سواء بمزاجك أو غصبًا عنك وتقدري تعتبري دا وعد مني،مش هيلمسك غيري أنا "فابتلعت ريقها قائلة بجدية مصطنعة:

- مش هيقدر يعمل لي حاجة.

- هههههه إنتِ عارفة إنه مش هيسكت.

نظرت ياسمين إلى أسفل دون أن تتحدث، فتنحنحت نيرة قائلة:

- أنا هاقوم أنزل أشوف البنات خلصوا ولا لسَّا.

- بس إحنا شغلنا خلص! هتنزلي ليه دلوقتي؟

تلعثمت نيرة فقالت بتوتر:

- الشغل كان كتير قوي في الصالة النهار دا، هانزل أشوفهم خلصوا ولا لأ.

- طب ما تتأخريش.

- ماشي يا ياسمينة سلام.

خرجت نيرة فرفعت ياسمين رأسها قائلة بضيق وبصوتٍ منخفض -ولكنه مسموع-:

- اللي حصل دا ما كانش في الحسبان خالص، بس لأ مش هاسمح لحاجة تبوظ اللي فضلت 20 سنة مستنياه، مش هاسمح لحاجة تقف في طريق انتقامي -حتى لو كان خالد صفوت نفسه-

ثم مسحت بيديها على وجهها وأخرجت أوراقها واستأنفت الكتابة...

*** * ***

الفصل الرابع

- يتجوزها! هي قالت لك كدا؟

قالها شادي بغضب وانفعال في مكتبه، فقالت نيرة سريعًا:

- اهدى يا أستاذ شادي، ياسمين ما وافقتش.

قطب حاجبيه بذهول قائلًا:

- ما وافقتش!

- أنا برضه استغربت زي حضرتك كدا، بس ياسمين ما فرقش معاها عرضه أبدًا، ولا حتى بتفكر فيه، رفضت والموضوع انتهى بالنسبة لها.

زفر شادي بأريحية، فجلس ثم قال:

- بس تفتكري الموضوع ممكن ينتهي بالنسبة له؟

- ما افتكرش يا بوص، أنا خايفة عليها قوي، ياسمين ما لهاش حد، يعني ممكن بسهولة يأذيها.

قال شادي بغضب وانفعال:

- دا يبقى آخر يوم في حياته يوم ما يفكر يأذيها.

ابتسمت نيرة بخبث قائلة:

- نبدأ بقى من هنا وتقول لي ليه بتعمل عشانها كل دا؟

جلس شادي متوترًا، فتلعثم قائلًا بصوت متقطع:

- إنتِ ... إنتِ عارفة ياسمين مهمة في الشغل إزاي وزباين الصالة بتطلبها بالاسم، ما ينفعش أضيعها مني ... قصدي يعني ما ينفعش أضيعها من عندي هنا لأن ... لأن الشغل كله هيبوظ وهنخسر كتير

ابتسمت بخبث قائلة:

- وبس؟

وقف شادي، فأشعل سيجارته واتجه ناحية النافذة قائلًا:

- ياسمين في شغلانتنا كنز ما ينفعش نضيعه يا نيرة، يلا روحي على أوضتك ونامي كويس؛ عشان بكرة بليل عندك شغل.

زفرت نيرة بضيق، ثم قالت بصوتٍ منخفض:

- بس أنا تعبانة ومش هاقدر أشتغل بليل.

قال شادي بصرامة دون أن ينظر إليها:

- دا رجل أعمال سوري شافك وعجبتيه، طلبك بكرة في الجناح بتاعه وهيدفع كتير، أقول له إيه؟ أقول له ما علش مش هينفع عشان الهانم تعبانة؟ على أوضتك، والساعة 9 بالليل تكوني جاهزة.

قالت نيرة بصوتٍ مختنق منخفض:

- حاضر.

خرجت نيرة من مكتبه، والدموع مترقرقة في عينيها، قائلة في نفسها: نفسي أعرف هي أحسن مني في إيه يخليه عمره ما غصبها على حاجة؟!

* * *

اللي كنت فيه ما كانش ملجأ أكتر من كونه سجن، بس سجن من غير مدة عقوبة محددة أصلًا، هو سجن من غير عقوبة، سجن الأطفال بيدفعوا فيه تمن حاجة ما عملوهاش، قضيت هناك أسوأ خمس سنين في حياتي لحد ما بقى عندي 10 سنين، وقتها كنت مميزة عن كل البنات بلوني الأبيض وعيوني العسلي وشعري البني، واللي كنت باحس بيهم بشيء من التميز والجمال،

وبرضه سبب كرهي من بعض البنات، بس ما مرش كتير لحد ما اكتشفت إن كل دا هيبقى سبب تعاستي وعذابي في حياتي، وكل دا بدأ يومًا ما...

سمعت ياسمين صوت طرقات الباب، فأخفت ما في يدها ونهضت لتفتح، فدلفت نيرة وارتمت على الفراش وانهمرت في البكاء، فأغلقت ياسمين الباب، وهرولت ناحيتها قائلة بقلق:

- حبيبتي ما لك؟

ارتمت نيرة بين يديها، فاحتضنتها بشدة.. مسحت ياسمين على رأسها حتى هدأت، فقالت ياسمين بحنان:

- فيه إيه يا حبيبتي إيه اللي حصل؟ إنتِ نازلة من هنا كويسة! أستاذ شادي قال لك حاجة تزعلك؟

قالت نيرة بصوتٍ متهدج:

- قالي إنه فيه رجل أعمال سوري شافني وعجبته وطالبني بكرة بليل.

زفرت ياسمين بضيق، فنظرت إلى أسفل بحزن، ثم تلعثمت قائلة بصوت منخفض:

- ما تزعليش مني يا نيرة، بس دي مش أول مرة، إيه اللي جد؟

قالت نيرة باكية بانفعال:

- اللي جد إني تعبت يا ياسمين، كل حاجة فيَّ تعبتني، إنتِ مش متخيلة اللي بيحصل لي أنا واللي زيي، إحنا بنكون معاهم ميتين، ميتين اشتروا جثثهم بفلوسهم، وكأننا جماد بيعملوا فينا اللي همَّ عايزينه، بنتعب وبنبقى بنموت، بس أول ما بنشوف الفلوس بنفرح وبننسى، وبيتكرر العذاب والفلوس بتنسينا، وهي دي حياتنا. صدقيني يا ياسمين إنتِ ربنا بيحبك؛ عشان كدا رحمك من اللي إحنا فيه.

سالت دموع ياسمين، فقالت بصوت مختنق:
- وإيه اللي جابرك على كدا؟
ابتسمت نيرة ببؤس وقلة حيلة قائلة:
- هاروح فين؟ أبويا مات وأمي باعتني لشادي وبتمني اتزوجت.
- باعتك لشادي؟ يعني إيه؟
قامت نيرة فاتجهت ناحية النافذة، ونظرت إلى الفراغ بشرود فتابعت:
- أي بنت جات هنا شادي اتقدم لأهلها، وطبعًا أهلها بيبقوا فقراء لدرجة إنهم يبيعوا نفسهم -مش بس عيالهم- وأنا كنت واحدة من ضمن البنات دول، وزي ما بيحصل مع كل البنات بيفضل شادي سمنة على عسل لحد ليلة الدخلة، وبعد ما يرضي رجولته بتكون البنت دي مطلقة، وبتتحول في ثانية لبنت ليل الصبح تشتغل في الصالة، وبالليل مع اللي يدفع أكتر.
وقفت ياسمين جاحظة العينين، واضعة يدها على فمها، فابتعلت ريقها قائلة بصوتٍ وجل:
- مستحيل شادي يعمل كدا، أنا عارفة إنه وحش، بس مش للدرجادي!
- إنتِ لحد دلوقتي ما شُفتيش منه غير وشه الحلو اللي ما حدش عارف سببه معاكِ إنتِ بالذات ليه حتى شادي نفسه، بس صدقيني يا ياسمين هييجي اليوم اللي هيطلبك فيه اللي مش هيقدر شادي يقول له لأ وساعتها هتبقي زينا.
غفت نيرة، وما زالت ياسمين في مكانها شاردة النفس مدمعة العينين، خائفة القلب لا ينقطع عن أذنيها صدى كلماتها "صدقيني يا ياسمين هييجي اليوم اللي هيطلبك فيه اللي مش هيقدر شادي يقول له لأ، وساعتها هتبقي زينا ... وساعتها هتبقي زينا"
قامت ياسمين سريعة، واتجهت ناحية النافذة قائلة في نفسها "مستحيل،

مستحيل أبقى زيهم، وجودي هنا مؤقت عقبال ما أستعد للي عايزة أوصل له، مستحيل أسيب حد يدمر لي حياتي ويخسرني عهدي مع بابا مستحيل،أنا ... أنا لازم أهرب من هنا في أسرع وقت، لازم!"

* * *

فى صباح اليوم التالي، ذهبت سارة مباشرة إلى الملجأ حيث ترك والدها ياسمين، قررت استخدام شخصيتها الحاسمة وأسلوبها الصارم مع مسؤوليه، فذهبت إلى هناك وطلبت أن ترى المدير؛ لتسأله عن أختها، فأجاب الأخير ببرود:

- والدة حضرتك كل شهر تيجي ونقول لها إن فيه شخص تبنى أخت حضرتك.

وقفت سارة قائلة بانفعال وصرامة أرعبته:

- وحضرتك بلَّغت مين قبل ما توافق على موضوع التبني؟ ولا الموضوع بقى موضوع فلوس؟

وقف قائلًا بصوت متهدج بتوتر:

- حضرتك إحنا ملجأ محترم وهدفنا نوفر للأطفال حياة كريمة.

- الكلام دا تضحكوا بيه على ضميركم اللي الفلوس بتنيمه، بس أنا لأ، القرار الأول والأخير في موضوع التبني بيرجع لأهل الطفل تقدر تقول لي حضرتك استأذنت مين قبل ما توافق على تبني ياسمين

تلعثم قائلًا بتوتر:

- والله سعادة البنت ما فيهاش استئذان، وبعدين ما انتو رميتوها، جايين دلوقتي؟؟

- والله دي حاجة ما تخصش حضرتك، وما لكش إنك تدخل فيها.
- واحنا عملنا كدا عشان مصلحتها، ما كانش لينا أي مكاسب مادية.. دا اللي عندي.
- تمام قوي .. الكلام دا بقى تقوله في المحكمة.

وقف سريعًا قائلًا بتوتر ووجل:

- محكمة!
- أيوة محكمة، إيه خفت ليه ما دام انتو في السليم؟

أطرق برأسه لبرهة، ثم ابتسم بخوفٍ قائلًا:

- آنسة سارة بس ممكن تقعدي وتهدي وكل اللي عايزاه هيتنفذ؟!

جلست سارة قائلة بصرامة:

- ياسمين فين؟
- صدقيني والله ما اعرفش حاجة عن الراجل اللي تبناها من ساعتها.
- برضه؟ يعني ما فيش فايدة مش كدا؟
- صدقيني والله دي الحقيقة.

زفرت سارة بضيق، سكتت لبرهة، ثم استأنفت حديثها:

- تعرف عنه إيه؟
- ما اعرفش غير إنه كان مدرس شاب معروف في البلد، بس ربنا ما رزقهوش بالأطفال؛ عشان كدا قرر يتبنى ياسمين.
- واشمعني ياسمين؟
- ياسمين كانت أجمل بنت موجودة في الميتم، كانت مميزة جدًا؛ عشان كدا أول ما شافها قرر يتبناها هي!

ابتسمت سارة بألم، ثم عادت إلى صرامتها ثانية قائلة:

- اسمه إيه؟

- اللي فاكره إنه كان اسمه أستاذ علي وما اعرفش عنه حاجة تانية، بس كان على علاقة قوية بالميتم لحد ما تبنى ياسمين، بعدها ما نعرفش عنه حاجة، ولأني كنت جديد ما اعرفهوش قوي، بس أكيد المدير اللي كان قبلي يعرفه كويس.

نظرت سارة إلى الفراغ بشرود، قائلة بصوتٍ مسموع:

- أستاذ علي!

...

- أستاذ علي، الاسم المثالي لشخصية تنم عن الالتزام والأخلاق وكل الصفات المثالية اللي مش موجودة فيه، ربنا ما رزقهوش بأطفال أو بمعنى أصح ربنا رحم أي طفل إنه يكون ابن شخص زي دا(مش كل الأطفال حظهم وحش زيي) خلونا في المهم، ممكن أختصر عليكم وأقول إنه أستاذ علي فضل يدور على خدامة وما لقاش؛ فقرر ياخد خدامة من الملجأ واهو بالمرة من غير مرتب يعني زي ما بنقول (تعمل بلقمتها) وأنا بقى كنت باطبخ بلقمتي وبامسح بلقمتي.. باتهان بلقمتي.. باتضرب بلقمتي، والظاهر كدا إنه بعد ما مراته ماتت قرر يتمتع بيَّ بلقمتي برضه، قعد شهر بعد ما مراته ماتت حنية الدنيا دي كلها فيه، استغربت قوي وقتها من حنيته الفجائية وعطفه الغريب عليَّ -حتى ما عادش بيخليني أعمل حاجة - بقى بيأكلني بنفسه وبيهتم بلبسي وأكلي وشربي بيسمِّني (يعني زي ما بيعملوا مع الدبيحة بالظبط) وكل يوم يجيب لي لبس أقصر من اللي قبله ومكشوف أكتر من اللي قبله، وأنا كنت طفلة عندي 10 سنين -وطبعًا مش متعلمة وما ليش أي خبرة بأي حاجة بتحصل في الدنيا- فكنت بافرح قوي باللبس وبالأكل وبالحنية اللي كان بيديهم لي، بس كنت باتضايق جدًا لما كان

بيظبط لي لبسي وبيتعمّد يحط إيده على دراعي و جسمي بحجة إنه بيظبط لي الهدوم ومن فرحتي بيها كنت باسكت وما باتكلمش، لحد ما في يوم لقيته جايب لي حاجة غريبة شُفتها مرة في التليفزيون على واحدة، بس عمري ما شُفتها في الحقيقة، اليوم دا كان يوم عيد ميلادي العاشر يومها دخل عليَّ مبسوط وناداني بدلعي اللي كرهته بسببه قال(ياسمينتي) تعالي بسرعة، جريت طبعًا عليه زي الهبلة ولقيته بيديني علبة جميلة وقال لي افتحيها جايب لك هدوم جديدة، فرحت جدًا وفتحتها بلهفة وخرجت منها أغرب هدية ممكن تيجي لطفلة في سني وهي...

* * *

الفصل الخامس

وفتحتها بلهفة وخرجت منها أغرب هدية ممكن تيجي لطفلة في سني وهي...

- صباح الخير

قالتها نيرة بتثاقل، فأخفت ياسمين أوراقها، فقامت قائلة مبتسمة:

- مساء النور يا كسلانة، الساعة بقيت4.

- إيه دا معقول أنا نمت كل دا؟

- يلا يا نونو قومي عشان نتغدى.

- آه والله يا ياسمينة إنتِ بنت حلال، دا أنا هاموت من الجوع.

* * *

- وعليكم السلام، إيه يا بنتي ما جيتيش الجامعة ليه؟

- إنتِ فين يا آية؟

- هاكون فين يعني! أكيد في الجامعة؟

- تمام، خلينا نتقابل قدام الجامعة.

- فيه إيه يا سارة مال صوتك؟

- آية بالله عليكِ بلاش أسئلة كتير، وكلمي جدك قولي له إننا هنروح له؟

- جدو! ليه؟

زفرت سارة بضيق، فقالت آية سريعًا:

- خلاص خلاص خمس دقايق ونتقابل.
- تمام ماشي السلام عليكم.
- وعليكم السلام.

* * *

- لأ ليه بس يا أم سارة؟
- والله يا "حنان" مش بمزاجي، هي مش عايزة تتجوز.
- ليه بس؟ دا "حازم" هيتجنن عليها من ساعة ما شافها و شاف عينيها عندك هنا في المحل.
- هههههه طب وفيه حد يتجوز حد من عينيه برضه؟
- لأ ما أنا وصفتها له وقلت له إنها بدر منور.
- طب اوعي تقولي الكلام دا قدام سارة، إنتِ عارفة إنها في الحاجة دي صعبة قوي.
- بالله عليكِ يا أم سارة تقنعيها.
- والله يا حنان هاحاول تاني، إن شاء الله المرة دي توافق.
- يا اختي يارب.

* * *

- عايزة أعرف من حضرتك كل حاجة عنه، حضرتك آخر أمل ليَّ.
قالتها سارة في حديقة منزل آية لجد الأخيرة، فتلعثم قائلًا:

- ليه السيرة دي دلوقتي؟ يعني كان ليكِ حد في الملجأ؟

نظرت إلى أسفل لبرهة، ثم قالت بجدية:

- ياسمين اللي اتبناها تبقى أختي.

- بتقولي إيه؟!

قالها واثبًا من مقعده، فقالت سارة بذهول:

- خير يا عمي؟

- ياسمين تبقى أختك؟

- أيوة أختي.

- إزاي ما أخدتش بالي، كان لازم أعرف إنها أختك من يوم ما عرفتك، نفس العيون العسلية اللي كانت سبب في تعاسة أختك هي نفس عيونك

- تعاسة أختي!

قالتها سارة بذهول، فوقفت قائلة بصرامة:

- أنا عايزة أعرف انتو عملتوا إيه بالظبط في ياسمين؟ أختي فين؟

نظر الرجل إلى أسفل دون أن يتحدث، فقطبت سارة حاجبيها قائلة بعدم فهم:

- حضرتك ساكت ليه؟

كذلك لم يتحدث، فترقرقت الدموع في عينيها قائلة بصوت منخفض بتوسل:

- عمي بالله عليك تقول لي أختي فين، أنا والدتي هتموت لو ما لقيناش ياسمين.

قال بجدية:

- اللي فاكره يا سارة إن أبوكِ هو اللي جاب أختك، يعني من الأول انتو اللي بعتوها.

- صدقني كان فيه ظروف معينة هي اللي اضطرت بابا لكدا ما كانش بإرادته.

- واحنا برضه ما كانش بإرادتنا نبيع ياسمين.

وقفت سارة قائلة بذهول:

- تبيع ياسمين!

وقف قائلة بتحسر:

- ما حدش كان يقدر يقول له لأ.

- هو مين دا؟

- صدقيني يا سارة الحل الأسلم إنك تنسي أختك خالص.

- يعني إيه أنسى أختي؟ انتو عملتوا فيها إيه؟

لم يتحدث، فقالت بصرامة:

- أنا هابلغ البوليس وهوديكم في 60 داهية.

- صدقيني يا سارة لو دا حصل مش هتأذي غير سمعة أختك.

- أنا مش فاهمة حاجة.

- وأنا ما اقدرش أتكلم أكتر من كدا، بعد إذنك.

قالها وهم بالذهاب، فاستوقفته دموعها، وهي تقول ببكاء:

- وصية بابا قبل ما يموت هي إني ألاقي ياسمين، ياسمين اتظلمت كتير ولازم ترجع، أستحلفك بالله تعرَّفني أختي فين، وأوعدك ما حدش هيعرف بأي حاجة دارت بينْنَا -حتى آية نفسها مش هتعرف حاجة-!

وقف قليلاً ناظرًا لأسفل، وهي أمامه تنظر إليه بترقب، فرفع رأسه قائلًا بجدية:

- متأكدة إن الكلام دا هيبقى بينْنَا؟

ابتسمت سارة بلهفة قائلة:

- وعد مني ما حدش هيعرف أي حاجة.

عاد فجلس ثانية، وهي أمامه، فقال بصوتٍ منخفض:
- أنا هاقول لك على كل حاجة.

* * *

حل المساء وبدأ الإعداد لتلك الليلة المشؤومة، فبدأت نيرة في ارتداء فستانها ووَضْع مساحيق التجميل التي تجعلها خارجيًا في أجمل ما يكون، وبعد أن انتهت، خرجت من غرفتها لاستكمال بقية أشياء بسيطة، وخلفها تجلس ياسمين تنظر إليها بإشفاق، وبعد أن انتهت استدارت إليها، فقالت بصوتٍ حزين:
- تفتكري هافضل كدا لإمتى؟
نظرت ياسمين إلى أسفل دون أن تتحدث، فتابعت نيرة بصوتٍ مختنق:
- معقول أفضل كدا لحد ما أموت على إيد واحد منهم؟
نظرت إليها ياسمين بذهول، فابتسمت بسخرية متابعة:
- تفتكري حد هيزعل عليَّ؟
سالت دموع ياسمين على وجنتيها، فذهبت نيرة لتجلس أمامها، فكفكفت بيديها دموعها قائلة مبتسمة:
- لأ فيه حد هيزعل عليَّ ... إنتِ يا ياسمينة.
احتضنتها ياسمين فقالت ببسمة (مصطنعة):
- خلي بالِك على نفسك.
- وانتِ كمان، سلام بقى عشان ما اتأخرش.
خرجت نيرة، فأخرجت ياسمين أوراقها واستأنفت الكتابة...

أما نيرة فذهبت بخطوات مضطربة، طرقت على باب مكتبه ثم دلفت متصنعة التبسُّم فقام شادي سريعًا بنظرة متفحصة شملتها من رأسها حتى قدمها، فأطلق صفيرًا عاليًا، ثم قال:

- لو ما كانش الراجل دافع كتير، ما كنتش ضيعت الجمال دا من إيدي الليلة دي.

ابتسمت نيرة بتكلف دون أن تتحدث فأخذها فذهب بها سريعًا إلى أحد الفنادق لا يبعد عنهم كثيرًا فقابلا الرجل السوري الذي لم يكن ينظر لشيء سواها -وحتى بدون أن يجلسوا- طلب منهم أن تصعد نيرة معه على الفور، فوافق شادي دون تردد وسلَّمها له كما تُسلَّم البضائع، فأخذها من يدها وصعد بها جناحه، وما إن دلفا، حتى ترك يدها وخرج أحدهم من غرفة مظلمة، مُبهمة ملامحه، فابتسم الرجل واستحالت نبرته من سورية غريبة إلى العربية قائلًا:

- أي خدمة تاني يا باشا؟

أشار له بيده بأن يذهب فخرج، وكل ذلك وهي في ذهولٍ من أمرها، خرج ولم يتحرك ذلك الشخص من مكانه ولم يتقدم، فتلعثمت نيرة قائلة بخوف:

- أ أنت... أنت مين؟

تقدم ذلك الشخص فظهرت عيناه فوجهه، فجحظت عيناها - ولا إراديًا- عادت خطوة إلى الخلف، فابتسم قائلًا:

- إيه رأيك في المفاجأة دي؟

قالت بذهول وبصوتٍ مرتعش:

- خالد بيه!

* * *

الفصل السادس

دلفت سارة إلى غرفتها بعد أن بذلت كل ما استطاعت لتقنع والدتها أنها بخير وليس بها شيء سوى التعب والإرهاق وأنها فقط تريد أن ترتاح قليلاً، دلفت فتحررت من لثامها فإسدالها، ثم جلست على طرف فراشها بثقل، فأسندت رأسها على إحدى حافتيه وأغمضت عينيها بألم متذكرة أبشع ما سمعت في حياتها ....

"طبعًا ما قدرش يقول للبوليس حاجة لما سألوه عن سبب اللي حصل له، وقال لهم إنه كان في الحمام ووقع غصب عنه وهو خارج ... كان هيقول لهم إيه يا سارة؟ لو كانوا جابوها كانت ببراءة هتقول كل حاجة وأكيد الحاجات اللي كانت في الشقة هتدعم كلامها هي ...كانوا هيلاقوا اللبس اللي جايبهولها واللي ما يلقش ببنت في سنها ... فساتين قصيرة وهدوم مقطعة ومكشوفة ... ودلوقتي أكيد مش هتستغربي لما تعرفي إن كان آخر هداياه ليها قميص نوم...

- قميص نوم! أستاذ علي كان جايب لي قميص نوم، وقالي إنه فستان ولما قلت له إني شُفته في التليفزيون على ممثلة قالي ما رهو فستان نازل جديد وعايز يشوفه عليَّ، وكالعادة فرحتي باهتمامه خلتني أسكت ودخلت ولبسته، بس لما شُفته قدام المرايا قررت إني مش هالبسه، حتى ولو كنت خرجت من المدرسة وبقيت جاهلة على إيد تعليم الملجأ العقيم فأنا ما اقدرش أخرج كدا قدام أي شخص، بس الحقيقة أستاذ علي (المحترم) ما قدرش يستناني عقبال ما أخرج ولقيته داخل أوضتي -حتى من غير ما يخبط- وقف على باب الأوضة أكتر من

خمس دقايق يبص لي بصة عمري ما هانساها في حياتي، قرب مني -ومن غير كلام- لقيته شالني وقعّدني على السرير بتاعي، وقتها ما قدرتش أخبي خوفي أكتر من كدا؛ فقلت له إني مش عايزة الفستان دا. -وكالعادة- لقيته حط إيده على وسطي وإيده التانية على دراعي، بس المرادي كانت غير كل مرة لدرجة ألمتني؛ فقلت له بخوف وبراءة إن اللي عمله ضايقني ووصلني منه أبشع رد "إنتِ لسَّا شُفتِ حاجة؟! "وبمنتهى القسوة هجم عليَّ زي الأسد اللي بيهجم على فريسته، بس أنا ما كنتش هبلة لدرجة إني ما استوعبش اللي بيعمله،لأ استوعبته وعرفت إنه عايز يخسَّرني عهدي مع بابا، وأنا ما كانش عندي قوة أكتر من العهد دا، وكإني اتحولت فجأة لوحش وحاولت أبعده عني، ولما فشلت كل محاولاتي ما لقيتش قدامي غير الفاظة بتاعتي.. صحيح كانت صغيرة، بس قدرت تخليه يفقد وعيه، ورغم إني ما كنتش عارفة أنا باخبطها فين، بس ضربتي سببت له دوخة لفترة قدرت خلالها آخد هدومي وأهرب، فضلت أجري زي المجنونة مش عارفة راحة فين ولا حتى شايفة الطريق لحد ما لقيت...

توقفت ياسمين عن الكتابة حينما رن هاتفها؛ فزفرت بضيق حينما وجدته شادي فأغلقت أوراقها ووضعتها في صندوقها، ثم أجابت بضيق:

- ألو

- إنتِ فين يا ياسمينة؟

- في أوضتي يا بوص، خير؟

- الصالة مليانة النهار دا ع الآخر والكل بيسأل عن الحلوة أم عيون عسلية

ضحكت ياسمين ثم قالت:

- عُلِم وسيُنفَّذ حالًا يا بوص.

* * *

- القرار في إيدك إنتِ.. يا تختاري نفسك وتنقّذي اللي هاقول لك عليه، يا هاخد منك اللي يرضيني، و بعدها هاخلص منك نهائي وبرضه هاوصل لها.
قالها خالد -واقفًا أمام النافذة ببرود- لنيرة التي كانت تجلس خلفه على المقعد واضعة يدها على وجهها، مدمعة العينين، وما إن أنهى حديثه حتى كفكفت دموعها، فوقفت قائلة بترقب:
- هتعمل فيها إيه؟
استدار قائلًا بصرامة:
- هادفَّعها تمن تنشيف الدماغ، هاعرَّفها إزاي تقول لخالد صفوت لأ.
انسالت الدموع على وجنتيها قائلة:
- بس ياسمين ما تستحقش كدا، صدقني يا خالد بيه ياسمين ما لهاش حاجة في الدنيا دي غير شرفها اللي بتحافظ عليه من الوحوش اللي حواليها.
- وأنا ما قلتلهاش تمشي معايا في الحرام، أنا عايز أتجوزها، بس هي رفضت.. رفضتني أنا.
- خالد بيه، اسمعني يا سـ..
- مش جايبك هنا عشان أتناقش معاكِ، أنا جايبك هنا عشان أعرَّفك دورك بالظبط والاختيار الأول والأخير ليكِ.
ارتمت نيرة على المقعد، فانهمرت في البكاء، اقترب منها قائلًا بصوتٍ منخفض:
- كدا عرفت ردك يا نونو.
قالها فجذبها إليه من ذراعها بقسوة، محاوطًا ظهرها بيده بقوةٍ آلمتها، فاقترب من أذنها قائلًا:
- حلو لقب شهيدة الصداقة، بس افتكري إنك إنتِ اللي اخترتِ
وقبل أن يقترب منها قالت مسرعة بخوف:

- المطلوب مني إيه؟

ابتعد عنها فضحك عاليًا، ثم قال:

- كدا أنا أحبك يا نونو، دورك صغنون خالص، بس هتاخدي عليه كتير.

نظرت نيرة إلى أسفل باكية، فتابع:

- وفري دموعك دلوقتي، عشان هتحتاجها على صاحبتك بعدين ودلوقتي.

اسمعيني كويس لأن الغلطة الواحدة تساوي عمرِك كله.

* * *

بعد أن أرضت سارة حاجتها من البكاء والصلاة والدعاء لأختها بحماية من الله، ولأمها بالمغفرة، ولنفسها التيسير، خرجت متصنِّعة المرح، فقبَّلت يد والدتها وجلست إليها تتحدثان عن أحوال اليوم، وقصت عليها والدتها ما حدث أثناء زيارة صديقتها، وما إن أنهت، حتى انفجرت سارة في الضحك، فقطبت والدتها حاجبيها قائلة:

- أهو إنتِ كدا، كل ما أجيب لك سيرة الجواز يا تضحكي يا تقلبي الموضوع تهريج، ممكن أعرف بقى حضرتك بتضحكي على إيه؟

قالت سارة بضحك:

- اسمه حازم ابن حونان! ومن أسبوعين كان فيه صولاح ابن تفيدة، والله يا ماما مش فاضل غير تدخلي عليَّ بعنترة بن شداد هههههه.

- هزري يا سارة، ممكن أعرف بقى عيبه إيه المرة دي؟!

- يا ماما يا حبيبتي قلت لك مليون مرة أنا ليَّ صفات معينة في اللي هيلبسني -

إحم قصدي هيتجوزني- صعبة شوية وممكن ما تكونش موجودة أصلًا، يعني قاعدة لك يا مامتي ما تخافيش.

- وانتِ بتسمي اللي إنتِ عايزاه دي شروط إن شاء الله؟ دا لأ عشان مش ملتحي! ودا لأ عشان مش حافظ قرآن! ودا لأ عشان بيسمع أغاني! يا حبيبتي كل الشباب بقوا كدا وبيتجوزوا والحياة كلها ماشية على كدا

قالت سارة بجدية:

- بس أنا هتحاسب لوحدي مش مع الدنيا كلها، بالله عليكِ يا ماما خلي صاحباتك يهدوا شوية ويشيلوني من دماغهم، أنا هاقوم أذاكر.

قالتها، وهمت بالوقوف، فتلعثمت والدتها قائلة:

- سارة!

استدارت سارة قائلة:

- إيه يا حبيبتي؟

- عملتِ إيه في الملجأ النهار دا؟

استحالت تعابيرها إلى الوجل، فقالت في نفسها "ماما لو عرفت اللي عرفته هتروح فيها، الأحسن إني ما اقولهاش حاجة دلوقتي."

أخذها من شرودها صوت والدتها قائلة بقلق:

- قلقتيني يا سارة.

تلعثمت سارة قائلة:

- المدير الجديد ما يعرفش حاجة يا ماما، ما عرفتش أوصل لأي حاجة.

نظرت والدتها إلى أسفل بحزن، فاستأذنت سارة لتذهب إلى غرفتها، وانهمرت في البكاء ثانية.

* * *

استيقظت ياسمين في اليوم التالي على صوت هاتفها فتثاءبت، ثم أخذته فأجابت:

- ألو.

- ياسمين!

اعتدلت ياسمين سريعًا، فقالت:

- نيرة إنتِ فين؟ ما رجعتيش لحد دلوقتي ليه؟

- تعبت شوية بعد ليلة إمبارح؛ عشان كدا ما قدرتش آجي، ممكن تيجي تاخديني أنا مش قادرة أمشي؟

- أكيد يا حبيبتي، قولي إنتِ فين؟

- في فندق____

- ربع ساعة وهكون عندك.

أغلقت نيرة الهاتف، فابتسم خالد ومد يده إليها بمظروف قائلًا:

- ودا حقك يا نونو.

أخذت نيرة المظروف، فقامت في غير كلام واتجهت ناحية الباب، فأغلقه بالمفتاح سريعًا، قطبت حاجبيها بعدم فهم، فابتسم بخبثٍ قائلًا:

- فاكراني أهبل مش كدا؟ ما فيش خروج قبل ما توصل ياسمين.

نظرت نيرة إلى أسفل بضيق دون أن تتحدث، فدلفت الشرفة وبقيت فيها.

* * *

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام، إزيك يا آية؟

- إزيك يا سوسو؟
- الحمد لله.
- ما جيتيش ليه لحد دلوقتي؟
- تعبانة شوية يا آية مش هاقدر آجي الجامعة النهار دا.
- دكتور "حمزة" سألني عليكِ مرتين.
- ودا عايز إيه دا؟
- هههههه مش عارفة والله، استهبلي بقى!
- سيبك يا آية، المهم أنا عايزة أشوف جدك النهار دا.
- جدو!
- أيوة.
- ليه يعني؟
- آية قلت لك ما تسأليش عن حاجة ما لكيش فيها قبل كدا.
- طيب خلاص يا سارة أنا آسفة، مش عارفة بقيتِ عصبية قوي كدا ليه؟
- ما تزعليش يا آية، بس أنا أعصابي تعبانة اليومين دول.
- ولا يهمك يا قلب آية، إن شاء الله بعد الجامعة هاعدي عليكِ ونروح لجدو سوا.
- تمام إن شاء الله.

* * *

- ألو، نيرة أنا وصلت، إنتِ في أي أوضة؟
- حبيبتي هاحاول أنزل لك.

- لأ ما تتحركيش، قولي لي بس إنتِ أي أوضة وأنا هاسأل هنا في الاستقبال.
- أوضة__
- ماشي يا حبيبتي سلام.
وبالفعل استعلمت ياسمين عن رقم الغرفة وصعدت، وما إن وصلت، حتى طرقت الباب فدلفت سريعًا، فوجدتها جالسة على المقعد جوار الفراش واضعة يدها على وجهها، فهرولت ناحيتها فجلست أمامها، أنزلت يدها ورفعت رأسها لتتلاقي أعينهما المدمعة، فابتسمت ياسمين قائلة:
- خلاص ما تخافيش، أنا جنبك أهو.
احتضنتها نيرة بشدة، فانهمرت في البكاء، مسحت بيدها على رأسها حتى هدأت، فوقفت نيرة سريعًا ووقفت ياسمين هي الأخرى قائلة بحنان:
- حبيبتي إنتِ كويسة؟
نظرت إليها نيرة قائلة ببكاء:
- سامحيني يا ياسمين.
قطبت ياسمين حاجبيها، وقبل أن تتحدث، خرج خالد من الشرفة مبتسمًا بخبث، فجحظت عينا ياسمين ثم نظرت إلى نيرة بصدمة، فانهمرت الأخيرة في البكاء ولم تستطع أن تنظر إليها، فتقدم ناحيتهما.. أمسك يد ياسمين بقوة قائلًا:
- شكرًا يا نونو، تقدري تتفضلي.
همت بالذهاب، ولكن تشبثت ياسمين بذراعها قائلة بتوسل:
- لأ يا نيرة، ما تسيبنيش عشان خاطري.

* * *

الفصل السابع

- لأ يا نيرة ما تسيبنيش عشان خاطري.

حرر خالد نيرة من يدها، فهرولت إلى أسفل، أسرع وأغلق الباب وأخذ المفتاح، فابتعدت ياسمين عنه قائلة ببكاء:

- أنت عايز مني إيه؟

ابتسم خالد بخبث قائلًا، وهو يقترب منها:

- اللي عايزة منك يا ياسمينة مش بيتقال شفوي.

تراجعت حتى وجدت الحائط خلفها، وهو أمامها فمال عليها متابعًا:

- حالًا هتشوفيه عملي.

اقترب منها فأبعدته عنها بقوة، وهرولت فأخذت سكينًا حادًا من فوق طبق الفاكهة على المنضدة ووضعتها أمام قلبها قائلة بقوة:

- قسمًا بالله لو قربت لي هاموت نفسي.

جحظت عيناه، فاقترب منها قائلًا بخوف:

- سيبي السكينة يا ياسمين، ولو مهما عملتِ هاخد منك اللي عايزه.

وكأنها أصبحت بعالم آخر، تذكرت مأساتها منذ أن كانت الطفلة ذات الخمس سنوات بعذاب الملجأ بموقف مشابه مع أستاذ علي بعهدها مع والدها، فوقعت السكينة من يدها على الأرض وإلى جوارها سقطت، وكأنها نسيت تمامًا وجوده مما هاله؛ فلم يقترب أكثر وأذهله صوتها المنخفض قائلة، وكأنها تحدث نفسها:

- مش هتاخد مني عهدي مع بابا، مش هتقطع الخيط اللي بيني وبين ربنا

جحظت عيناه بذهول، فعادت إلى بكائها ثانية وأمسكت السكينة، وقفت أمامه مباشرة قائلة بصوتٍ باكٍ مرتفع:

- مش هتلمسني يا خالد، وإلا أقسم بالله هاموتك وأموت نفسي.

ظل ينظر في عينيها بذهول دون أن يتحدث، وبالرغم من سكونه لم يُهدِّئ ذلك من روعها، بل زادها وجلًا، فاستحالت قوتها ضعفًا، فألقت السكينة من يدها وارتمت أمامه على الأرض قائلة بتوسل:

- أبوس رجلك سيبني أمشي،اعمل حاجة واحدة في حياتك عشان خاطر ربنا، خليني أخرج وسيب لي آخر حاجة هترجعني لربنا تاني، أبوس إيدك.

قالتها، وانهمرت في البكاء؛ فكفكف دموعه، ودون أن يخرج من صدمته أخرج المفتاح، فألقاه أمامها على الأرض وارتمي على أقرب مقعد، وكأنه تجاوز حدود عالمنا، أخذت ياسمين المفتاح سريعًا بفرح، فوقفت وهرولت ناحية الباب، وقبل أن تخرج توقفت فجأة. فاستدارت إليه لتجده كالجثة الهامدة، يجلس دون حركة واحدة -حتى دون أن يحيد بعينيه عن موضع نظرها- فقطبت حاجبيها، ولكنها لم تكترث كثيرًا وهرولت إلى أسفل، تاركة إياه في عالم آخر لا يشعر بشيء سوى صدي كلماتها "مش هتقطع الخيط اللي بيني وبين ربنا ... اعمل حاجة واحدة في حياتك عشان خاطر ربنا ... سيب لي آخر حاجة هترجعني لربنا تاني، أبوس إيدك "

* * *

- عايزة أقابله.

قالتها سارة بجدية لجد آية في منزلهم، فمسح الأخير على وجهه قائلًا:

- ما انصحكيش يا سارة؟

- ليه؟

- مش هتوصلي معاه لحاجة، دا غير إنه مش سهل زي ما إنتِ فاكرة.

نظرت سارة إلى أسفل بضيق، فتلعثم قائلًا:

- أنا هاكلمه.

- بجد؟!

قالتها سارة بفرح. فابتسم قائلًا:

- إن شاء الله هاحاول أعرف منه أي حاجة عنها، أكيد ياسمين بعد ما هربت ما راحتش بعيد، وأكيد قدر يشوفها مرة تانية.

- يارب يا عمي يارب.

- ما تقلقيش يا سارة.

- ربنا يبارك في حضرتك.

* * *

لا تعلم كيف سارت ولا أين سارت! فقط وجدت نفسها أمام غرفتها، دلفت وأغلقت الباب عليها جيدًا، استدارت لتجدها جالسة على فراشها منهمرة في البكاء، وما إن رأتها، حتى جحظت عيناها، فابتسمت بفرح وهرولت إليها واحتضنتها بشدة قائلة:

- ياسمين إنتِ كويسة؟

ظل وجهها جامدًا، فلم تتحدث ولم تنظر إليها، فقط أبعدتها عنها ودلفت إلى الغرفة الخاصة بها وأغلقت الباب عليها،

جلست خلفه ضامة ساقيها إلى صدرها بخوف، وكأنها تحاول استيعاب أنه لم يؤذها، ولم يأخذها من شرودها سوى صوت نيرة، قائلة ببكاء من خلف الباب:
- عندك حق ما تبصيش في وشي تاني، إنتِ فاكرة إني بعتك وضحكت عليكِ، بس صدقيني إنتِ مش فاهمة حاجة، خالد هددني يا هاسمع كلامه يا هياخد اللي عايزه مني ويقتلني ولا حد هيسأل عني، وبرضه هيوصلك، قلت أطاوعه وفضلت مجاريا في اللي بيقوله لحد الصبح على أمل إني بعد ما أكلمك يسيبني أمشي وألحقك قبل ما تقعي في إيده، بس للأسف طلع أذكى مني وفهم خطتي، قالي مش هاخرج غير لما إنتِ تيجي، صدقيني يا ياسمين أنا ما خُنتكيش والله، أنا اتلعب بيَّ زيي زيك.

ياسمين عشان خاطري طمنيني عليكِ، خالد عمل فيكِ حاجة ولا لأ؟ ياسمين عشان خاطري افتحي.
تذكرت ياسمين ما حدث، وكأنه حلمٌ لا تستوعب تفاصيله، كيف له أن يلقي المفتاح أمامها؟ ما معنى تحريرها بعد أن كانت بين يديه؟ وما سر دموعه تلك؟ أمن المعقول أن يؤثر اسم الله في قلبٍ من حجر؟ لا تعلم سوى أن الوقت قد حان لتَرْك ذلك العالم والاهتمام بما عاشت حياتها تخطط له، ولكن كيف؟ كيف لها أن تهرب؟ وإلى أين ستذهب؟ لم يكن أمامها سوى نيرة لتساعدها، فقررت أن تؤثر مصلحتها، فكفكفت دموعها ثم قامت، فتحت الباب لتجدها جالسة أمامه، وما إن فتحت، حتى قامت نيرة فكفكفت دموعها واحتضنتها بشدة، أغمضت ياسمين عينيها بضيق، فابتسمت نيرة قائلة:
- كنت متأكدة إنك هتصدقيني.
ابتسمت ياسمين فجلست وجلست نيرة إلى جوارها قائلة بخوف:
- عمل فيكِ إيه؟

- ما لمسنيش!

قطبت نيرة حاجبيها بذهول قائلة:

- إزاي؟!

- هتصدقيني لو قلت لك ما اعرفش؟! آخر حاجة كان ممكن أتوقعها في حياتي إن دموعي تأثر فيه، لقيته رمى لي المفتاح وراح في دنيا تانية و كأنه بني آدم تاني غير اللي نعرفه

- ياسمين إنتِ بتقولي إيه؟

- أنا كمان مش مصدقة ولا مستوعبة اللي حصل بس...

ابتسمت فتابعت:

- بس اتأكدت إن ربنا برحمته هيحافظ لي على الخيط اللي بينْنَا.

قطبت نيرة حاجبيها قائلة:

- خيط!! ...خيط إيه؟

استفاقت ياسمين فتلعثمت قائلة:

- ها! لا ولا حاجة.

ثم تنحنحت فتابعت:

- نيرة!

- إيه يا حبيبتي!

- أنا لازم أمشي من هنا، أنا خلاص ما عادش ليَّ قعاد في المكان دا وانتِ لازم تساعديني.

* * *

- ياعم سيبك منها بقى.

- "علاء" قلت لك ما تتكلمش بالطريقة دي تاني.

- ما تزعلش مني يا حمزة، بس مش معقول هتفضل في الحالة دي عشان واحدة!

- يا علاء سارة مش أي واحدة، سارة دي تبقى الأمل اللي أنا عايش عشان أحققه.

- وهي أصلًا تكاد تكون مش عارفه عنك غير إنك الدكتور بتاعها في الجامعة، حتى ما تعرفش إنك بتحبها.

- أنا بس مستني السنة دي تخلص وهاتقدم لها.

- ولحد ما السنة دي تخلص عايزك تنسى بقى الزعل خالص وتيجي معايا بقى، النهار دا هاسهرك سهرة ولا في الأحلام،

- لا أنا مش قادر يا علاء،

- يا عم الحبيب بس اسمع، امبارح كنت مع صحابي في مكان بس إيه! خمس نجوم يا صاحبي هيخليك تنسى سارة بالجامعة بالدنيا كلها (طبعًا توقعتوا إيه هو المكان ... أيوة بالظبط كدا)

أطرق حمزة برأسه قليلًا، فتابع علاء:

- ها قلت إيه؟

رفع حمزة رأسه مبتسمًا قائلًا:

- معاك طبعًا يا صاحبي.

* * *

الفصل الثامن

- خلاص يا ياسمين كله تمام، أنا كلمت" أسامة "واتفقت معاه على كل حاجة.
- مين أسامة؟
- دا جار الناس اللي كنت باشتغل عندهم قبل ما آجي هنا، أصغر مني بس شيطان، يعرف في كل حاجة وعمره ما هيتأخر عليَّ ولا عليكِ في أي طلب.
- مممم طب وأستاذ شيطان دا هيعمل لي إيه؟
- هيدبر لك مكان تقعدي فيه، وكمان تقدري تعتمدي عليه في أي حاجة تعوزيها.
- طب ودا هياخد وقت قد إيه كدا تقريبًا؟
- يومين بالظبط.
- تمام قوي كدا بس...

ولم تكمل جملتها حينما رن هاتفها، فأخذته وما لبثت أن زفرت بضيق قائلة:

- دا شادي!
- كلها يومين وتخلصي من القرف دا.

أجابت ياسمين:

- ألو
- ألو، إزيك يا ياسمينة؟
- الحمد لله يا بوص.
- يعني فايقة النهار دا؟
- خير؟

- جاي لنا زباين النهار دا بس من عيلة كبيرة شوية، ولسَّا جداد، فأنا قلت ما فيش غيرك يجر رجليهم ويحببهم في المكان.

- أوامرك يا بوص.

قالتها ياسمين، فأغلقت الهاتف وألقته جانبها بضيق، فربتت نيرة على يدها قائلة:

- زباين؟

- وجداد، يعني قرف للصبح.

- ما تقلقيش، أنا هاكلم أسامة يشهِّل شوية.

- تمام، أنا هاقوم أجهز بقى.

- ياسمين!

قالتها نيرة متشبثة بذراعها، فقطبت ياسمين حاجبيها وأردفت:

- لسَّا زعلانة مني؟

نظرت ياسمين إلى أسفل دون أن تتحدث، فوقفت نيرة لتتابع:

- أنا باعمل كل دا عشان تسامحيني وتخليني أشوفك تاني بعد ما تمشي من هنا.

تنفَّست ياسمين الصعداء فقالت:

- الحمد لله إنها جات على قد كدا يا نيرة وماتتكلميش في الموضوع دا تاني، أما حكاية اللي عملتيه فيَّ فأنا متعودة،فما عادش بيفرق معايا حاجة، ما تخافيش..

قالتها وذهبت، فارتمت نيرة على المقعد بضيق، ووضعت يدها على وجهها بألم دون أن تتحدث...

* * *

- علي، أنا لازم أوصل لها!
- قلت لك مش عايز أسمع اسم البنت دي تاني، وبعدين أنا ما اعرفش حاجة عنها من يوم ما هربت.
- بس أكيد طفلة في سنها ما قدرتش تروح لبعيد وأكيد أنت لقيتها، والأكيد كمان إنك حاولت توصل لها وما عرفتش.
- أنا ... أنا ما شُفتهاش تاني ولو كنت شُفتها ما كنتش سبتها وما كانش فيه حاجة هتوقفني، دا غير إن دي حكاية عدى عليها أكتر من 10 سنين، إيه اللي فكرك بيها دلوقتي؟
- ياسمين تبقى أخت بنت تهمني ولازم توصل لها بأي طريقة.
- وهي ياسمين دي ليها حد؟
- ليها ... وهيتجننوا وترجع لهم، علي! أنا عارف إنك تعرف مكانها، بحق الصداقة اللي بينْنَا تقول لي هي فين!

قام فاتجه إلى النافذة، وقال دون أن ينظر إليه:

- ما اعرفش حاجة عنها ومش عايز أسمع اسمها تاني ودا ... بحق الصداقة اللي بينْنَا.
- ماشي يا علي شكرًا ... السلام عليكم.

* * *

- مش عارفة إزاي دا حصل، مش فاهمة ازاي يسيبني أمشي، مش فاهمة سر ملامحه الحزينة وسكوته وهدوؤه، مش فاهمة سر نظرته ليَّ ... ما كانتش نظرة

رغبة أو شهوة، لأ كانت نظرة صدمة.. نظرة ذهول ما فهمتهاش، حتى إني ما فهمتش نفسي لما رجعت وبصيت له مرة تانية، مش فاهمة تفكيري فيه لحد دلوقتي، خايفة رغبتي تغلبني وأقابله مرة تانية،

بس بجد نفسي أقابله، مش عارفة بقى عشان أتطمن عليه ولا عشان أسأله عن سر النظرة دي ولا عشان أسأله ليه سابني أمشي؟ إيه كان في كلامي أثر فيه قوي للدرجادي؟ بس عمومًا كل دا ما لهوش أي معنى، همَّ يومين وهابعد عن العالم دا كله وهتبدأ حدوتة جديدة، بس لازم في الأول تعرفوا سبب حدوتي القديمة اللي بدأت من أول ما هربت من بيت أستاذ علي (المحترم) وفضلت أجري زي المجنونة مش عارفة رايحة فين ولا حتى شايفة الطريق،

لحد ما لقيت قدامي أدفى وأحن مكان عليَّ. كنت حقيقي محتاجاه؛ فدخلت المسجد وكانت صلاة العشا ودا اللي عرفته من عدد الركعات اللي صليناها، لأني -وزي ما قلت- بعدت عن الصلاة نهائي؛ فمواعيد الأذان وغيره ما كانش يهمني، ما علينا ... دخلت فاتوضيت وصليت ورا الشيخ بعد ما أخدت حته قماشة من على كرسي وعملتها طرحة،

خلصت الصلاة وقعدت مش عارفة هاعمل إيه ولا هاروح فين. لساعات فكرت أرجع بيتنا اللي كنت حافظة عنوانه كويس، يعني ما كانش صعب عليَّ أركب أي حاجة وأرجع، بس بيتنا يعني ماما وماما يعني ملجأ وملجأ يعني عذاب وأستاذ علي(المحترم) مرة تانية، فضلت أعيط لحد ما نمت في مكاني وفضلت نايمة لأكتر من ساعتين، بعدها لقيت اللي بتصحيني، وكان أجمل وش وأطيب قلب شُفته في حياتي، قعدت جنبي وطبطبت عليَّ زي ما كان بابا بيعمل معايا لما باحفظ آية جديدة أو أصحى معاه الفجر، المهم... قعدت وسألتني عن سبب

وجودي هناك لوقت متأخر كدا، ما عرفتش أقول لها غير إني كنت باشتغل عند ناس وهربت من عندهم بسبب ضربهم المستمر ليَّ،

وطبعًا بالعلامات اللي على دراعي صدقتني ووقتها حضنتي بحنان عمري ما لقيت زيه في حياتي غير مع بابا، بعدها أخدتني لمحل كبير من محلاتها وعرضت عليَّ أشتغل فيه -وأكيد ومن غير تفكير وافقت- وأخدتني معاها على بيتها بعد ما جابت لي هدوم جديدة من المحل وخلتني أبات معاها، وقالت لي إن عندها ولد مسافر برا وبنت متجوزة وابن في الجيش، وفضلت عايشة معاها أكتر من شهر، باصحي معاها الصبح وننزل المحل وبالليل تاخدني أبات معاها، وربنا يشهد إني عمري ما لقيت منها غير الحنية لدرجة إني حسيت إن الدنيا بدأت تضحك لي تاني، ولكن كالعادة عمر فرحتي ما بتستمر كتير وبدأت التعاسة تاني من يوم ما ابنها رجع من الجيش، عمري ما كنت أتخيل إن ملاك زيها تخلف شيطان زي دا، شيطان بكل ما تحمله الكلمة من معنى، ولتاني مرة تبقى عيوني العسلية وشعري البني سبب تعاستي، ما بقاش همه حاجه غير إنه ينفرد بيَّ في أي وقت وبأي طريقة وفي أي مكان، ومامته لاحظت كدا؛ عشان كدا كانت بتحميني منه بكل طريقة ممكنة، فأخدتني أبات معاها في أوضتها، عمري ما حسيت بالأمان اللي حسيته معاها، والحقيقة إنها ما كانتش بتحميني من ابنها بس، لأ كمان حمتني من...

أخفت ياسمين أوراقها حينما سمعت طرقات على الباب، فدخلت نيرة قائلة:

- ياسمينة!

تلعثمت قائلة:

- إيه يا نونو؟

- البوص بيقول لك اجهزي.

زفرت ياسمين بضيق قائلة:
- ماشي.

* * *

- طب وليه حضرتك متأكد من إنه يعرف مكانها؟
قالتها سارة مدمعة العينين لجد آية في منزلهم فمسح الأخير بيده على وجهه قائلًا:
- أنا مش هاتوه عن علي يا سارة، علي دا دماغه ناشفة، وأكيد وقتها ما استسلمش وسابها، ياسمين أكيد ما راحتش بعيد وأنا متأكد إنه لقاها، بس إزاي ما قدرش يوصلها دا اللي أنا مش عارفه!
- طب ... طب وحضرتك تفتكر ما رضيش يقول لك ليه؟
- هيقول لي إيه؟ إن بنت صغيرة هزمته! وقدرت تهرب منه! مستحيل طبعًا.
لم تستطع سارة أن تخبئ دموعها أكثر فانهمرت في البكاء، فنظر إليها حزينًا مشفقًا، فقالت بصوتٍ مختنق:
- للأسف رغم كل المساوئ اللي فيه، بس برضه هو آخر أمل لينا بعد ربنا، أنا خلاص يا عمي حاسه إني مش هاقدر أنفذ وصية بابا وأرجع نصي التاني لحضني.
كفكفت دموعها، فنظرت إلى الفراغ وتابعت:
- من يوم ما مشيت وأنا عايشة بنص روح، ياسمين مش بس توأمي في الشكل، لأ ياسمين توأم روحي، روحي اللي مش هتترد لي غير لما أشوفها.
ابتسم بحزن قائلًا:

- ما تخافيش يابنتي، أختك هترجع لك.

أغمضت عينيها قائلة:

- يارب يا عمي يارب بس ... بس إزاي؟!

- أنا بكرة هاروح له تاني، وأكيد هاوصل معاه لحل.

قالت سارة بفرح:

- بجد!

- بجد يا سارة.

- ربنا يبارك فيك يا عمي يارب، ما تتصورش أنا فرحت قد إيه، دايمًا حضرتك بتديني أمل إني ممكن أشوفها تاني.

- خلي أملك في ربنا كبير.

- ونعم بالله، أستأذن حضرتك بقى؛ عشان اتأخرت على ماما.

- تحبي آجي أوصَّلك؟

- لأ يا عمي ربنا يخليك، آية قالت لي هتوصلني.

- ماشي يا بنتي، خلي بالك على نفسك.

ابتسمت سارة ووقفت فهمت بالذهاب، ولكنها استدارت فجأة وتلعثمت قائلة:

- هو حضرتك بتعمل معايا كل دا ليه؟

ابتسم بألم قائلًا:

- عندي أمل إن ربنا يسامحني ويغفر لي اللي عملته في ياسمين واللي زيها أيام ما كنت مدير الملجأ.

نظرت سارة إلى أسفل بحزن دون أن تتحدث، فتابع:

- ربنا غفور رحيم، ولا إيه؟

ابتسمت سارة قائلة:

- أكيد ونعم بالله، بعد إذن حضرتك، السلام عليكم.

* * *

- الزباين دول لو عجبهم المكان هيبقوا مكسب كبير قوي لينا

قالت ياسمين بابتسامة (مصطنعة):

- أكيد يا بوص.

- يلا يا ياسمينة آديهم وصلوا، ورينا شطارتك بقى.

- طب مش نتقل شوية يا بوص؟

- هههههه اعملي اللي إنتِ عايزاه يا ياسمينة، المهم ما يخرجوش من هنا غير وهمَّ مبسوطين.

- عُلم وسينفذ يا بوص.

خرجت ياسمين لتجد جماعة من الشباب جالسين على منضدة بعيدة عنها إلى حدٍ ما، فزفرت بضيق قائلة في نفسها "مش مصدقة بقى، إمتى أخلص من الأشكال القذرة دي؟ حاجة مقرفة!"

ذهبت ياسمين فجلست على منضدة قريبة منهم لتسمع حوارًا هذليًا بين هؤلاء الشباب، فبدأ أحدهم حديثه قائلًا:

- افرد وشك.

- أفرد وشي إيه يا علاء؟ مش شايف الأشكال اللي هنا عاملة إزاي؟

- هههههه يا سلام؟! ما طول عمرنا متعودين على الأشكال دي، إيه اللي جد يا

زومي؟!

سرح بعيدًا فابتسم لتذكرها قائلًا:

- دا من قبل ما أشوفها، من يوم ما شُفتها يا علاء وكل ما أشوف بنت أقارنها بيها، لحد ما كرهت الصنف كله.

- هههههه طيب ماعلش تنسى البرنسيسة بتاعك وتركز لنا شوية في الحلويات اللي هنا دي، مش كل يوم هنخرج خروجة زي دي يا هندسة.

- هههههه ماشي يا اخويا استنى أنت بس وهت...

ولم يكمل جملته حينما رن هاتفه فقال:

- بعد إذنكو يا شباب ... ألو.

أخذ هاتفه فذهب بعيدًا، مرت دقيقة حتى قامت ياسمين من مكانها فتصنعت البسمة، ثم ذهبت ناحيتهم قائلة بطريقتها الساحرة وبرقتها المعهودة:

- منورين يا شباب.

أطلق علاء صفيرًا طويلًا، فقام ليقف أمامها مباشرة قائلًا بنظرة متفحصة:

- واااااو إنتِ إيه يا قطة بشر ولا ملاك؟

ضحكت ياسمين قائلة:

- لا بشر وأعجبك قوي.

- لسَّا هتعجبيني! ما عجبتيني واللي كان كان.

جلست ياسمين على مقعده قائلة بخبث:

- إذا كان كدا يبقى نتعرف بقى!

مدّ علاء يده سريعًا قائلًا:

- علاء، والبرنسيسة؟

أشار شادي لياسمين من بعيد فأومأت برأسها، فنظرت في عينيه مباشرة قائلة

بمكر:

»- مممممم وأنا ... لأ مش هاقول لك دلوقتي، استناني ثانية واحدة وراجعة لك يا لولو.

وقف أمامها مباشرة قائلًا بخبث:

- هاستناكِ على فكرة.

ابتسمت ياسمين بنظرة سحرته، فذهبت وما كادت تخطو خطوتين، حتى تعثرت في أحدهم، فوقع هاتفه ليميل الإثنان معًا لالتقاطه، فوصلت هي إليه أولاً، اعتدلا فمدت يدها إليه بهاتفه مبتسمة بسمة تلاشت بعد ثوانٍ حينما لاحظت جحوظ عينيه بدلًا من أن يأخذ هاتفه، فاستدارت فوضعته على منضدته وذهبت فتخطته بخطوتين، ثم تسمّرت في مكانها حينما قال بصوتٍ عالٍ:

- سارة!

* * *

الفصل التاسع

فاستدارت فوضعته على منضدته وذهبت فتخطته بخطوتين، ثم تسمَّرت في مكانها حينما قال بصوتٍ عالٍ:

- سارة!

جحظت عيناها دون أن تنظر إليه وأخذت تدير عينيها هنا وهناك بتوتر، ثم أكملت طريقها دون أن تلتفت إليه، فظل يتبعها بنظره بذهول حتى اختفت عن عينيه، فاقترب منه علاء مقطب الحاجبين قائلًا:

- فيه إيه يا حمزة؟ مين سارة؟

نظر إليه حمزة قائلًا بعدم استيعاب:

- دي ... دي تبقى...

تلعثم فأكمل:

- ما فيش، بس أصل البنت دي شبه سارة قوي.

- سارة مين؟

نظر إليه حمزة بضيق دون أن يتحدث، فتابع بعدم فهم:

- مش قلت إنها منتقبة؟!

- أنا أعرف سارة من سنة أولى، يعني من قبل ما تلبس النقاب، مستحيل أنسى ملامحها أو أتلخبط فيها، مستحيل!

- طيب وسارة إيه هيجيبها هنا؟

مسح حمزة بيده على وجهه فقال، وهو يأخذ هاتفه ومفاتيح سيارته و يهم بالذهاب:

- أنا ماشي.

أخذ علاء هاتفه فتبعه قائلًا:

- استنى يا حمزة أنا جاي معاك، بعد إذنكم يا شباب.

* * *

- كنتي فين يا ياسمين؟ إنتِ عارفة الساعة بقت كام؟

قالتها نيرة معاتبة لياسمين فور دخول الأخيرة غرفتها، فألقت ياسمين حقيبتها قائلة:

- كان عندي شغل.

- شغل؟ بس أنا دورت عليكِ في الصالة وما لقيتكيش.

تلعثمت ياسمين بتوتر، فتصنعت الانشغال بالعبث في صندوقها ثم قالت:

- كان فيه حاجة؟

- أسامة كلمني وقال خلاص كله تمام.

نظرت إليها ياسمين بفرح قائلة بترقب:

- بتتكلمي بجد؟

- والله بجد.

- يبقى لازم أمشي حالًا

- مش هينفع دلوقتي، شادي لسَّا تحت وصعب قوي تهربي في الوقت دا.

- أُمال إمتى؟

- خليها الصبح بدري؛ عشان حتى لما شادي يصحى ومش يلاقيكِ يلاقيني أنا هنا وما يشكش فيَّ.

- نيرة إنتِ واثقة في أسامة دا؟
- لما تعرفيه مش هتعتمدي غير عليه ومش هتثقي غير فيه برضه.
- ربنا يستر.
- هههههه طب يلا قومي خلينا نجهز الشنط، ما عادش فاضل كتير.
- تمام يلا بينْنَا.

وقفت ياسمين مبتسمة بخبث قائلة في نفسها "كدا بقى يبقى اللعب ابتدى، والخطة -ومن غير حسبان- بدأت من النهار دا، واللي عشت عشانه طول عمري هيتحقق عن قريب قوي، قوي يا سارة، صدقيني مش بمزاجي بس القدر اختار إني أبدأ بيكِ، وأنا مش هاعاند القدر."

* * *

- اهدى بقى يا حمزة، ما يمكن تشابه ولا حاجة، وبعدين أنت بتقول بقى لها سنة لابسة النقاب، يعني أكيد نسيت ملامحها بالتفصيل يعني.
- علاء، أنا لو اتلخبطت في الدنيا كلها مستحيل أتلخبط في عيونها، عيونها اللي مش على حد غيرها.
- يا حبيبي أصله مستحيل واحدة زي دي تطلع بعد كل دا كدابة ولابسة النقاب عشان تضحك بيه ع الناس.
- أنا ما قلتش كدا يا علاء بس...

لم يكمل حمزة جملته، فنظر إلى أسفل مغمضًا عينيه بألم دون أن يتحدث، فربت علاء علي كتفه قائلًا:

- خلاص ما تقلقش يا صاحبي، أنا لقيت الحل.

نظر إليه حمزة بتساؤل، فتلعثم قائلًا بجدية:

- لو البنت دي فعلا سارة يبقى أكيد مش هتروح الكباريه دا تاني؛ لأنها عارفة إننا بقينا زباينه، أما بقى لو واحدة شبهها أكيد هنلاقيها تاني.

ابتسم حمزة قائلًا:

- فكرة جهنمية!

- بكرة بالليل هنروح تاني، ووقتها بس هنعرف إن كانت هي نفسها برنسيستك أو لأ، رغم إني متأكد إنها مش هي.

- يارب يا علاء يارب.

* * *

- لآخر مرة باسألك، ياسمين فين يا نيرة؟

قالها شادي بغضب لنيرة في مكتبه في صباح اليوم التالي حينما علم برحيل ياسمين، فأجابت الأخيرة بوجل:

- صدقني يا بوص والله صحيت ما لقيتهاش جنبي، اتصلت بيها ما ردتش عليَّ وبعدها قفلت التليفون.

نظر شادي إلى الفراغ حوله بذهول قائلًا:

- يعني إيه؟ يعني ياسمين ضاعت مني؟ لأ ... مستحيل أضيع ياسمين من إيدي بعد ما لقيتها.

ثم أخرج هاتفه، وما أذهله هو صوت الرنين الذي سمعه، فكيف لم تغلق

هاتفها، وما هاله أكثر هو أنه سمع صوتها تجيب ببرود:

- ألو.

تلعثم قائلًا سريعًا:

- مشيتِ ليه يا ياسمين؟

لم تجب، فتابع:

- حد زعلك في حاجة؟ طب أنا ... أنا قلت لك حاجة تزعلك؟ ياسمين ردي عليَّ؟

زفرت بضيق قائلة:

- لأ ما حدش زعلني يا بوص، أنا بس تعبت من الجو المقرف اللي كنت فيه، تعبت من النظرات القذرة اللي مش بالاقي غيرها من الوحوش اللي في المكان دا، أستاذ شادي أنا آسفة، بس ياريت تنسى ياسمين خالص

- بس أنا مش هاسيبك يا ياسمين.

قالها بصوتٍ عالٍ أفزع نيرة وأرهب ياسمين، فجحظت عيناها بعدم استيعاب، فتابع:

- أنا كنت باحميكِ من الوحوش دول عشاني أنا، كنت باحافظ عليكِ لنفسي لأني...

أخفض صوته واستحالت نبرته إلى الوهن فتابع:

- لأني باحبك!!

أغلقت ياسمين الهاتف سريعًا وألقته جانبها وارتمت على المقعد في غير استيعاب لما قال، ولم يأخذها من شرودها سوى صوت طرقات الباب فمسحت على وجهها ثم قامت ففتحت الباب، وابتسمت قائلة:

- تعالى يا أسامة ادخل.

دلف أسامة مبتسمًا حاملًا علي يديه صينية طعام، فوضعها على المنضدة

قائلًا:

- أي حاجة تعوزيها يا أبلة ياسمين رني عليَّ بس في ثانية هاجي لك، أصلًا الورشة مش بعيدة.

- ربنا يخليك يا أسامة بيه.

ضحك أسامة قائلًا:

- أسامة بيه!

- هاعمل لك إيه؟ ما أنت مقضيها لي أبلة ياسمين أبلة ياسمين محسسني إني أكبر منك بقرن!

- هههههههههه

- كفاية ياسمين.

- لا لو هنشيل التكليف بقى يبقى هاقول لك يا أم عيون عسلية.

- هههههه مش سهل أنت.

- هههههههه طيب يلا أسيبك بقى تتغدي عشان إنتِ ما أكلتيش لقمة من الصبح.

- شكرًا يا أسامة على اللي بتعمله معايا.

- إحنا في الخدمة دايمًا يا قمر.

- أخدت عليَّ قوي.

- إنتِ اللي قُلتِ.

- ماشي يا لمض، يلا بقى عشان ما تتأخرش على شغلك.

- أوك، يلا سلام مؤقت يا جميل.

أغلقت ياسمين الباب، فعاد العبوس يقطن ثانيًا ملامحها ثانية، وهي تتذكر كلماته"أنا كنت باحميكِ من الوحوش دول عشاني أنا، كنت باحافظ عليكِ

لنفسي لأني ... لأني باحبك " فزفرت بضيق قائلة بصوت مسموع:

- كان ناقصني دا كمان!

أخذت تدير عينيها هنا وهناك بشرود ثم قالت:

- أنا ما صدقت خلصت من خالد، أكيد مش هاسمح لحد يقف في طريقي، ولو وصلت إني أخلص منه نهائي.

* * *

- قلت لك ما اعرفش عنها حاجة، وقلت لك برضه مش عايز أسمع اسمها مرة تانية، ليه مصمم تعصبني؟

- عشان انت آخر أمل لأهلها في إنهم يوصلوا لها مرة تانية.

- وكانوا فين أهلها دول لما رموها في الملجأ من عشر سنين؟ جايين يدوروا عليها دلوقتي؟ لا وكمان عايزني أنا اللي أقول لك مكانها هههههه.

قام علي من مقعده، فوقف أمامه مباشرة قائلًا بغضب:

- وحتى لو لقيتها فهي من حقي أنا، أنا اشتريتها ودفعت التمن وأظن وصلك مش كدا؟!

وقف قائلًا بانفعال:

- بس ياسمين دي بشر، مش سلعة بتتباع.

اقترب منه علي قائلًا (باستفزاز):

- وليه ما قلتش الكلام دا لنفسك أو لأهلها؟ اشمعنى جاي تحاسبني أنا دلوقتي؟

أجاب بجدية:

- علي! أنا لازم أعرف مكان ياسمين، وحياة أغلى حاجة في حياتك تعرّفني أي حاجة عنها.

أطرق برأسه لبرهة، ثم رفع رأسه قائلًا بهدوء:

- ماشي أنا هاعرفك مكانها، بس عشان أثبت لك إنها مش دماغي، وعشان أثبت لك برضه إني لو عايز أوصلها كنت وصلت لها من زمان.

* * *

- ما جاتش الجامعة النهار دا يا علاء، وسألت صاحبتها عنها قالت ما اعرفش ما جاتش ليه!

- اهدى بس يا حمزة، كلها خمس دقايق وكل حاجة هتبان ... آدينا وصلنا ودلفا كلاهما الصالة، فلم يجدا تقريبًا غيرهم، ولم يكن قد أتى للعمل سوى نيرة، التي اقتربت منهما قائلة بصوتٍ رقيق:

- نورتو الصالة.

قال علاء مبتسمًا:

- دا نور القمر.

- ميرسي.

- البنت اللي...

قالها حمزة منفعلًا وقبل أن يكمل وكزه علاء في ذراعه ليصمت فتابع علاء:

- الحلوة اسمها إيه؟

- نيرة

اقترب منها قائلًا:

- اسمك جميل زيك يا نونو

ابتسمت فتابع:

- بصراحة احنا من ساعة ما شُفنا الحلوة بتاعة إمبارح أدمنّا المكان

- مين؟

- بنت كدا، تقريبًا كان لون عينيها عسلي

- آه عرفتها.

تلعثم حمزة قائلًا:

- ألا ... ألا هي فين صحيح؟

- للأسف سابت الشغل النهار دا الصبح.

* * *

الفصل العاشر

تلعثم حمزة قائلًا:

- ألا ... ألا هي فين صحيح؟؟

- للأسف سابت الشغل النهار دا الصبح.

وقع الهاتف من يد حمزة، فنظر إلى علاء بذهول ليتنحنح الأخير قائلًا:

ما تعرفيش ليه؟

- لأ بصراحة ما اعرفش، تحبوا أجهز لكم ترابيزة؟

هرول حمزة للخارج، فتبعه علاء قائلًا:

- لا لا شكرًا.

أمسك علاء بذراعه قبل أن يصل إلى سيارته قائلًا:

- مش هاسيبك تسوق وانت في الحالة دي.

- أنا .. أنا تضحك عليَّ وعاملة لي فيها الخضرة الشريفة؟ أقسم بالله ما هاعدي الموضوع دا بالساهل.

- حمزة! اهدى وفكر بعقل، أنا متأكد إن فيه حاجة غلط.

ضرب حمزة بيده علي سيارته بقوة قائلًا:

- كله غلط من الأول، كل حاجة غلط، حبي ليها كان غلط، إني أشوفها حاجة وبنات العالم بحاله حاجة تانية كان غلط.

ثم نظر إلى الفراغ قائلًا بعينين مدمعتين:

- إني أنام أحلم بعيونها اللي ما باشوفش غيرهم كان غلط، إني أنسى المحاضرة بالشرح بكل الموجودين ويبقى عقلي معاها هي كان غلط.

ثم نظر إليه، والشرر يتطاير من عينيه فتابع:
- وبكرة نهاية كل غلط غلطته من يوم ما عرفتها.

قال علاء بترقب:
- هتعمل إيه؟
- بكرة هتعرف.

* * *

- بجد رضي يقول لحضرتك مكانها؟
قالتها سارة بفرح عندما أخبرها جد صديقتها بما حدث بينه وبين صديقه، فابتسم الأخير قائلًا:
- الحمد لله يابنتي قلت لك سيبيها على الله.
- الحمد لله .. طب هو قال لحضرتك شافها فين؟
- قال أنها بعد ما هربت من عنده بحوالي 6 شهور كدا تقريبًا شافها في مرة واقفة في محل ملابس كبير، حاول كذا مرة يوصل لها بس دايمًا كان بيبقى معاها صاحبة المحل، دايمًا جنبها تكاد تكون مش بتفارقها...

- وطبعًا دا بعد ما قلت لها الحقيقة وانه أنا سبت بيته عشان حاول يعتدى عليَّ ومن وقتها وهي مش بتسيبني ولا لحظة، وفي يوم من الأيام الكتير اللي كان

بيراقبني فيهم من برا المحل وبيحاول بشتى الطرق يوصل لي وما عرفش، لقيت واحدة منتقبة داخلة المحل وكان الوقت متأخر قوي حوالي الساعة 11 بليل...

- بعد ما فشلت كل محاولاته أنه يوصل لها راح جابها وطلب منها تشغل صاحبة المحل بأي طريقة عشان في ثانية يقدر ياخدها.
وضعت سارة يدها علي فمها بذهول قائلة:
- طب ودا حصل؟
...
- بالفعل دخلت الست وقدرت إنها تشغلها ووقفت لوحدي، وبعد شوية لقيته داخل المحل فوقفت وما عرفتش أعمل إيه، وقبل ما يوصل لي سمعت صوت باكرهه "فيه حاجة يا أستاذ؟؟ "

وكانت دي المرة الوحيدة اللي أحس للشيطان ابنها بفائدة في الحياة، طبعًا زعق معاه؛ لأن دا محل حريمي وما فيش رجاله بتدخله، ودا اللي مكتوب على باب المحل.

(ما علينا)... وطبعًا لأن ابنها ما كانش من فصيلة الرجالة؛ فكان بيدخل عادي.

بص لي طبعًا أستاذ علي نظرة غضب وهزيمة ومشي من غير ما يتكلم، والحمد لله قبل ما يتكلم معايا الشيطان التاني نص كلمة خرجت الست المنتقبة ومعاها والدته، وبصراحة مش فاكرة رد فعل المنتقبة لما لقيتني لسَّا في المحل لأني انشغلت بزعيق صاحبة المحل لابنها على وقوفه معايا ومن بعدها ما شُفتش أستاذ علي (المحترم).

وفضلت على كدا 7 سنين لحد ما في يوم دخلت بنت شكلها غريب عندنا المحل، والشكل الغريب بالنسبالي هو إنها متبرجة بكل ما تحمل الكلمة من معنى، وللأسف اليوم دا صاحبة المحل ما كانتش موجودة ولا ابنها طبعًا، واضطريت أتعامل معاها لوحدي، خدت اللي عجبها ومشيت وما فيش نص ساعة لقيتها راجعة تاني بس مش لوحدها ..

وضعت ياسمين قلمها وأجابت على الهاتف:

- ألو.

- ألو، ياسمين إنتِ فين؟

- هاكون فين يعني؟

- تمام، عمومًا ما تناميش بليل، أنا هاحاول آجي لك بعد ما أخلص الشغل.

- حصل حاجة؟

- قولي حاجات، لما آجي هاحكي لك.

- تمام هاستناكِ.

* * *

- طب وحضرتك جبت منه عنوان المحل دا؟

- أكيد .. آدي يا ستي العنوان.

قالها جد آية مادًا يده لسارة بورقة، فأخذتها ووقفت قائلة:

- لازم أروح المحل دا، ما فيش وقت أضيعه.

- طيب استني أنا هاجي معاكِ.

- لا يا عمي شكرًا، ما علش أنا عايزة أروح لوحدي.

- هتروحي هناك ازاي؟ بعربيتي أسرع.

- آسفة مش باركب عربية مع أجنبي، أنا هروح لوحدي، وإن شاء الله هعرَّف حضرتك اللي حصل لما أرجع.

ابتسم رغمًا عنه قائلًا:

- ماشي يا سارة، بس على الأقل خلي آية تيجي معاكِ.

- يا عمي بس..

- ما أنا مستحيل أسيبك تروحي هناك لوحدك.

- خلاص يا عمي اللي حضرتك تشوفه.

وبالفعل أخذت سارة آية وذهبتا إلى هناك، وما إن وصلتا حتى فتحت سارة باب السيارة قائلة:

- خليكِ هنا يا آية.

- حاضر، بس ما تتأخريش.

- ربنا يسهل.

دلفت سارة قائلة:

- السلام عليكم

أجابت صاحبة المحل مبتسمة:

- وعليكم السلام.

لم يرد ابنها السلام، بل نظر إليها نظرة متفحصة ثم قال:

- خير أي خدمة؟

قالت موجهة حديثها إلى صاحبة المحل، وكأنها لم تسمعه:

- لو سمحتِ ممكن أتكلم مع حضرتك شوية؟

قطبت حاجبيها، ولكنها قالت مبتسمة:

- أكيد، اتفضلي.

أخذتها فدلفت غرفة قياس داخلية كبيرة، فأغلقت الباب جيدًا كما طلبت سارة، فجلست وجلست الأخيرة أمامها، ثم تلعثمت فرفعت لثامها، وما إن رأتها حتى وقفت مجحوظة العينين وما لبثت أن احتضنتها بشدة قائلة بصوتٍ باكٍ:

- وحشتيني قوي يا ياسمين، بقى كدا هُنت عليكِ ما تسأليش عليَّ كل السنين دي؟!

قطبت سارة حاجبيها بذهول، وبعد أن أشبعت السيدة حاجتها من احتضانها وتقبيلها أجلستها ثانية، قائلة بلهفة:

- لسَّا عيونك حلوة زي ماهي يا ياسمينة.

نظرت سارة لها بعينين مدمعتين قائلة:

- أنا مش ياسمين!!

جحظت عينا السيدة فنظرت إليها باستنكار دون أن تتحدث، فأمسكت سارة بيدها قائلة:

- أنا نصها التاني، وجيت لك هنا عشان توصليني لأختي.

نظرت إليها بعدم استيعاب، فتلعثمت سارة ثم تابعت:

- أنا هاحكي لحضرتك على كل حاجة.

* * *

- بعد ما قفلتي اتعصب ورمي التليفون، ومن ساعتها وهو مختفي

قالتها نيرة لياسمين التي كانت تجلس أمامها تستمع ببرود، فقالت:

- هو دا الموضوع المهم اللي عايزاني فيه؟

قطبت نيرة حاجبيها قائلة:

- إنتِ إزاي باردة كدا؟ باقول لك أول مرة أعرف إنه عنده قلب زينا وممكن يعيط كان بسببك، مختفي وما حدش يعرف عنه حاجة من الصبح وانتِ شايفة إن دي حاجة مش مهمة؟! هي دي الطريقة اللي بتقولي له بيها شكرًا إنك حافظت عليَّ كل السنين دي؟

وقفت ياسمين قائلة بانفعال:

- أنا ما حدش حافظ عليَّ غير نفسي وما حدش حماني من الوحوش اللي كنت بينهم غير ياسمين، وما يغركيش دموع التماسيح اللي شُفتيها في عيونه، شادي واحد من اللي كانوا عايزين ينهشوا في لحمي وما عرفوش يوصلوا لي.

- اهدي يا ياسمين أنا ما قصدتش.

- شادي زعلان عشان الزباين اللي هتقل والزباين اللي هتقاطع المكان بعد ما مشيت مش أكتر، وجو الحب والهيام والدموع دا وهم، بس عشان ما تكونيش فاكرة إني ممكن أتأثر بالكلمة اللي قالها.

قالتها ياسمين بانفعال، فاتجهت ناحية النافذة فتلعثمت نيرة قائلة:

- مش دي الحاجة المهمة اللي كنت عايزاكِ فيها.

قالت ياسمين ببرود دون أن تلتفت إليها:

- خير؟!

* * *

الفصل الحادي عشر

- أنا وعدت بابا إني هادور عليها وهاعوضها عن كل اللي اتحرمت منه وهي بعيدة عنه، أنا عايشة بنص قلب، بنص روح.. حتى بنص عقل من ساعة ما ياسمين سابتني، حضرتك لازم تساعديني ألاقيها...

كفكفت السيدة دموعها قائلة:

- صدقيني يا بنتي أنا ما اعرفش حاجة عنها من ساعة ما مشيت، ياسمين عاشت معايا لأكتر من 7 سنين، عمري ما شُفتها مبسوطة فيهم مرة واحدة، ولما كنت باسألها ما كانتش بتتكلم وما اعرفش غير اللي قالتهولي، إنها كانت شغالة عند ناس ربنا يسامحهم وهربت منهم بعد ما حاول صاحب البيت يعتدى عليها، وبعد ما هربت جات ع المسجد وهناك عرضت عليها تشتغل معايا وعشنا أكتر من 6 شهور بأمان تام، حتى ولو ما قدرتش أشوف ضحكتها مرة فيهم، بس كفاية إنها كانت بتنام متطمنة لحد ما...

تلعثمت فأكملت بخجل:

- لحد ما رجع ابني من الجيش، وهو وغيره كانت ياسمين بالنسبة لهم فريسة الكل عايز يوصل لها، وأنا -صدقيني يا سارة- كنت باحاول بكل الطرق أحميها، وبفضل الله ما حدش قدر يقرب لها طول ماهي معايا، بس بعدها قررت ياسمين تسيبني بإرادتها.

- يعني كدا من غير سبب؟

- لا يابنتي كان فيه سبب، ابني هو السبب الرئيسي في إن ياسمين تمشي من هنا، إبني كان مجنون بيها من يوم ما شافها، ومن يومها وهو بيحاول يوصل لها

وأنا باحميها منه ومن غيره، وفي يوم أختي تعبت شوية واضطريت أسيب ياسمين وأمشي، وللأسف ما كنتش أعرف إنه مستني على فرصة عشان ينفِّذ اللي في دماغه.

قالت سارة بترقب:

- اللي هو؟؟

- ما تخافيش يا سارة، أنا ابني ممكن يكون مراهق، بس عمره ما فكر يأذيها، اللي في دماغه كان إنه يتجوزها، وفعلًا رجعت اليوم دا ما لقيتهاش في المحل، جريت على فوق لقيت ياسمين قاعدة جنبه خايفة ومش بتتحرك، وهو والمأذون اللي هدده عشان يكتب كتابهم، ونحمد ربنا إني وصلت في الوقت المناسب، وإلا كانت أختك حياتها اتدمرت.

تنفست سارة بأريحية قائلة:

- الحمد لله.

- واللي ابني عمله أنا اتعاقبت عليه وصحيت تاني يوم ما لقيتهاش في البيت، ما لقيتش جنبي غير ورقة لسَّا معايا لحد دلوقتي، كان فيهم كلمتين بس قادرين لحد دلوقتي يخلوني أحس بالذنب ناحيتها...

- إيه همَّ؟

فتحت السيدة حقيبتها وأخرجت منها الورقة وأعطتها إياها، فدمعت عيناها، وهي تقرأ كلمات أختها بخطها الصغير" باحبك قوي ... وعد عمري ما هانساكِ"

قبَّلت سارة الورقة بشوق، فقالت بصوت مختنق -ولكنها كانت مبتسمة-:

- كلميني عنها، قولي لي طبعها، قربيني من قلبها يمكن تحس بيَّ وترحم عذابي وترجع لي...

* * *

- أنا مش فاهمة حاجة يا ياسمين!

قالتها نيرة مبتسمة بعد ما قصت علي ياسمين ما حدث مع حمزة في هذا اليوم، وكانت تستمع ياسمين لكلماتها بنظرة انتصار، وما إن أنهت حتى قالت ياسمين ببرود:

- طب وإيه الغريب في كدا؟

اعتدلت نيرة في جلستها، فقالت بجدية يشوبها الذهول:

- ياسمين أنا ما عدتش فاهماكِ، أوقات كتير باخاف من نظرة عينك وأوقات أكتر بخاف منك إنتِ، حاسة إنه كلنا أدوار مؤقتة في حياتك، سواء أنا أو شادي أو الكباريه بالشغل بكل حاجة، كلنا وسائل في حياتك مش أكتر لحاجة ما حدش يعرفها..

أخفضت ياسمين رأسها بتوتر دون أن تتحدث، فرفعت نيرة رأسها بيدها قائلة بجدية ناظرة في عينيها مباشرة:

- وأنا مش عايزة أعرفها بس عايزة أقول لك حاجة، ساعات في حياتنا بنشوف أشخاص كتير في حياتنا، شخصيات ثانوية مش بنقف عندها وبنبعد عنهم ونكمل ومش بنفتكرهم حتى مرة تانية، بس عمرنا ما سألنا إحنا كنا في حياتهم إيه؟ مش ممكن نتخيل إنهم تعلقوا بينا لدرجة الموت! شادي حبك بجد يا ياسمين، وخالد كان بجد عايز يتجوزك، وأنا حبيتك من قلبي بجد والدليل على كدا إني قدامك دلوقتي، ما تستغربيش كلامي مع سني دا، أنا ما وصلتش للي أنا فيه بمزاجي، بس والله أنا حد كويس وعايزة أفضل في حياتك يا ياسمين..

نظرت إليها ياسمين بذهول فوقفت لتتابع:

- أنا هامشي يا ياسمين، بس قبل ما أمشي عايزة أقول لك على حاجة اوعي

تنسيها، مش قد إنك تبقي في حياة شخص ما تدخليهاش من الأول وتعلقيه بيكِ؛ لأنه أوقات كتير بيكون آخر الفراق الموت.
قالتها نيرة وذهبت لتتركها في ذهول من أمرها، وأخذت تحادث نفسها حوارًا مضطربًا "معقول أنا علقت حد بيَّ لدرجة الموت؟ معقول حد أصلًا ممكن يتعلق بحد لدرجة الموت؟ طب ما انا اتعلقت ببابا أكتر من أي حد تاني وبابا سابني وأنا لسَّا عايشة عادي! ما فيش حاجة اسمها كدا، ما فيش حاجة اسمها حب ما فيش حاجة اسمها تعلُّق أصلًا، كله كدب، مش كانوا بيقولوا ما فيش أقوي من حب الأم؟ طيب مش حب الأم دا رماني في ملجأ وكان سبب عذابي؟! صدقيني يا نيرة أنا مش هاسمح لشوية علاقات فارغة وشوية كلام أفلام يقفوا في طريقي، وهاتخلص من أي حد يقف قدامي ... حتى لو كنتِ إنتِ شخصيًا!

* * *

ظل قابعًا في غرفته بمنزله دون أن يتحرك، يجلس في ظلامٍ دامس حتى دون أن يبدل ملابسه، يتذكر المرة الأولى التي رآها بها حينما عادت أخته لتقول له أنها رأت إحداهن بها من الجمال ما سيدرّ لهما ولعملهما ربحًا لا نظير له، ولم تمر نصف ساعة حتى كان أمام عينيها الساحرتين، فلم يتبع طريقته التقليدية في عرض زواج قد يبوء بالفشل؛ لصغر سنها فيخسر تلك العيون الجميلة، فما كان ليخاطر بذلك وعرض عليها العمل معه في صالته دون أن يخترع أكاذيب لتوافق، وبالطبع كان يتوقع ردها...
- وقتها استفزني بجرأته لدرجة إني قلت له بمنتهى الاحتقار "اطلع برا"

والعجيب وقتها إنه ابتسم، وكأنه كان عارف إن دا بالظبط هيكون رد فعلي، وفعلاً مشي، بس بعد ما ساب لي الكارت بتاعه، وقالي إنه متأكد إني هاوافق، وكمان إنه مقدمًا موافق على كل شروطي وإنه مستني اتصالي، طبعًا، ولأني اتعلمت من الحياة وقتها إني أقبل أي سلم بس المهم أوصل لهدفي، فمش فارق بقى أي سلم صح بقى غلط! مش فارقة، ولأن حياتي وقتها ما كانتش مستقرة بسبب الشيطان اللي بابات معاه في نفس البيت،

قررت أحتفظ بالكارت بتاعه، وبالفعل احتفظت بيه وعرفت ضرورة اللي عملته في اليوم المشؤوم اللي اضطرت فيه صاحبة الشغل (اللي ما اقدرش أسميها بغير كدا ولو كنت شايفة إنه هتستحق إني أشبهها بقسوة الأم كنت قلت لها يا ماما من كتر حنيتها عليَّ) إنها تروح لأختها من غير ترتيب، حتى من غير ما تفكر إن ابنها مستني الفرصة دي عشان ينفذ اللي في دماغه من يوم ما شافني؛ وهو إنه يتجوزني حتى ولو بالغصب، وفي ثانية أخدني بالعافية وطلّعني شقتهم، واللي لقيت فيها المأذون اللي زي ما بيسموهم مأذون علي ما تفرج (وكان حقيقي ناوي يكتب كتابي عليه بغض النظر عن إن سني صغير (حوالي 16 سنة وحبة شهور)

وبغض النظر عن إنه جواز بالإكراه وبغض النظر عن أي حاجة، كان عادي عنده بقى، وقبل ما يبدأ بثواني لقيتها داخلة من باب الشقة بخوف عمري ما شُفته على حد، وطبعًا مش هاقدر أوصف اللي ابنها شافه منها يومها من ضرب وإهانة وشتيمة (جابت لي حقي يعني) بس كان خلاص بقى دي نهاية المطاف معاهم، واحد ما يسواش ربع جنيه كان هيبوظ كل حاجة في حياتي خططت لها وعشت عشان أحققها بمنتهى الغباء اللي في الدنيا، فقررت إن دا هيكون

آخر يوم ليَّ في البيت دا، وقبل ما حد يصحى كنت سايبه البيت ومعايا الكارت اللي شادي سابه لي وكلمته، وما فيش خمس دقايق و جه خدني، وفعلًا وافق على كل شروطي وقتها ورغم إني هاشتغل في كباريه بس كفاية إنه من يوم ما شافني عمره ما بص لي بصة طمع أبدًا، ودا كان كفيل إنه يطمني ويحسسني بالأمان واشتغلت واتعرفت على نيرة وعشنا سوا في نفس الأوضة اللي شادي أخدها لنا عشان نبقى دايمًا قصاد عينه (ودا عشان الشغل ما يتعطلش مش حنان الأم ولا حاجة يعني) المهم فضلت شغالة عنده لحد ما في يوم لقيت أول الخيط اللي بيه هاحقق انتقامي بكل سهولة، أنا كنت مستنية كمان شوية عقبال ما أقدر أمشي في طريقي من غير أي مشاكل (بس حد يقول للرزق لأ) المهم اليوم دا كان هو...

أغلقت ياسمين أوراقها، فقامت لتفتح الباب وابتسمت قائلة:

- ادخل يا أسامة.

- قلقتيني يا ياسمين، موضوع إيه دا اللي ما يستناش للصبح؟

- طيب أدخل بس وبعدين هافهمك.

- يعني باقول بس ليكون حد خالع راسه ولا حاجة.

- هههههه يا واد أدخل.

- أدينا دخلنا، إحم يا ساتر!

* * *

جاء اليوم التالي فذهبت سارة إلى جامعتها، وكانت المحاضرة الأولى للأستاذ

حمزة الذي تعمد ألا ينظر إليها؛ حتى لا يلاحظ أحد غضبه وضيقه والشرر الذي يتطاير من عينيه، وما إن انتهت المحاضرة، حتى ذهب وخلفه الجميع، وكذلك سارة، التي ذهبت إلى المكتبة حيث لا يوجد أحد؛ لتستكمل بعضًا مما ينقصها، وهنالك صعد فوجدها منهمكة في قراءة أحد الكتب، ثم وقفت لتأخذ غيره، وقبل أن تجلس ثانية وجدت من يحاوط ظهرها بذراعيه وينظر إليها مبتسمًا بازدراء، فشهقت بفزع، وقد جحظت عيناها، حاولت بشتى الطرق إبعاده عنها فباءت كل محاولاتها بالفشل، فقالت بغضب:

- اتقِ الله، وابعد عني بقى!

ضحك عاليًا ثم نظر إليها بغضب، لينزع لثامها بقسوة قائلًا:

- خلاص بقى اطلعي من الشويتين دول.

ما إن نزع عنها لثامها حتى أبعدته عنها بقوة، فأخذت لثامها وارتدته وانهمرت في البكاء، هرولت ناحية الباب، ولكنه كان أسرع، فأغلقه سريعًا قائلًا:

- راحة فين يا حلوة يا أم عيون عسلية؟

ثم اقترب منها خطوة ابتعدتها، قائلًا بصوت منخفض:

- ألا.. مش دا اسمك برضه اللي معروفة بيه في الكباريه يا أم عيون عسلية؟!

* * *

الفصل الثاني عشر

- ألا.. مش دا اسمك برضه اللي معروفة بيه في الكباريه يا أم عيون عسلية؟!
نظرت إليه سارة جاحظة العينين، فأخذ يقترب منها خطوات تبتعدها هي، قائلًا بصوتٍ منخفض بعينين مدمعتين:
- ليه؟ ليه عملتِ فيَّ كدا يا سارة؟ ليه ضحكتِ على كل اللي حواليكِ؟ دا انا كنت فاكر إنه ما فيش بنت في الدنيا زيك، كنت فاكر إنه خلاص ما فيش أي بنت لسَّا حافظة نفسها إلا حبيبتي! ما كانش فيه في الدنيا غير سارة! سارة وبس، ليه خدعتيني؟ ليه حرام عليكِ، لا وكمان -وبكل بجاحة- جاية الجامعة تاني عادي وبتحضري محاضراتي وبتطلعي المكتبة وبتقرأي كتب ولا كأنه حصل حاجة؟! كفاية بقى يا سارة كفاية، مش هاقول لك هافضحك وهاعرّف الكل حقيقتك، لأ أنا مش هاعمل كدا يا سارة، أنا اللي هابعد،

لازم أنسى اللي في قلبي ليكِ وبعدها صدقيني هاعمل كل دا، مش هاسيبك تضحكي على حد تاني، سارة إنتِ أقذر واحدة أنا عرفتها في حياتي!
انهمرت سارة في البكاء؛ ليس لما قيل، ولكن لأنها تعلم أن كل ما قيل خاصٌ بأختها ونصفها الآخر، كل ما قيل فهو لها، وحقيقة لم تبكِ وحدها، ولكنه شاركها في البكاء.. وقف ينظر إليها لفترة وينفطر قلبه العاشق لدموعها ويسخّر عقله المخطئ من تلك العبرات، فاستدار وهم بالذهاب، فتح الباب وقبل أن يخرج، استوقفه صوتها قائلة ببكاء:
- دي أختي!

جحظت عيناه فاستدار ينظر إليها بذهول، فتابعت:

- بالله عليك ما تقولش الكلام دا تاني، صدقني هي ما وصلتش للي هي فيه دا بمزاجها، والله صدقني أختي ضحية، ضحية ناس كتير أنا أولهم.

قالتها وانهمرت في البكاء، فلم تستطع أن تكمل، ارتمت على المقعد فتعالى صوت بكائها، فتلعثم وتقدم ناحيتها، جلس أمامها قائلًا:

- سارة أنا مش فاهم حاجة، يعني إيه أختك وازاي؟!

- توأمي، توأمي اللي اتحرمت منه ومش قادرة أرجعه، بالله عليك ما تفكرش فيها كدا، والله كل اللي هي فيه غصب عنها.

- طيب سارة اهدي بس عشان خاطري، أنا ... أنا آسف، بس بالله عليكِ بلاش دموع بقى.

كفكفت سارة دموعها، فقالت بتوسل:

- بالله عليك تودیني لیها، ودیني المكان اللي شُفتها فيه.

- سارة إنتِ بتقولي إيه؟ عايزاني آخدك كباريه؟!

وقفت سارة جاحظة العينين قائلة بذهول:

- كباريه!

* * *

- يا صباح الفل يا قمر.

- يا صباح العسل، تعالى ادخل.

- ما علش متأخر والله يا ياسمين سايب الورشة لوحدها، جيت بس أقول لك

إن كل اللي طلبتيه امبارح تمام يا كبيرة.

- معقول يا أسامة لحقت تلاقي عربية بالسرعة دي؟!

- عيب عليكِ دا انا أسامة، إن شاء الله بالليل هتكون جاهزة، تقدري تستلميها، بس هو حضرتك بتعرفي تسوقي أصلًا؟

- طبعًا يابني، دا أنا بطلة العالم في سواقة التكاتك.

- هههههههه

- مش أنا يا ابني اللي طلبتها؟ يبقى أكيد باعرف أسوق.

- خلاص إشطا يبقى بالليل نكسر القُلة وسيري يا نورماندي على بركة الله.

- هههههه طب يلا يا عم إسماعيل يس زُق عجلك.

- ماشي سلام مؤقت يا جميل.

- سلام.

أغلقت ياسمين الباب فتنفست بأريحية قائلة بصوت مسموع:

- ياااه أخيرًا، كدا فاضل خطوة واحدة بس بعدها بقى نبدأ الشغل اللي بجد.

* * *

- بس ولما رُحت امبارح تاني قالوا مشيت؛ عشان كدا أنا اتجننت

أغمضت سارة عينيها بألم فتابع بتوسل:

- سارة بالله عليكِ سامحيني، أي حد مكاني ما كانش هيفكر غير كدا.

قالت وكأنها لم تسمعه:

- طب وانا هافضل كدا لإمتى؟! كل ما أقرب لها تبعد، كل ما أبقى خلاص فاضل لي خطوة وأوصل لها تضيع مني! هتفضلي تعاقبيني لحد إمتى يا

ياسمين؟!

- ما تخافيش يا سارة أنا هاروح تاني وأسألك عنها، وأكيد أي حد هناك هيقول لي أي حاجة توصلني لها، بس بالله عليكِ تسامحيني ع اللي عملته.

وقفت سارة قائلة بجدية:

- حصل خير يا دكتور وما تتعبش نفسك معايا أكتر من كدا، أنا هاتصرف.

- سارة، اسمعيني أنا...

- بعد إذن حضرتك.

قالتها سارة فذهبت؛ ليجلس بضيق متذكرًا قسوته، وهو ينزع عنها لثامها، فضرب بيده على المنضدة قائلًا بصوتٍ عالٍ منفعل:

- غبي!

* * *

- ما عادش فاضل غير خطوة واحدة وبس وأخلص منها وأحرق قلبها على بنتها، اللي فضلتها عني واللي عيّشتها في نعيم من حقي أنا، من بكرة هتبدأ مصايبك واحدة ورا التانية صدقيني، هعيّشك أسود أيام حياتك ومش هتفوقي منها غير في القبر، ووقتها برضه مش هترتاحي، قدري بعد كدا هيمشي على مزاجي أنا، مش هاسيب الدنيا تلعب بيَّ تاني، الدنيا هتمشي زي ما أنا عايزاها تمشي، وقدري بدأ في الاستسلام يوم ما شُفت (حمزة) اللي قدم لي سارة على طبق من فضة،

يوم ما ناداني باسمها وعرفت وقتها إنه الخيط اللي هيوصلني ليها من غير تعب، وأكيد ما كنتش هاسيبه يبعد عن عيني وبعد ما خرج متعصب وفضل يخبط على عربيته وهو بيتكلم مع صاحبه، عرفت إنه واقع لشوشته وكان لازم أستغل دا؛ لأنه هو دايمًا كدا اللي بيحب بيبقى غبي! أنا عارفة إن آخر طريقي الموت، والكل مش هيقبل بياسمين غير سفاحة قتلت أختها وأمها (باعتبار ما سوف يكون يعني) بس الحقيقة مش كدا،

الحقيقة إننا في زمن المجرم فيه هو الضحية والضحية فيه هو المجرم؛ عشان كدا قررت أكتب وتبقوا معايا لحظة بلحظة من يوم ما اترميت في الملجأ عشان تعرفوا إنه الانتقام ما كانش من جنون أو ظلم مني ليهم أبدًا، الانتقام هو أنسب رد على اللي حصل فيَّ، والمذكرات دي مش هاديها غير لحبيبي، اللي حلمي إني أشوفه مرة واحدة قبل ما أموت، أنا متأكدة إن بابا هيزعل مني، بس لما هيقرأ مذاكراتي هيعرف إني كنت بنتقم ليَّ وليه، وهيعرف إني باحبه قوي وعمري ما حبيت حد في الدنيا دي غيره، متأكدة إنه هيشوفها وهيسامحني، ماهو دايمًا بابا بيسامحني، دايمًا بابا حنين عليَّ، دايمًا بابا بيحبني، بس برضه حبه ليَّ خلاه ضعيف زي ما حب حمزة لسارة خلاه ضعيف وبيتصرف بجنون، ودا اللي خلاني فضلت وراه لحد ما وصل بيته وعرفت البيت، وماعادش فاضل غير إني أعرف هو بيشوف سارة فين! وليلتها روَّحت متأخرة ودا قلق نيرة جدًا.

"– كنتِ فين يا ياسمين؟ إنتِ عارفة الساعة بقت كام؟

- كان عندي شغل.

- شغل؟ بس أنا دورت عليكِ في الصالة وما لقيتكيش.

- كان فيه حاجة؟ "قدرت وقتها أغير الموضوع وفضلت مستنية لتاني يوم،

والساعة 6 بالظبط كنا في الأوضة الجديدة اللي دبرها لي أسامة، وطبعًا نيرة كان لازم تمشي وسابتني على أساس إني هانام، بس ما تعرفش إن النوم مش مخلوق للي زيي، وبسرعة لبست وروَّحت وفضلت مستنية قدامي بيته –طبعًا من غير ما يشوفني- لحد ما نزل وراح الجامعة، عرفت وقتها إنه دكتور في كلية الهندسة اللي سارة فيها) أنا جهل ملاجئ على فكرة، دا للتذكرة بس (وما كانش هيصعب عليَّ أبدًا أجيب رقم سارة من شؤون الطلبة ودلوقتي رقمها معايا، يعني خلاص بالنسبة للدنيا دي من بكرة سارة ميتة...

* * *

الفصل الثالث عشر

- الحقيني يا ماما.
- ما تخافيش يا سارة.
- هموت يا ماما.
- أنا جيالك يا حبيبتي، ما تخافيش.
- ماما!
- سارة!

قالتها والدة سارة بفزع حينما استيقظت من نومها، لتجد أن سارة لم تسقط في البئر ولم تتخلَ عنها والدتها، بل إن كل ما رأت ماهو إلا حلم -أو لنقل كابوسًا- فتلعثمت بأريحية وما لبثت أن هرولت إلى الخارج لتجدها -كالعادة في ذلك الوقت- على سجادة صلاتها تدعو بأن يهدي الله قلبها وأختها، وأن يجمع بينهما، فاقتربت منها فأحاطتها بذراعيها من الخلف، قائلة بحنان:

- حبيبتي إنتِ كويسة؟

ابتسمت سارة قائلة:

- أكيد يا قلبي الحمدلله، ومش هاكون كويسة ليه؟

لم تجب على سؤالها، بل جلست أمامها قائلة بخوف:

- خلي بالك من نفسك يا سارة عشان خاطري، إنتِ يا بنتي الحاجة الحلوة الوحيدة اللي عملتها في حياتي، مش هستحمل إنك تبعدي عني، كفاية قوي بعد ياسمين عليَّ.

- حبيبتي ما تخافيش إن شاء الله ما فيش حاجة هتحصل، دا ربنا كريم، وبإذن

الله قريب قوي ياسمين هتبقي معانا هنا.

- يارب يا حبيبتي يارب.

وأقامت كلتاهما صلاة الفجر ودلفت سارة فغفت، وبقيت والدتها تقرأ القرآن وتدعو إلى الله أن يحفظ بناتها، وبقيت هكذا حتى استيقظت سارة وتناولت الإفطار معها، استعدت لتذهب إلى جامعتها، وقبل أن تذهب استوقفتها والدتها، قائلة بصوتٍ مرتعش:

- بلاش تروحي الجامعة النهار دا يا سارة.

عادت إليها سارة فربتت على يدها، فقالت مبتسمة:

- حبيبتي أنا في رعاية ربنا، ومادام ربنا معايا يبقى ما تخافيش عليَّ أبدًا.

- ونعم بالله يا حبيبتي.

- إن شاء الله مش هاتأخر.

- لا إله إلا الله.

- سيدنا محمد رسول الله، السلام عليكم.

قالتها سارة فنزلت وأغلقت الباب، وقبل أن تصل إلى موقف السيارات، التي تستقل إحداها لتذهب لجامعتها، رن هاتفها برقم غريب فقطبت حاجبيها ثم أجابت:

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام، إزيك يا سارة؟

- مين معايا؟

- أنا اللي انتِ بقى لك كتير بتدوري عليها.

جحظت عيناها، فتابعت ياسمين:

- قلت أختصر عليكِ الطريق بدل ما تدوري كتير.

دمعت عينا سارة قائلة بافرح:

- ياسمين! حبيبتي.

ابتسمت ياسمين بسخرية فقالت:

- أيوة ياسمين! إيه يا سارة مش عايزة تشوفيني ولا إيه؟!

- حبيبتي، دا أنا حلم عمري إني أشوفك وآخدك في حضني زي زمان يا ياسمين.

- تمام يبقى هستناكِ النهار دا.

- حبيبتي قولي لي إنتِ فين وأنا هاجي لك.

- هاستناكِ قدام الجامعة بتاعتك.

- مش هاتأخر يا حبيبتي.

قالتها سارة، فأغلقت ياسمين الهاتف قائلة في نفسها "اتأخرتي قوي يا سارة واللي كان كان."

* * *

- قولي لي هي فين يا نيرة وهاعمل لك اللي إنتِ عايزاه! أي حاجة تطلبيها هنفذها لك بس وصليني لياسمين، أنا عارف إنك أقرب واحدة ليها وأكيد عارفة مكانها..

قالها شادي بصوتٍ فاتر في مكتبه لنيرة، فتلعثمت الأخيرة قائلة بتوتر:

- صدقني يا بوص أنا ما اعرفش مكانها، هي...

- نيرة أنا عارف إنك عارفة مكانها، ومش جايبك هنا عشان تنكري، أنا جايبك هنا عشان أوعدك إني هاعمل لك أي حاجة بس توصليني لياسمين.

- لو سألتك سؤال توعدني تجاوبني بصراحة؟
- أوعدك!
- حضرتك بجد بتحبها؟
ابتسم شادي فقام واتجه إلى النافذة، وقف وشرد بعيدًا قائلًا مبتسمًا:
- في يوم أختي جات قالت لي إنها لقيت بنت جميلة هتنفعنا جدًا في الشغل وما قدرتش أستنى، رُحت معاها، وأول ما شُفت عيونها رُحت في دنيا تانية، اللي حسيته ناحيتها ما كانش طمع لأ، اللي حسيته كان حاجة غريبة على شخص زيي، حاجة خلتني ما كدبتش عليها، حاجة خلتني أتأكد إنها مش هتكون آخر مرة ليَّ قدام عينيها بعد ما طردتني من المحل بعد اللي سمعته مني، وفضلت كتير مستنيها لحد ما جات لي، صدقيني سواء كانت طلبت أو لأ ما كنتش هخلي حد يقرب لها؛ لأنه من أول يوم شُفتها وهي ليَّ أنا، أنا باعشقها يا نيرة، أنا باموت من غيرها، وعد مني مش هاخليكِ تشتغلي تاني غصب عنك، مش هاخلي حد يزعّلك تاني بس وصليني ليها.
أطرقت برأسها قليلًا، ثم قالت بصوتٍ منخفض:
- توعدني ما تأذيهاش؟
- أنا مستحيل أأذيها، وبالرغم من كدا أوعدك.
- تمام،وأنا هاقول لك كل حاجة.

* * *

- ياسمين حبيبتي أنا قدام الجامعة، إنتِ فين؟
قالتها سارة بلهفة لياسمين على الهاتف، فابتسمت الأخيرة بخبث قائلة:

- أنا في العربية البيضة اللي قدامك.

وبكل ما تحمل الكلمة من شوق ولهفة، هرولت سارة ناحية السيارة وركبتها، لتجدها تجلس بوجهٍ صارم، لا تنظر إليها ولا ترى من وجهها الذي أخفته تلك النضارة الكبيرة السوداء إلا القليل، وبالرغم من ذلك بكت سارة فرحًا، وهمت لتحتضنها فأوقفتها ياسمين بيدها، قائلة بجدية دون أن تنظر إليها:

- ما طلبتش أقابلك عشان تحضنيني، فبلاش جو الأبيض والأسود دا.

نظرت لها سارة بصدمة، فرفعت لثامها وأدارت بيدها وجه ياسمين ناحيتها قائلة:

- ياسمين! أنا سارة، بصي لي.

قالتها سارة بصوتٍ باكٍ لياسمين، وهي تنزع عنها نظارتها، ولأول مرة تشعر ياسمين بذلك الضعف بقلبها، وبذلك الشوق لنصفها الآخر، وقبل أن ترى سارة تلك الدموع المترقرقة في عينيها، أبعدت ياسمين يد أختها عن وجهها، فارتدت نظارتها ونظرت أمامها ثانية، فتلعثمت سارة قائلة:

- ياسمين! إنتِ عارفة أنا بقى لي قد إيه بادور عليكِ؟ عارفة أنا كنت عايشة ازاي من غيرك؟! أنا...

- بس بقى!

قالتها ياسمين بصوتٍ عالٍ منفعل أفزع سارة، فنظرت لها بذهول، فتلعثمت ياسمين قائلة، وهي تدير محرك سيارتها:

- مش عايزة أسمع منك ولا كلمة لحد ما نوصل.

قطبت سارة حاجبيها بخوف قائلة:

- نوصل فين؟

ابتسمت ياسمين بخبث قائلة:

- دلوقتي هتعرفي.

قالتها وانطلقت بالسيارة في طريقٍ لا تعرفه سارة، وبالفعل أصابها الوجل، ولكنها لم تتحدث، ولكن كان وجلها يزداد شيئًا فشيئًا كلما خلا الطريق من الناس حتى وجدت السيارة تقف في مكانٍ خاوٍ من البشر ومن أي شيء سوى من كوخٍ صغير، ونزلت ياسمين وتبعتها سارة ودلفتا إلى هذا الكوخ، فنزعت ياسمين عباءتها وحجابها وألقتهما بعيدًا، وكذلك سارة رفعت لثامها، فاقتربت منها بخطوات مضطربة، وضعت يدها على وجنتها قائلة:

- دلوقتي بس أقدر أقول إني نفذت وصية بابا الله يرحمه.

جحظت عينا ياسمين، فنظرت لها بصدمة، وكلمتها الأخيرة تتردد في أذنها "الله يرحمه" فتلعثمت قائلة بصوتٍ مشرف على البكاء:

- يعني إيه الله يرحمه؟

قالت سارة بحزن:

- بابا مات يا ياسمين

ارتمت ياسمين على المقعد، فجلست سارة جوارها قائلة:

- عمره ما نساكِ، وآخر كلمة قالها لي "قولي لياسمين بابا كان بيحبك قوي" مات من كتر حزنه عليكِ، وصيته ليَّ كانت إني أدور عليكِ وأرجّعك البيت وأفضل جنبك.

انهمرت ياسمين في البكاء ومعها أختها، وما إن أشبعت رغبتها من البكاء حتى وقفت قائلة بصوتٍ عالٍ بانفعال:

- أنتو اللي عملتوا فيَّ كدا، أمك اللي رمتني في ملجأ وانتِ، إنتِ اللي فضّلوكِ عليَّ واترميت أنا في الملجأ، وفضلتِ إنتِ في حضن بابا.

- ياسمين، حبيبتي أنا...

كفكفت ياسمين دموعها، فقالت مقاطعة:

- النعيم انتهى يا سارة، وصدقيني من دلوقتي هاعيشكم كل لحظة عذاب وحرمان أنا عشتها لوحدي.

نظرت لها سارة بخوف، فذهبت ياسمين وأحضرت عصا غليظة، وقفت بها أمام أختها، فتلعثمت الأخيرة قائلة بشفاه مرتعشة:

- هتقتلي أختك يا ياسمين؟

ضحكت ياسمين عاليًا، ثم نظرت إليها قائلة بصرامة:

- لأ، أنا مش هاقتلك يا سارة ما تخافيش، دا إنتِ أختي برضه.

فاقتربت منها ثم قالت ناظرة في عينيها مباشرة:

- بس هخليكِ تتمني الموت ومش هتلاقيه.

* * *

- اتأخرتي ليه يا سارة؟ خوفتيني عليكِ يا بنتي، وكمان تليفونك مقفول.

- ما علش يا ماما، المحاضرات النهار دا كانت كتير شوية.

- محاضرات إيه يا بنتي اللي لحد الساعة 11 بليل دي؟! وليه وشك مخطوف كدا؟ فيه إيه يا سارة طمنيني عليكِ؟

- صدقيني يا ماما ما فيش حاجة، بس تعبانة شوية وعايزة أنام.

- طيب مش هتتعشي؟!

- لأ يا ماما مش جعانة، تصبحي على خير.

* * *

- مين دي؟
- ما اعرفش يا ماما قلت لحضرتك إني...
- "مصطفى" اللي يلاقي واحدة مغمى عليها في صحرا يوديها المستشفى مش يجيبها البيت، دي مسؤلية إحنا مش قدها
- يا حبيبتي في المستشفى هيبقى فيها سين وجيم، وأنا ما اعرفش حاجة عنها وبعدين يا ماما أنا ما فكرتش في حاجة وما كانش ينفع أسيبها.
- والمطلوب مني؟
- تخليكِ جنبها لحد ما أجيب الدكتور وآجي.
- طب يا ابني إحنا ما نعرفش عنها أي حاجة، حتى اسمها ما نعرفوش!
- لا، أنا أعرفه.
- منين؟
- لقيت جنبها البطاقة بتاعتها، بس للأسف ما عرفتش أوصل لحاجة؛ لأنها تقريبًا مش من هنا.
- واسمها إيه إن شاء الله؟
- اسمها ... اسمها ياسمين!

* * *

الفصل الرابع عشر

- يعني إيه مشيت يا أسامة؟ إنت بتهزر!

قالتها نيرة منفعلة أمام ورشة أسامة، فقال الأخير:

- والله يا أبلة نيرة أنا ما اعرفش حاجة غير إنها جات الصبح وأدتني مفاتيح الأوضة وقالت إنها ماشية.

قال شادي سريعًا:

- طيب ما قالتلكش هي راحة فين؟

- والله يا أستاذ ما قالتليش.

نظر شادي إلى نيرة قائلًا بخوف:

- أنا خايف عليها يا نيرة، ياسمين مش بخير أبدًا، أنا حاسس بيها.

* * *

- حمد الله على سلامتك.

قالها مبتسمًا، فنظرت إليه سريعًا لترى ذلك الوجه المنير بتلك اللحية القصيرة وتلك الجبهة التي تزينها علامة الصلاة، فنظرت إلى أسفل قائلة بصوتٍ منخفض:

- الله يسلم حضرتك.

جلس على المقعد أمامها وإلى جوار والدته قائلًا:

- عاملة إيه دلوقتي يا آنسة ياسمين؟

- ياسمين! مين ياسمين؟

قالتها بعدم فهم، فتلعثم قائلًا بإشفاق:

- ما تتعبيش نفسك بالكلام دلوقتي، نامي وارتاحي وإن شاء الله بكرة الصبح

نتكلم ... بعد إذنك يا ماما ثانية واحدة.

قالها وخرج، فقامت والدته لتمسح على رأسها قائلة:

- نامي يا حبيبتي وارتاحي.

- أنا فين؟ وإيه اللي جابني هنا؟

- حبيبتي ما تتعبيش نفسك بالكلام دلوقتي، إن شاء الله الصبح نتكلم.

وعدلت من وضع نومها واطمأنت إلى أنها قد غفت، فأطفأت المصباح وخرجت لتجده جالسًا على المقعد، فذهبت لتجلس أمامه قائلة:

- خير يا مصطفى؟ الدكتور قال لك إيه؟

- عندها فقدان مؤقت في الذاكرة، قال إنها اتخبطت بحاجة جامدة علي دماغها، وفعلاً يا ماما أنا لما وصلت هناك ولقيتها لقيت جنبها عصاية كبيرة ممكن تكون هي دي.

- إنا لله وإنا إليه راجعون، طب يا ابني واحدة زي دي أكيد وراها مصيبة، اللي تتخبط وتترمي في الصحرا أكيد وراها حاجة إحنا يا ابني مش قدها.

- عايزة تقولي إيه يا ماما؟ عايزانا نرميها في الشارع وهي حتى مش فاكرة اسمها؟

- أكيد لأ يا ابني، بس طيب قل لي انت نعمل إيه؟ الناس هتقول علينا إيه لما تعرف إن فيه بنت عندنا وانت شاب عازب؟!

- لو على كلام الناس يا ماما أنا ممكن أمشي من البيت، هاروح أقعد في أي حتة عقبال ما الموضوع دا ينتهي.

- لا طبعًا يا مصطفى مش هتمشي، وأنا ليَّ غيرك يا ابني؟

- طب يا ماما قولي لي الحل إيه؟

- إنت أغلب النهار في شغلك، يعني بتيجي ع النوم، وإن شاء الله أنا هابقى دايمًا معاها ومش هاخليها تحتاج إنها تخرج من الأوضة.

- ماشي يا ماما، أنا هاقوم بقى أنام ساعتين قبل الفجر ما يأذن.

قالها ووقف، فتلعثمت والدته قائلة:

- مصطفى!

- خير يا حبيبتي؟

- عايزة أتكلم معاك في موضوع.

مسح بيده على وجهه، فجلس ثانية مبتسمًا قائلًا:

- خير يا ست الكل؟

- مادام ضحكت يبقى عارف أنا هاكلمك في إيه!

- أكيد، هو احنا لينا كلام في موضوع غيره.

- طب يا ابني بقى مش عايز تريحني؟

- يا ماما يا حبيبتي، أولاً تنسى خالص إني ممكن أتجوز بنت أختك، ومش عايز أتكلم في الموضوع دا تاني لأنه بيخنقني، ثانيًا أنا لسَّا ما لقيتش واحدة فيها الصفات اللي أنا عايزها، ومش هاتجوز والسلام أنا يا ماما.

- يا ابني ما هي الصفات اللي انت عايزها مش موجودة أصلا، أنا عشت في الدنيا دي أكتر منك وعمري ما شفت واحدة فيها كل حاجة كدا يا مصطفى.

- وأنا يا ماما ما قلتش عايز فيها كل حاجة، أنا ما يفرقش معايا غير إنها تكون متدينة وبس، ولو لقيتِ واحدة كدا من بكرة نكتب الكتاب، خلاص اتفقنا؟

- يا ابني طب...

- والله عارف إن بنت أختك زي القمر وعينيها خضرا وشعرها أصفر وبتنور في الضلمة وما فيش جمال بعد كدا، شوفي بقى يا والدتي رغم كل دا أنا بقى مش عاوزها تمام؟ وأستحلفك بالله يا حاجة ما تجيبيليش السيرة دي تاني، تصبحي على خير.

- وانت من أهله يا ابني ربنا يهديك ويلين دماغك دي.

ودلف مصطفى فغفا واستيقظ قُبيل الفجر بساعة، ذهب ليتوضأ، وفجأة استوقفه صوتٌ آتٍ من غرفة المعيشة، وليس من المعتاد أن تستيقظ والدته في ذلك الوقت! وكأنه نسي وجودها فذهب ليراها قد بسطت سجادة الصلاة وجلست بعد أن أنهت صلاتها تدعو ربها بدموعٍ لا تتوقف، فابتسم رغمًا عنه بفرح؛ فهو لم يكن يعلم أن هناك من يفعل مثله، بل استيقظت قبله فكيف؟ فهو لا يعرف سوى أنه لم يستطع الحركة فوقف وانفطر قلبه لدموعها إشفاقًا عليها، وهي تدعو ودموعها تزداد شيئًا فشيئًا حتى استطاع سماع أحد تلك الدعوات"أنا مين؟ مش عارفة أي حاجة! إزاي؟! طب إيه اللي وصلني لهنا! يارب دلني علي طريقي أنا مش عايزه أفضل هنا يارب عشان خاطري عرفني انا مين!"

بعد أن أرضت حاجتها من البكاء، قامت فخرجت لتجده في طريقه إلى غرفته، نظرت إلى أسفل بخجل لأنها تعلم يقينًا أنه قد سمعها، وقبل أن تدلف إلى غرفتها استوقفها صوته قائلًا:

- آنسة ياسمين!

استدارت فقالت دون أن تنظر إليه:

- نعم؟

اقترب منها فأعطى إياها مصحفًا صغيرًا؛ فنظرت إلى المصحف ثم رفعت عينيها ببطئ لتجده لم ينظر إليها، ولكنه تلعثم فتابع:

- مش فاضل كتير على الفجر، اقرأي في المصحف عشان ما تناميش.

أخذته من يده قائلة بصوت منخفض:

- شكرًا

- الشكر لله.

قالها وذهب. فدلف إلى غرفته فنظرت إلى مصحفها مبتسمة، فدلفت وأخذت تقرأ فيه حتى أذَّن الفجر وسمعت صوت الباب يُغلّق، فتنفَّست بأريحية وذهبت إلى غرفة المعيشة ثانية، فأقامت الصلاة وما إن أنهت وخرجت، حتى وجدت باب الشقة يُفتح ثانية فدلف ناظرًا لأسفل، وقبل أن تدلف غرفتها سمعت صوته يقول دون أن يتوقف:

- تقبل الله.

قالت كذلك دون أن تستدير:

- منا ومنكم إن شاء الله.

* * *

- سارة حبيبتي، اصحي بقى، الساعة بقت8

استيقظت متثاءبة، فقالت مبتسمة:

- صباح الخير يا ماما.

- صباح النور يا حبيبتي، إيه يا سارة ناموسيتك كحلي ولا إيه! حتى الفجر ما صحيتيش!

- إيه دا هو الفجر أذن؟

- الساعة بقت8

قالت وهي تهم بالوقوف:

- يا نهار أبيض، حرام عليكِ يا ماما، ما إنتِ بتصحي، مش عارفة تصحيني؟

- يا حبيبتي شكلك كان تعبان قوي امبارح صعبتِ عليَّ أصحيكِ.

- ماما! عشان خاطري، تعبانة مش تعبانة ما ينفعش أفوت صلاة الفجر لأي سبب كان.

- خلاص يا حبيبتي حاضر، تعالي يلا عشان تفطري عشان اتأخرتي على الجامعة.
- لا يا ماما أنا تعبانة قوي، ومش هاقدر أروح الجامعة النهار دا.
- سارة! إنتِ بقى لك كتير بتروحي على سطر وتسيبي سطر.
- إيه جو الحضانة دا! صدقيني مش هتيجي من يوم، هاصلي وأحصلك.
- طب بسرعة عشان ما اتأخرش ع المحل.
- تمام ماشي.

* * *

- صباح الخير يا ماما.
- صباح النور يا صاصا، يلا يا حبيبي الفطار جاهز.
- تسلم إيديك يا حبيبتي، إن شاء الله هافطر في الشركة المهم بالله عليكِ يا ماما تخلي بالك منها.
- يا ابني مش محتاج توصيني، دي ضيفة عندنا وأكيد هاشيلها في عينيَّ الاتنين، بس ليه هتفطر في الشركة؟ ما أنت كل يوم بتفطر معايا!
- ما علش يا ماما، أنا مش عايز أبقى موجود في البيت كتير اليومين دول عشانها المهم...

لم يكمل حديثه حينما وجدها تخرج من غرفتها مرتدية عباءتها، التي كانت ترتديها اليوم السابق، وعلى رأسها حجابها، وكأنها في تأهب تام للرحيل، ورغم ذلك ابتسمت قائلة:

- صباح الخير.

قطبت والدته حاجبيها قائلة:

- صباح النور يا بنتي.

نظرت إليه لتجده ينظر إلى أسفل بضيق مقطب الحاجبين، فتنحنحت قائلة:
- شكرًا قوي ع اللي عملتوه معايا امبارح، أنا مش عارفة أقول لكم إيه، بس شكرًا على كل حال.
- يابنتي شكر إيه بس! إنتِ زي بنتي، وبعدين إنتِ لابسة كدا ورايحة على فين؟
- أنا هامشي إن شاء الله، مش هاتقل عليكم أكتر من كدا، كفاية استحملتوني امبارح.
- إيه يا بنتي الكلام دا؟! مستحيل نسيبك تمشي وانتِ في الظروف دي، اعتبريني زي والدتك وما تقوليش الكلام دا تاني عشان ما ازعلش منك
- ربنا يبارك في حضرتك يا طنط، بس ما علش سيبيني براحتي.
- يا حبيبتي...
- ماشي سبناكِ براحتك، تقدري تقولي لي هتروحي فين؟
قالها مصطفى بهدوء مقاطعًا حديث والدته، فنظرت إلى أسفل بخجل ليتابع:
- إن شاء الله لو عليَّ أنا مش موجود في البيت طول اليوم، يعني مش هيضايقك وجودي، كمان مستحيل نسيبك تمشي وانتِ تعبانة، بإذن الله لما ربنا يعافيكِ ابقي اعملي اللي إنتِ عايزاه.
- حضرتك أنا...
- اسمي مصطفى وصدقيني مش هينفع أي كلام تاني لأنه –ولو مهما حصل- مستحيل نسيبك تمشي دلوقتي.
نظرت إلى أسفل بضيق، فنظر إلى والدته قائلًا بصوت منخفض:
- خلي بالك منها يا ماما، وأي حاجة تحتاجها كلميني.
ثم قبل يدها فذهب قائلًا:
- السلام عليكم.

أجابت بصوتٍ منخفض:

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

- يلا يا حبيبتي عشان تفطري.

- شكرًا يا طنط، أنا مش جعانة.

- مصطفى لسَّا ع السلم هتعاندي هاندهولك.

ضحكت رغمًا عنها فأخذتها والدته برفق وأجلستها قائلة بحنان:

- عارفة يا ياسمين! من زمان وأنا كان نفسي يبقى عندي بنت، بس الحمد لله ربنا رزقني بمصطفى، أي نعم عيطت أول ما عرفت إنه ولد بس الحمد لله ربنا جعله من الذرية الصالحة، والحمد لله برضه إنه بعت لي بنت جميلة زيك.

ابتسمت بفرح قائلة:

- حضرتك طيبة قوي.

- ربنا يبارك لي فيكِ، ما تتخيليش أنا فرحانة ازاي إنك هتقعدي معايا، ما تتصوريش الوحدة بتخنقني إزاي.

- إن شاء الله بكرة ربنا يرزقه بالذرية الصالحة اللي تملا على حضرتك البيت.

- يارب يا بنتي يارب، هو بس يبطل تنشيف دماغ ويرضى يتجوز، دا يا بنتي حاطت شروط صعبة قوي في البنت اللي هيتجوزها (طبعًا والدته زي أي ست مصرية أصيلة بتحكي لأي حد أي حاجة في أي وقت)

- ربنا يرزقه الزوجة الصالحة إن شاء الله.

* * *

الفصل الخامس عشر

- عايزة أروح الملجأ النهار دا تاني.

- ليه؟

- يمكن حد يقولي أي حاجة جديدة توصلني لياسمين؟

قالت بعدم اكتراث:

- صدقيني يا ماما كل دا تضييع وقت.

- لازم هاوصل لها يا سارة، أختك آخر أمل ليَّ إنه أبوكِ يسامحني وربنا يرضى عنه.

تلعثمت بتوتر قائلة:

- صحيح يا ماما ليه حضرتك لسَّا متمسكة بالمحل رغم إن معاش بابا ممكن يعيشنا مرتاحين الحمد لله؟

- فعلاً معاش أبوكِ وإيجار المحلات يعيشونا مرتاحين، بس أبوكِ كان بيحب المحل دا قوي، بناه طوبة طوبة من أول ما الشركة استغنت عن العمالة كلها، وبعدها ربنا فتحها عليه والمحل بقى اتنين وتلاتة واربعة، وما كانش أبوكِ بيرتاح غير فيه؛ عشان كدا أنا باخلي بالي قوي من المحل دا يا سارة وباشغَّله على قد ما أقدر، يمكن دا يفرحه ويريحه في قبره.

- تمام، يلا بقى يا قلبي عشان ما تتأخريش.

- خلي بالك من نفسك يا سارة عشان خاطري.

- إن شاء الله يا ماما.

* * *

مرت الأيام، والحياة هي كما هي، يستيقظ هو كل يوم قبيل الفجر بساعة - كعادته- والجديد الذي اعتاده أيضًا أن يسمع صوتها تتلو القرآن في صوتٍ هادئ معتدل جميل يقشعر له بدنه من خشوعه، وأن يذهب فيصلي ويعود، وتكون تلك هي اللحظة الوحيدة التي يلقاها فيها في اليوم كله ويذهب غرفته فيغفو ويستيقظ في الصباح الباكر، فيذهب عمله ويعود متأخرًا في الليل متعمدًا ألا يصادفها،

حتى جاء يوم الخميس الذي قضاه كاملاً في التفكير إلى أين سيذهب في اليوم التالي -يوم إجازته- فهو لا يعرف كيف سيقضي اليوم، ولا مع من ولا يستطيع أن يترك البيت، فوالدته ارتضت بأن يحرمها من مجالسته طوال الأسبوع، أما يوم الجمعة فهو يومها هي ولن ترتضي بغير ذلك، قرر أن يؤثِرْ السلامة، ويظل قابعًا في غرفته وعزم علي ذلك –وكالعادة- رجع بيته متأخرًا فوجد والدته تنتظره فقبل جبهتها قائلًا:

- حبيبتي قلت لك كتير نامي وارتاحي، مش مضطرة تستنيني لنص الليل، وأنا والله مش باكون جعان.

قالت والدته بحزن:

- وهو اللي بقى بينْنَا الأكل وبس يا مصطفى؟

قبّل يدها، ثم أجلسها قائلًا بحنان:

- أنا عارف إني مقصر معاكِ يا ماما بس دي ظروف ولازم نتحملها.

- أنا عارفة يا مصطفى إنك بتخلص شغل العصر، بتروح فين بعدها؟

- باروح الجامع، باصلي العصر وباقعد بعدها أحفَّظ الأطفال قرآن لحد العشا باصلي وآجي.

- يا حبيبي انت مش مضطر تعمل كل دا عشان ما تضايقهاش، أصلًا هي ليل

نهار مش بتخرج من أوضتها، دا أنا بأكَّلها بالعافية.

مسح مصطفى بيده على وجهه قائلًا:

- طب هي عاملة إيه؟

- كل شوية يا ضنايا تقوم من النوم مفزوعة وعرقانة، والله يا مصطفى قلبي بيتقطع عشانها.

نظر مصطفى إلى أسفل دون أن يتحدث، فتلعثمت والدته قائلة:

- خالتك عازمانا بكرة ع الغدا.

مسح بيده على وجهه فزفر بضيق قائلًا:

- ماما! بكرة يوم راحتي، وإن شاء الله عايز أنام براحتي طول اليوم، اعتذري لها عني.

- أنا قلت لها كدا.

- وبعدين؟

- قالت خلاص هتيجي هي و "منال " بكرة.

أطرق برأسه قليلاً ثم رفع رأسه قائلًا:

- ينوروا يا ماما.

قالها ووقف وهم بالذهاب، ولكنه توقف فجأة فعاد إليها قائلًا:

- قدامهم ياسمين تبقى بنت قريب بابا الله يرحمه وجاية تغير عندنا جو يومين.

- ماشي يا حبيبي.

- تصبحي على خير.

قالها ودلف فغفا ساعتين واستيقظ كعادته في ميعاده قبل الفجر، وما إن خرج حتى قطب حاجبيه، حينما لم يسمع صوتها كعادته في ذلك الوقت، فاقترب بخطوات مضطربة ناحية غرفة المعيشة، فوجد المصباح منطفئًا

ليعلم أنها ليست بالداخل فظن أنها ما زالت نائمة، فتوضأ وذهب إلى المسجد المجاور لمنزلهم، وحينما عاد أيضًا وجد الغرفة مظلمة فقطب حاجبيه، وقبل أن يتجه إلى غرفته عاد فدلف إلى غرفة والدته،

وما إن وقف أمامها مباشرة حتى قال بصوت منخفض:

- ماما، ماما حبيبتي.

استيقظت بتثاقل قائلة:

- إيه يا حبيبي انت كويس؟

- آه الحمد لله ما تخافيش.

- أُمال فيه إيه؟

تلعثم قائلًا:

- ما فيش بس ... بس أصله الفجر أذن فقلت أصحِّي حضرتك.

- ما أنت عارف يا حبيبي أني باصحى قبل الشروق أصليه.

اقترب منها قائلًا:

- بصراحة يا ماما أنا قلقان على ياسمين، أول مرة ما تصحاش قبل الفجر، ممكن تقومي تطمني عليها.

ابتسمت والدته قائلة:

- طب ما تقول من الأول.

نظر إلى أسفل بخجل، فخرج ليجلس على المقعد بتوتر، ثم خرجت والدته من غرفة ياسمين، وعلامات القلق تكسوها، فوقف قائلًا بترقب:

- فيه إيه يا ماما؟

- ياسمين مش في أوضتها يا مصطفى.

- نعم!

جلست والدته قلقة وجلة، ولم يستطع هو أن يفعلها وظل هكذا ذهابًا وإيابًا، يدعو الله أن يحفظها أينما كانت، فتلعثمت والدته قائلة:

- اهدى يا مصطفى، هتلاقيها في مشوار وزمانها راجعة.

قال بانفعال:

- يا ماما هو حضرتك بتهدي عيل صغير؟ مشوار إيه دا اللي الفجر! وكمان هي تعرف حاجة هنا عشان تنزل؟ لا يا ماما، أنا متأكد إنها مشيت، طيب هيكون إيه بس اللي زعلها؟!

- لا، أنا متأكدة إنها راجعة.

قال بلهفة:

- ليه؟

- المفتاح اللي بنحطه جنب الباب مش موجود، أكيد هي خافت تزعج حد، فنزلت وجاية على طول إن شاء الله؟

- يا ماما دي بنت أيًا كان، ما ينفعش تنزل الفجر...

ولم يكمل حديثه حينما سمع صوت المفتاح يُدَار في الباب، فزفر بأريحية حينما رآها فدلفت وأغلقت الباب، وضعت المفتاح مكانه واستدارت فجحظت عيناها بخوف حينما وجدته ينظر لها بغضب ووالدته جواره تنظر لها بلوم وإشفاق، فاقترب منها حتى وقف على بعد مناسب، فتلعثم قائلًا بهدوء أرعبها:

- كنتِ فين؟

تلعثمت بخوف قائلة بصوت متهدج:

- كنت ... كنت

قال بانفعال:

- إنتِ عارفة البنت اللي تنزل من البيت دلوقتي بيقولوا عليها إيه؟ طيب إنتِ

مش همك يقولوا عليكِ إنتِ إيه ما فكرتيش فينا؟ ما فكرتيش الناس هتقول ع البيت اللي نازلة منه إيه؟

- والله أنا كنت...

- إنتِ في بيت ناس يبقى تحترميهم وتحترمي البيت اللي إنتِ عايشة فيه.

انهمرت في البكاء فاقتربت منه والدته ووكزته في ذراعه قائلة:

- بالراحة يا ابني مش كدا.

لم يرد أن يرى أحد انفطار قلبه لدموعها، فاستدار وقبل أن يدخل غرفته استوقفه صوتها قائلة بصوت مختنق..

* * *

الفصل السادس عشر

فاستدار وقبل أن يدخل غرفته، استوقفه صوتها قائلة بصوت مختنق:
- أنا ممكن أكون ناسية كل حاجة، بس أكيد لو ربنا حط في قلبنا إيمان مش هيتنسي كمان، وأنا حسيت إني عايزة أصلي فجر الجمعة في المسجد، ولقيت المسجد مش بعيد عن هنا؛ عشان كدا نزلت بس والله ما كانش قصدي أزعَّل حد مني ولا أزعجكم، أنا آسفة.
قالتها، وهي تهرول إلى غرفتها، فارتمى على المقعد خلفه ووضع يده على وجهه مغمضًا عينيه بشدة مستغفرًا، فجلست جواره والدته قائلة بصوت منخفض:
- عمري ما شُفتك خايف على حد كدا.
نظر لها سريعًا ليراها تنظر إليه مبتسمة، فتلعثم قائلًا:
- وأنا عمري ما كنت قليل الذوق مع حد كدا، أنا بني آدم غبي.
قالها فضرب بيده على المنضدة أمامه، فربتت والدته على يده قائلة:
- الصبح لازم تعتذر لها.
- مش هاعرف أتكلم معاها تاني يا ماما، أصلًا مش عارف ربنا زعل مني ع اللي عملته دا ولا لأ، بس أنا نفسي زعلان من نفسي...
ولم يكمل حينما سمع صوت باب غرفتها يفتح، وخرجت هي فوقفت أمامه مباشرة، قائلة بغضب طفولي:
- وبعدين حضرتك ما لكش إنك تزعق لي كدا ولا تسألني كنت فين! أنا ممكن أمشي عادي على فكرة، بس قاعدة هنا احترامًا لوالدتك، وأكيد أنا عمري ما هاخَّلي حد يتكلم عنها نص كلمة، ولو حد هيحاسبني في البيت دا يبقى هي.
طيلة حديثها، وهو ينظر إلى أسفل مبتسمًا واضعًا يده فوق لحيته، وما إن

أنهت كلماتها، حتى قال بهدوء:

- أنا آسف يا ياسمين، أنا بس قلقت عليكِ.

قطبت حاجبيها قائلة:

- لا مش محتاج تقلق عليَّ، أنا مش صغيرة ولما أغلط يبقى اعمل اللي عايزه، ويبقى لازم تسمع اللي قدامك الأول قبل ما تزعق، الرسول قال "لا تغضب" يبقى لا تغضب.

ابتسم قائلًا باستفزاز:

- حاضر.

نظرت إلى أسفل بغضب من طريقته المستفزة، وزاد من ضيقها والدته قائلة مبتسمة:

- لو زعلتها تاني ما حدش هيقف لك غيري مفهوم؟!

تنحنح قائلًا:

- أنا آسف مرة تانية، تصبحوا على خير.

قالها فدلف، فرفعت والدته رأسها قائلة:

- حقك عليَّ أنا يا ياسمين.

- أنا ما رضيتش أرد عليه عشان خاطر حضرتك.

ضحكت والدته قائلة:

- تسلمي لي يا ست البنات.

- شكرًا ... تصبحي على خير

- وانتِ من أهل الخير يا حبيبتي.

* * *

- الله ينور يا أسامة، لا بجد الله ينور.
- بس يا ياسمين الراجل اللي كان معاها دا صعب عليَّ قوي، دا فضل بعد ما قلت له إنك سِبتِ الأوضة قاعد قدامها طول اليوم مستنيكِ.
- هههههه لا ما يصعبش عليك غالي يا اخويا، المهم خلينا في شغلنا وسيبك من الحاجات دي.
- طب إيه رأيك تيجي لي وتفهميني الخطوة اللي بعدها بدل ما كل كلامنا ع التليفون كدا؟
- ما علش يا أسامة خليني بعيدة اليومين دول خالص، كمان فيه حظر تجوال مش هاعرف آجي لك خالص، المهم اسمعني بقى كويس؛ عشان من الخطوة الجاية اللعب هيبدأ على حق.
- سامعك.

* * *

- السلام عليكم.
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، إزيك يا شيخ"بدر"؟
- إزيك يا ندل؟
- هههههه بقى أنا أقول لك يا شيخ بدر وانت تقول لي يا ندل ليه بقى طولة اللسان دي؟
- أقسم بالله انت صاحب فالصو واللي عطاك المشيخة ظلمك.
- هههههه مادام حفظت القرآن أبقى شيخ غصب عنك يا حقود.
- طيب قصر بقى عشان أنا غبي ها.

- هههههه وربنا وحشني يا بدر فينك يا ابني بقى لي أسبوع ما شُفتكش.
- دا على أساس إنك بتيجي المسجد قوي.
- ما علش والله حقك عليَّ، عندي ظروف مخلياني معتكف كل فجر في المسجد اللي جنب البيت.
- ظروف إيه؟
- ياباي عليك، وأنت ما لك يا رخم!
- ماشي يا مصطفى حسابنا بعدين، المهم...
- ها؟
- لازم تيجي تصلي هنا الجمعة ضروري، عايزك في موضوع مهم جدًا!
- موضوع إيه؟
- حاجة كدا يا واد يا مصطفى ولا في الخيال.
- شغلتني!
- لما تيجي هتعرف وتشوف بنفسك، بس ما تتأخرش.
- إشطا هافطر وآجيلك يا أسطا.
- أسطا! مش باقول لك اللي عطاك المشيخة ظلمك!
- هههههه طب يلا سلام يا ظريف.
- هههههه سلام يا كبير.

أغلق مصطفى هاتفه وخرج ليجدها تتضاحك مع والدته وتضع الأطباق على المنضدة، فنظر إلى أسفل قائلًا بصوتٍ منخفض:

- لا ما هو كدا مش هينفع، الحل الأمثل إني أسيب البيت.

نظرت والدته له مقطبة الحاجبين قائلة:

- واقف عندك ليه يا مصطفى؟ تعالى يا حبيبي الفطار جهز.

نظرت إليها بضيق طفولي، ثم تعلثمت فقالت، وهي تتجه إلى غرفتها:

- بعد إذنك يا طنط.

وقبل أن تتحدث والدته، قال بجدية:

- أنا ممكن ما افطرش معاكم عادي على فكرة.

نظرت إلى أسفل بخجل فعادت ووقفت بجانب والدته كالأطفال، فابتسمت والدته قائلة:

- اقعدوا افطروا الله يهديكم.

جلس وجلست -وبينهما والدته- وساد صمت لفترة قطعه مصطفى قائلًا:

- إن شاء الله يا ماما بعد الفطار هاروح لبدر وهارجع بعد الآذان.

- صحيح الواد دا عامل إيه؟

- هههههه أهو عايش والله يا ماما ما بيعملش أي حاجة غير إنه بيدور على عروسة وفي طريقة للرهبنة من كتر اليأس.

- هههههههه طب يا اخويا قُل له يدور لك على عروسة إنت كمان

نظر إلى أسفل بخبث قائلًا:

- لا خلاص يا ماما ما عدتش محتاج أدور على عروسة

قطبت والدته حاجبيها فقالت بعدم فهم:

- يعني إيه؟

قال مبتسمًا وهو يهم بالوقوف:

- يعني تسلم إيدك ع الفطار يا حبيبتي، بس هامشي أنا بقى عشان ما اتأخرش.

فقبّل يدها وذهب إلى غرفته وقال بصوت منخفض فرحًا بأنه قد غلب شيطان نفسه، ولم ينظر إليها طيلة الإفطار:

- اللهم لك الحمد، أيوة كدا بقى!

نظرت إليها والدته قائلة بعدم فهم:

- تفتكري قصده إيه؟

تلعثمت قائلة:

- صدقيني يا طنط مش عارفة أصلًا، ابن حضرتك غامض.

ضحكت والدته حينما خرج من غرفته، واتجه ناحية الباب قائلًا:

- إن شاء الله يا ماما مش هاتأخر.

- مصطفى!

- إيه يا قلبي؟!

- ما تتأخرش، إنت عارف إن خالتك ومنال جايين.

- الله يكرمك إنك فكرتيني.

- مصطفى!

- ربنا يقدرني ع النسيان، السلام عليكم.

رغمًا عنها ضحكت وكذلك والدته، فقالت الأخيرة:

- وربنا يا ياسمين الواد دا هيجنني، والله إنتِ لو تشوفي بنت خالته قمر منور، بس مش عارفة جايب نشفان الدماغ دا منين!

قالت بجدية:

- مش كل حاجة جمال صدقيني يا طنط، أهم حاجة التدين والأخلاق.

ابتسمت والدته قائلة:

- ماهو بيقول لي كدا برضه، بس يا بنتي يقدر يتجوزها ويطبَّعها على طبعه.

- لا يا طنط العلاقة بربنا بتيجي من جوانا إحنا، ما حدش يقدر يطبَّع حد عليها، ما حدش يقدر يهدي حد، إحنا بس ما علينا إلا التذكرة -وقليل لما حد بيتذكر كمان- الله المستعان، وبعدين ابنك عايز اللي تاخد بإيده للجنة، مش

اللي ترجعه ورا، من غير ما تزعلي مني، بس هو صح.

ابتسمت والدته قائلة:

- تعرفي يا ياسمين! مصطفى دايمًا بيوصف لي الزوجة اللي في دماغه والحقيقة ما كنتش أقدر أتصور إن فيه بنت كدا، بس صدقيني أنا حاسة إني شايفاها قدامي دلوقتي.

احمرت وجنتاها، فنظرت إلى أسفل بخجل دون أن تتحدث، فرفعت والدته وجهها قائلة مبتسمة:

- أنا حبيتك لدرجة أني باقول لك اللي في قلبي من غير تكلُّف، حد يزعل من ماما برضه؟!

ابتسمت بفرح، فاحتضنتها قائلة:

- ربنا ما يحرمنيش منك، أنا متأكدة إن أنا عندي أم، بس كمان متأكدة إني باحبك قدها بالظبط.

- عارفة يا ياسمين! أنا مش قادرة أتخيل إنه ممكن تبعدي عني تاني، يا ريتك تفضلي معانا على طول.

تلعثمت بخجل فقالت بصوتٍ منخفض:

- أنا هاقوم أصلي الضحى بقى، بعد إذن حضرتك.

* * *

- من يومها ما شُفتهاش يا علاء، حاسس إني هاتجنن.

- مش بتحضر لك المحاضرات يعني؟

- مش بتيجي الجامعة أصلًا، حتى آية صاحبتها ما تعرفش عنها حاجة، بتقول لي بارن عليها ودايمًا تليفونها مقفول.

- غريبة طب والعمل؟

- هجيب عنوانها من شؤون الطلبة وهافضل قدام بيتها، ويا تنزل يا هاتجنن وأطلع أسأل عنها.

- بلاش جنان وفكر بعقل.

- يا علاء أنا ما عادش فيَّ عقل، اللي عملته فيها ما كانش شوية، أنا جرحتها - وبكل قسوة مني- وهي أصلًا كانت مجروحة بما فيه الكفاية، يعني ما كانتش ناقصاني، لازم تسامحني يا علاء، لازم.

- طيب استنى يومين كمان، ولو ما رجعتش الجامعة يبقى فيه حل تاني وقتها إن شاء الله.

- يارب يا علاء ترجع يارب.

* * *

- معقول اللي بتقوله دا يا بدر؟!

- صدقني يا مصطفى أنا عملت زيك كدا أول ما سمعته، اتخلى عن كل حاجة، عن فلوسه وشركاته وعيلته، اتخلى عن كل حاجة حرام كسبها في يوم من الأيام، عشان بس ربنا يقبله عنده تاني، جه ومش عايز يمشي من المسجد.. على طول سرحان وحاسس إنه ضايع، دايمًا لوحده لا بياكل ولا بيشرب ولا بيتكلم مع حد، مصطفى ما ينفعش نسيبه، وأنا للأسف المسجد والخطب والدروس شاغلين وقتي كله، ومش عايز أدي الثواب دا لحد غيرك.

ابتسم مصطفى بفرح قائلًا:

- واحد زي دا ما يتسابش، إن شاء الله هافضل جنبه، مش هاسيبه يا بدر.

- كنت عارف إنك قدها.

- الحمد لله، هو فين؟

- في مكانه المعتاد في المسجد.

- طيب أنا هاروح أتكلم معاه شوية.

- تمام، تعالى معايا أعرفك مكانه.

- تمام، يلا بينا

وقام مصطفى فعرف مكانه وتركه بدر، فذهب بمفرده وجلس أمامه مباشرة قائلًا مبتسمًا:

- تقبل الله!

ابتسم بحزن قائلًا:

- منّا ومنكم إن شاء الله.

تلعثم مصطفى قائلًا (محافظًا على ابتسامته):

- تفتكر هو دا الحل؟ تفضل قاعد كدا لا أكل ولا شرب ولا شغل ولا أي حاجة؟ كدا ربنا هيرضى عنك يعني؟

ابتسم بألم قائلًا:

- أكلت كتير وشربت أكتر واشتغلت أكتر وأكتر، وكان نهاية كل دا إيه؟ نسيت ربنا ونسيت إن فيه آخرة، غرتني الدنيا بجمالها لحد ما غرقت فيها، طب وبعدين؟ ولا أي حاجة، حتى اللحظة اللي فُقت فيها للحقيقة دي كانت برضه في معصية، أنا خلاص حاسس إن توبتي متأخرة قوي.

ربت مصطفى علي يده قائلًا بفرح:

- تعرف إنك أحسن عند ربنا من ناس كتير قوي؟ دا بدل ما تحمد ربنا إنه اصطفاك وميزك عن كتير من الغافلين اللي لسَّا الدنيا لاهياهم وهتفضل لاهياهم لآخر يوم في عمرهم قاعد كدا زعلان؟ لا مش صح إن توبتك أتأخرت، بالعكس تمامًا أنت لسَّا شاب ولسَّا بتتنفس وما دام عايشين يبقى عمر توبتنا ما اتأخرت، مادام لسَّا رحمة ربنا واسعة ولسه بابه مفتوح لينا يبقى عمرنا ما

هنتأخر أبدًا، اللي بيتأخروا دول اللي بيكتشفوا حقيقتهم على فراش الموت، واللي أعوذ بالله حتى الشهادة لسانهم بيعجز عنها، صدقني إنت ربنا بيحبك، وبيحبك قوي كمان.

انهمر في البكاء كطفلٍ يتيم، فربت مصطفى على كتفه قائلًا:

- عيط، عيط وخرج كل الحزن والذنوب اللي جواك، اندم على كل لحظة عصيت فيها ربنا، اغسل نفسك بدموعك، وابدأ طريق الجنة طاهر لأنك تستحقها.

بعد أن أرضى حاجته من البكاء، قال له بصوتٍ منخفض بتوسل:

- مش عايز أرجع تاني، عايز أروح لربنا بقى، مش عايز أبعد عنه تاني، عشان خاطر ربنا ما تسيبونيش أنا محتاجكم جنبي.

احتضنه مصطفى حضنًا هو في أمس الحاجة إليه، فقال بصوتٍ هادئ:

- وعد قصاد ربنا عمري ما هاسيبك، ويلا قوم معايا.

كفكف دموعه قائلًا:

- على فين؟

- شششش معايا بقى وأنت ساكت.

ابتسم بفرح، فتابع مصطفى:

- صحيح ما قُلتليش اسمك إيه؟

ابتسم قائلًا:

- خالد!

* * *

الفصل السابع عشر

- صحيح ما قُلتليش اسمك إيه؟

ابتسم قائلًا:

- خالد!

- عاشت الأسامي، وأنا -وبلا فخر وربنا يحميني ويحرسني ياربى -اسمي مصطفى-

ضحك خالد رغمًا عنه، فتابع مصطفى:

- سبحان الله، كل التائبين حلوين وزي القمر دايمًا كدا مش عارف إيه العلاقة، بس إشطا سيبك أنت.

ابتسم خالد بفرح، فأخذه مصطفى من يده برفق قائلًا:

- رغاي قوي، يلا بينا!

ابتسم خالد قائلًا:

- يلا بينا.

* * *

- منورانا يا أم منال.

- دا نورك يا أم مصطفى عاش من شافك، مشغولة عننا قوي اليومين دول؟

- حقك عليَّ، بس انشغلت شوية بضيفة زي العسل.

- ضيفة! مين دي؟

- تبقى بنت ابن عم أبو مصطفى الله يرحمه، جات هي ومامتها من كام يوم

عشان يشوفونا، وأنا صممت تقعد معانا كام يوم تونسني، ما شاء الله زي العسل.

- تقعد معاكو إزاي؟ ومصطفى وافق؟

- أكيد يا حبيبتي، البنت ما شاء الله محترمة جدًا، وهو عارف إني بازهق من القعدة لوحدي؛ عشان كدا طلب منها تقعد معانا يومين.

رفعت منال حاجبها قائلة:

- كمان هو اللي طلب؟ غريبة دي!

تلعثمت والدته قائلة:

- حالًا تيجي تقعد معاكم هتحبوها قوي ... ياسمين حبيبتي تعالي.

خرجت من غرفتها مبتسمة، فنظرت لها منال ووالدتها نظرة متفحصة، فقالت بصوت هادئ:

- السلام عليكم.

أجابت كلتاهما السلام ببرود، فأخذت والدة مصطفى يدها برفق قائلة:

- تعالي يا حبيبتي اقعدي.

جلست مبتسمة قائلة:

- من كتر ما طنط كلمتني عنكم كنت هاموت وأشوفكم، خصوصًا منال.

ابتسمت والدة منال لحديثها العذب، بينما نظرت إليها منال بغيظ فتابعت:

- بصراحة يا منال طنط قالت لي كتير إنك حلوة، بس برضه ما عرفتش توصفك زي ما أنا شايفاكِ دلوقتي ربنا يحميكِ

ابتسمت منال بتكلُّف، فقالت والدتها:

- ربنا يحفظك يا ياسمين، إنتِ اللي عيونك حلوة زيك.

- ربنا يعزك يارب.

تنحنحت والدتها فتابعت:

- إنتِ ... إنتِ مخطوبة يا ياسمين؟!

- لا لسَّا ما حصلش نصيب الحمد لله.

- عن قريب إن شاء الله.

- بإذن الله.

تلعثمت والدتها فنظرت لوالدة مصطفى نظرة تفهمها، ثم قالت:

- ممكن دقيقة يا أم مصطفى؟ بعد إذنكم يا بنات.

- اتفضلي يا طنط.

وما إن دخلت، حتى تلعثمت منال قائلة بابتسامة كاذبة، لا تخفى على من أمامها:

- وانتِ بقى ما اتخطبتيش ليه لحد دلوقتي؟

- لسَّا أجل خطوبتي ما جاش يا قمر.

- طيب يعني وانتِ فيه حد في بالك؟

ابتسمت لطريقتها الطفولية، فأجابت:

- ما ينفعش يكون فيه حد في بالي، في رأيي دي تبقى خيانة للإنسان اللي ربنا كاتبه ليَّ، ولا إيه؟

ابتسمت منال بغيظ قائلة:

- آه آه أكيد، تعرفي إن مصطفى بيحب البنات اللي من نوعك دا قوي؟

ابتسمت دون أن تتحدث وظلت هكذا، أما في غرفة مجاورة حيث يجري حوار مشابه..

- إيه حكاية البنت دي يا أم مصطفى؟

- والله يا حبيبتي لا حكاية ولا حاجة، بس أنا قلت تغير جو عندنا يومين و...

- إنتِ عارفة مصطفى كان بيرفض بشدة إزاي إن منال تبات هنا لأي سبب من الأسباب إلا وأنا معاها، فجأة كدا يطلب من واحدة تسيب بنتها معاكم عادي كدا؟

- مصطفى عمل كدا عشاني؛ لأنه اضطر يتأخر في شغله الأسبوع اللي فات لنص الليل وخاف يسيبني لوحدي.

- ما تزعليش مني، بس أنا مش متطمنة للموضوع دا نهائي يا أم مصطفى.

- صدقيني ما فيش أي حاجة من اللي في دماغك، مصطفى مش في دماغه الجواز دلوقتي خالص.

- لازم يبقى في دماغه يا أم مصطفى، دي البت هتتجنن عليه، هتموت وتشوفه، نفسي أعرف بس إيه اللي مش عاجبه فيها؟ هو فيه في جمال منال؟!

- صدقيني يا حبيبتي الرفض مش لمنال نفسها، الرفض للبنات كلها، هو مش عايز يتجوز دلوقتي خالص.

- خلاص يا أم مصطفى وأنا هاصدقك، بس يوم ما أعرف إنه خطب بنت تانية غير منال هيبقى فيه كلام تاني.

نظرت والدة مصطفى إلى أسفل بتوتر قائلة بصوت منخفض:

- ربنا يستر.

* * *

دلف مصطفى إلى المنزل بهدوء كعادته، وما إن رأته منال حتى وثبت من مكانها كالأطفال قائلة بفرح:

- مصطفى! وحشتني.

جحظت عيناه بذهول دون أن يتحدث، فتلعثمت منال قائلة بخجل:

- قصدي ليك وحشة يعني.

نظر مصطفى إلى أسفل دون أن يتحدث، حتى وقفت الأُخرى كذلك فاتجهت إلى غرفتها، وقبل أن تدلف إليها، استوقفها صوته قائلًا بتلقائية دون تفكير لبرهة:

- ياسمين رايحة فين؟

نظرت له بذهول وكذلك فعلت منال، فتلعثم قائلًا بخجل:

- قصدي ماما فين؟

- جوا، بعد إذنكم.

قالتها ودلفت، فذهب مصطفى وأخرج هاتفه ثم خلع ساعته، فوضعهما على المنضدة، وجلس فوق مقعد على مسافة منها، قائلًا دون أن ينظر إليها:

- إزيك يا منال؟

ابتسمت قائلة:

- الحمدلله يا مصطفى، صدقني ما دام شُفتك أكيد كويسة.

- يستاهل الحمد، وأخبار جامعتك إيه؟

- تمام الحمدلله، ادعي لي بقى آخر سنة.

- ربنا معاكِ يارب.

- يارب، مش بتسأل ليه بقى؟

- والله يا منال مش بافضى خالص، من الصبح لبالليل في الشركة، ومش بارجع غير نص الليل.

- آه عشان كدا جبت قريبتك دي تقعد مع خالتو؟

ابتسم لتذكرها قائلًا:

- قصدك ياسمين؟

- وأنت ما لك فرحت كدا ليه؟ أيوة ياسمين.

تنحنح قائلًا:

- لا عادي يعني مش بالظبط، بس ماما حبت أنها تكون معاها شوية مش أكتر.

- تمام وأنت...

- ومصطفى كمان وصل أهو.

قالتها والدة منال، فوقف مصطفى مبتسمًا فقبل جبهتها قائلًا:

- وحشتيني موووت يا زوزا.

- لا والله، أبلفني يا واد كالعادة.

- هههههه وأنا أقدر برضه يا زوزا دا إنتِ الحتة اللي ع الشمال.

تعشق مداعبته تلك وأقصى أمانيها أن يتحدث إليها في يوم مثلما يتحدث إلى والدتها الآن، فكانت تستمع إليه مبتسمة، ولا تبعد عينيها عنه، فجلس مصطفى وبجواره خالته التي وكزته في ذراعه قائلة:

- أنت ندل؟

- إيه دا إنتِ تعرفيني، سبحان الله! معاكِ ندل من أسكندرية يا أفندم

كتمت ضحكاتها قائلة:

- مصطفى ما تضحكنيش أحسن لك، أنت عارف إنك بقى لك أسبوع مبتسألش عليَّ، وأنا مش متعودة منك على كدا، اخص عليك، هو من لقى أحبابه نسي أصحابه ولا إيه؟

ضحك عاليًا قائلًا:

- يا زوزا يا جامدة، آه يا فاهمني أنت.

نظرت إليه منال بخوف وغضب، فتلعثمت والدتها قائلة بعد أن رأت ملامحها

- يعني إيه؟ فاهماك إزاي يعني؟

ابتسم مصطفى بخبث قائلًا:

- اللي فهمتيه يا زوزا، ماما أنا هاموت من الجوع.

تلعثمت والدته قائلة بصوت متهدج:

- حالًا يا حبيبي والأكل هيكون جاهز.

- تمام عقبال ما أغير، وعقبال ما تنادي على ياسمين كمان، بعد إذنكم.

قالها وذهب فدلف إلى غرفته، فوقفت منال وهرولت ناحية الشرفة مع خروجها من غرفتها، فقطبت حاجبيها قائلة:

- فيه إيه يا طنط منال مالها؟؟

نظرت والدة مصطفى إلى أسفل، وقبل أن تلاحظ علامات الغيظ علي وجه والدة منال، دلفت إلى الشرفة كذلك لتجدها جالسة على المقعد منهمرة في البكاء، فنظرت إليها بإشفاق فمسحت على رأسها ورفعت رأسها فوقفت سريعًا قائلة بصوت مختنق:

- فيه إيه بينك وبين مصطفى؟

قطبت حاجبيها فتابعت منال بضعف باكية ثانية:

- عشان خاطري ريحيني، فيه حاجة بينك وبينه؟

مسحت على رأسها ثانية قائلة مبتسمة:

- حبيبتي صدقيني ما فيش أي حاجة بينْنَا، أصلًا ما فيش حاجة اسمها أنا ومصطفى، منال أنا هنا ضيفة، يومين بالظبط وهامشي تاني ما تقلقيش

نظرت منال إلى أسفل دون أن تتحدث، فتنحنحت الأخرى قائلة:

- بعد إذنك!

قالتها وخرجت من الشرفة مع خروجه من غرفته، فذهبت إلى المطبخ لتساعد والدته وأختها في إعداد الطعام دون أن ينظر أي منهما للآخر أو يتفوه ببنت

شفه، وما إن انتهوا من وضع الطعام، حتى وجدوا منال تخرج من الشرفة مبتسمة، فجلسوا جميعًا يتناولون غداءهم، وساد الصمت لفترة حتى تنحنحت والدة منال، فقالت موجهه حديثها لمصطفى:

- وأنت إيه بقى يا أخ مصطفى؟ مش تناوي تفرحنا بيك؟!

قال مداعبًا كعادته معها:

- إيه يا زوزا عندك عروسة ولا إيه؟

- يا قلبي أنت بس قول موافق وعروستك عندي.

ابتسم قائلًا بجدية:

- شايلينك للتقيل يا زوزا، إن شاء الله عن قريب هسمَّعك خبر يفرحك

نظرت منال إلى والدتها بخوف، فنظرت الأخيرة إلى أسفل دون أن تتحدث، فقالت منال بتحدٍ وجدية:

- أظن يا مصطفى مع وجود ياسمين مش هيبقى عندك مانع إني أقضي مع خالتو يومين؟

زفر مصطفى بضيق قائلًا:

- منال! إحنا اتكلمنا في الموضوع دا كتير وانتِ عارفة رأيي فيه.

وقفت منال قائلة بانفعال:

- وإشمعني هي ما مانعتش وجودها، بالعكس أنت كمان اللي طلبت إنها تبقى مع خالتو! إنت ليه بتعمل معايا كدا؟

وقف قائلًا بانفعالٍ مماثل:

- لأنها خطيبتي وكلها أسبوع إن شاء الله وهتبقى مراتي، وأنا عايزها تبقى جنبي طول الوقت، ودي حاجة أنا حر فيها!

* * *

الفصل الثامن عشر

وقف قائلًا بانفعالٍ مماثل:

- لأنها خطيبتي وكلها أسبوع إن شاء الله وهتبقى مراتي، وأنا عايزها تبقى جنبي طول الوقت، ودي حاجة أنا حر فيها!

وقف الجميع مذهولًا، فتلعثمت منال قائلة بعدم تصديق:

- يعني إيه يا مصطفى؟!

قال بجدية:

- يعني اللي سمعتيه يا منال.

سالت دموعها على وجنتيها وظلت تنظر إليه دون أن تتحدث، ثم نظرت إليها بكراهية وغيظ، هرولت للخارج وتبعتها والدتها بعد أن قالت لمصطفى:

- شكرًا قوي يا مصطفى، حقيقي شكرًا.

- استني بس يا أم منال.

قالتها والدته محاولة اللحاق بأختها، ولكنها لم تستطع، فأغلقت الباب وعادت قائلة بلوم:

- ليه يا مصطفى؟ ليه يا ابني عملت كدا؟

لا إراديًا نظر إليها ليجدها تنظر إليه بذهول، فنظر إلى أسفل قائلًا بجدية:

- أنا ما كدبتش يا ماما، هي دي الحقيقة وهو دا اللي هيحصل.

قالها وذهب سريعًا إلى غرفته، فنظرت إلى أسفل بخجل قائلة لوالدته، التي ارتمت على المقعد ثانية، فوضعت يديها على وجهها:

- أنا آسفة يا طنط والله، مش قصدي أسبب كل المشاكل دي أنا...

ربتت والدته على يدها قائلة:

- إنتِ ما غلطتيش يا بنتي، اللي حصل أنا كنت عارفاه، بس اللي ما كانتش حاسبة له حساب هو إن مصطفى يعرَّفهم وفي الوقت دا بالذات يا بنتي! منال دي بتحب مصطفى من وهي في اللفة، مش سهل عليها أبدًا اللي قاله.

ابتسمت ياسمين قائلة:

- وأنا يا طنط مش هاقبل إن يحصل مشاكل بسببي.

قالت والدته بترقب:

- يعني إيه؟

- يعني أظن جه الوقت اللي لازم أمشي فيه.

وقبل أن تجيب والدته، خرج هو من غرفته قائلًا بانفعال:

- تمشي تروحي فين؟ يعني إنتِ ما سمعتيش الكلمتين اللي لسَّا حالًا قايلهم؟

نظرت إليه بذهول فتابع:

- بصي يا ياسمين أنا مش مراهق عشان أقول أنا ما اعرفهاش أو لسَّا مقابلها من أسبوع، اللي في قلبي موجود في قلبي من يوم ما شُفتك وأنا مش هاعاند، ومش محتاج أسألك عن رأيك لأنه ربنا مستحيل يعذبني بحاجة زرعها في قلبي ليكِ، مستحيل، من ساعة ما سمعت صوتك في القيام وفي قراءة القرآن عرفت إن ربنا استجاب دعوتي ورزقني بيكِ.

نظرت إلى أسفل دون أن تتحدث، فابتسم فتابع:

- تتجوزيني؟

نظرت إلى والدته لتراها مبتسمة، فابتسمت دون أن تتحدث فتابع:

- تمام يبقى على بركة الله، ولأني مش أناني ولأنك ما تعرفينيش، فأكيد هيبقى فيه بينْنَا رؤية شرعية وصلاة استخارة زي أي بنت، أنا عمري ما هاحرمك من

حاجة زي دي.

نظرت إلى أسفل بخجل دون أن تتحدث، فتابعت والدته بفرح:

- تمام يبقى مستنياك بكرة يا هندسة عشان تطلب إيديها مني وتبقى أول رؤية شرعية، مش يمكن ما تعجبهاش!

ابتسم مصطفى قائلًا بخبث:

- والله دي حاجة ترجع للعروسة يا أم مصطفى.

قالها وذهب غرفته فرحًا، وللمرة الأولى ينبض قلبه بمثل تلك السرعة أو بمثل ذلك الفرح، فأغمض عينيه قائلًا في نفسه "الحمدلله، وأخيرًا!"

(ولكن -وكما هو معتاد- تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن)...

* * *

- إيه يا مامتي مش هتروحي المحل النهار دا ولا إيه؟!

- إيه يا بت يا سارة، ما إنتِ عارفة إني مش باروح الجمعة.

- باهزر معاكِ يا مامتي، المهم...

ولم تكمل حينما سمعت صوت دقاتٍ عنيفة على الباب، فهرولت ففتحت، لتجد أحدهم يقول لوالدتها:

- إلحقينا يا ست هانم، المحل ولع..

- إيه؟!

قالتها والدتها بفزع، فارتدت عباءتها سريعًا وكذلك فعلت ابنتها، وهرولت كلتاهما لتجدا النيران قد اشتعلت بالمحل من كل حدب وصوب حتى أصبح

إنقاذه أمرًا صعبًا، بل محال، وبعد قضاء ما شاء الله لهما وللجيران في إطفاء الحريق، دلفت فوجدت النيران، وقد خرّبت كل ما فيه من بضاعة وأشياء تخصها، وصور لها وزوجها، وأشياء تتعلق به، مثل: سبحته التي كان لا يضعها من يده؛ فارتمت على الأرض دون أن تتحدث، وانهمرت ابنتها في البكاء، فقالت بذهول:

- إزاي يا ماما! إزاي دا حصل؟

رد أحدهم:

- والله ياست هانم ما حدش عارف حاجة، في ثانية النار مسكت في المحل كله من أوله لآخره، تحبي نبلغ البوليس؟

وقفت والدتها قائلة بصوت مختنق:

- لا يا اخويا كتر خيرك.

- لو احتجتِ أي حاجة يا أم سارة أنا في الخدمة، السلام عليكم.

- وعليكم السلام.

قالتها فارتمت بين ذراعي ابنتها، وانهمرت في البكاء قائلة:

- حتى المحل ضاع مننا يا سارة، الحاجة الوحيدة اللي كانت بتخلي أبوكِ راضي عني كمان ضاعت مني، أنا خلاص يا بنتي والله تعبت.

احتضنتها بشدة قائلة بصوتٍ باكٍ:

- قدر الله وما شاء فعل يا ماما، الوقت اتأخر، خلينا نروح، وإن شاء الله بكرة ربنا يحلها من عنده.

- يارب يا بنتي يارب.

وبعد أن وصلا البيت، قالت والدتها:

- أنا هادخل أنام شوية يا سارة، مش قادرة أقف على رجلي.

- تعالي يا حبيبتي، مش هاسيبك غير لما تنامي، ما تقلقيش أنا جنبك.
وبالفعل دلفت معها ولم تتركها حتى اطمأنت إلى أنها غفت، فقامت بهدوء واتجهت ناحية الباب، ثم توقف فجأة فاستدارت فكفكفت دموعها وابتسمت بخبث قائلة في نفسها "صدقيني دي بس البداية، من النهار دا هيبدأ العد التصاعدي للأيام السودا في حياتك، وفري دموعك؛ لأنك هتحتاجها قوي بس مش دلوقتي، صدقيني هتتمني الموت ومش هتلاقيه، وعد مني هادفّعك تمن يُتمي عشرين سنة، عشتهم في حرمان وعذاب وشقا واستحملت بس عشان اليوم دا، اليوم اللي أروي فيه قلبي بدموعك دي، نامي كويس قوي؛ لأن السهر هيبقى كتير الفترة الجاية، يا .. يا أُمي!!
ثم أطفأت المصباح وخرجت، فأغلقت الباب ثم أخرجت هاتفها، وقامت بالاتصال عليه، وما إن أجاب حتى ابتسمت قائلة:
- الله ينور يا أوس أوس!

* * *

وفي صباح اليوم التالي، وبعد أن اطمأنت والدة مصطفى إلى أنه قد ذهب للعمل، ذهبت لترى أختها، وما إن دقت جرس بابها، حتى فتحت الأخيرة الباب، فقالت بضيق:
- اتفضلي يا أم مصطفى.
- يزيد فضلك يا أم منال.
دلفت فجلست، ثم تنحنحت قائلة:

- حقك عليَّ أنا يا أختي من اللي مصطفى عمله امبارح.
- اللي يعتذر عن الغلط هو اللي عمله يا أم مصطفى.
- فين غلطه بس يا أم منال؟ هو حبها وعايز يتجوزها، إيه الغلط في كدا؟

وقفت والدتها قائلة بانفعال وصوت عال:

- إيه الغلط في كدا؟! يعني لما يفضل 20 سنة معلق منال بيه وفي الآخر يقول لها هاتجوز واحدة تانية دا مش غلط؟ دي البت دموعها ما نشفتش من امبارح.
- حقك عليَّ أنا يا اختي.
- هي كلمة واحدة يا أم مصطفى، لو ابنك اتجوز البنت دي تبقى لا إنتِ أختي ولا أعرفك، وتنسي خالص إنه كان ليكِ أخت في يوم من الأيام، ولو شايفاني مهمة في حياتك أكتر من البنت دي يبقى مستنياكِ النهار دا إنتِ ومصطفى عشان تطلبوا إيد منال مني.

جحظت عيناها، فقالت بصوت متهدج:

- بس...
- أنا كلامي خلص يا أم مصطفى.

* * *

- السلام عليكم.
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.
- أنا يا ابني قلتلك أمبارح تروح تظبط نفسك وتاخد دُش وتغير هدومك،

وبلاش جو أبو الليف دا عشان تبدأ حياة جديدة بس على نضافة ... حصل؟

- هههههه حصل!

- أومال يا عم أنت من امبارح ما كلمتنيش ليه، أنتو البانيو عندكم واسع قوي كدا؟

- هههههه لأ والله، بس كان الوقت اتأخر وخُفت يكون...

- شششش بلاش حجج، المهم اسمعني!

- سامعك يا حبيبي.

- أنا بدر قال لي إنك اتخليت عن كل فلوسك وشغلك وكل حاجة عندك، مش كدا؟

ابتسم خالد قائلًا:

- الحمد لله،

- تمام إنت خريج إيه؟

- حاسبات ومعلومات، ليه؟!

- تمام قوي كدا، عشان فيه إعلان هنا في الشركة عايزين موظف للحاسبات

- بجد؟

- والله بجد، يلا بقى اكتب عنوان الشركة وجيب ورقك وما تتأخرش.

ابتسم خالد بفرح قائلًا:

- شكرًا يا مصطفى.

- يابني على إيه؟ ما أنا من أول ما عرفتك وأنا خيري عليك.

- هههههههههههه يخرب بيت التواضع.

- لا دا أنا أعجبك قوي،المهم يلا بقى بلاش دلع وما تتأخرش.

- ماشي يا حبيبي، إن شاء الله مش هاتأخر السلام عليكم

- وعليكم السلام.

* * *

عادت والدته للبيت –ولأول مرة- منذ وفاة والده تشعر بمثل هذا الحمل فوق قلبها، فدلفت إلى غرفتها وأغلقت الباب عليها، ولم تتحدث إليها حتى إنها لم تجبها حينما سألتها عمّا بها، وظلت هكذا حتى عاد مصطفى من عمله بعد صلاة العصر كما اتفق مع والدته؛ حتى يتقدم ليطلب يدها منها، ففتح الباب واستدار ليجدها جالسة على المقعد خلفه شاردة، تكسوها علامات الضيق والقلق، فتلعثم قائلًا:

- السلام عليكم.

وقفت قائلة دون أن تنظر إليه:

- وعليكم السلام،

قال بترقب:

- ما لك يا ياسمين؟ وماما فين؟

- مش عارفة رجعت من شوية و...

ولم تكمل جملتها حينما خرجت والدته من الغرفة قائلة بجدية وصرامة:

- حضر نفسك عشان هنروح بالليل لخالتك نطلب إيد منال.

* * *

الفصل التاسع عشر

- حضر نفسك عشان هنروح بالليل لخالتك نطلب إيد منال.

جحظت عيناه، فتابعت بصوت مختنق:

- ولو اعترضت لا أنت ابني ولا أعرفك.

قالتها ودلفت لغرفتها ثانية، فارتمت الأخرى على المقعد، فنظر إليها بعينين مدمعتين فهرول إلى والدته قائلًا بتوسل:

- ماما! عشان خاطري فهميني إيه اللي حصل؟ إنتِ عارفة إني باحب ياسمين ومش عايز غيرها.

- وأنا مش هاخسر أختي عشانك، إنت أمبارح غلطت فيها وف منال، ولازم تدفع تمن غلطتك.

جلس أمامها على ركبتيه قائلًا:

- لا يا ماما عشان خاطري، ماشي أنا غلطت، بس ما تعاقبينيش في ياسمين، بالله عليكِ هي ما لهاش ذنب، أنا هاروح لخالتو وهاعتذر لها وهاعتذر لمنال كمان، بس بالله عليكِ خليني أتجوز ياسمين، عشان خاطري يا ماما.

كادت أن تمسح على رأسه، ولكنها وقفت فجأة قائلة:

- أنا اللي عندي قلته، بعد صلاة المغرب هنكون عند خالتك بنطلب إيد بنتها ومش عايزة كلام تاني.

- وأنا مش هتجوز غير ياسمين.

قالت والدته بصرامة:

- وأنا بخيّرك يا مصطفى يا أنا يا ياسمين.

ارتمى مصطفى على المقعد دون أن يتحدث، فوضع يده على وجهه مغمضًا عينيه بألم، فسمعا صوتها قائلة بهدوء مبتسمة:

- وأنا يا طنط مستحيل أخليكم توصلوا لكدا.

وقف مصطفى ناظرًا إليها بعينين مدمعتين، فاقتربت من والدته قائلة:

- ما فيش حاجة اسمها يا أنا يا ياسمين، حضرتك والدته وأنا يا دوبك ضيفة، أي نعم تقيلة شوية بس المهم ضيفة، ضيفة مدة إقامتها طالت قوي ولازم تمشي بقى، صدقيني يا طنط أنا مش جاية ألخبط حياتكم أبدًا، كل اللي حصل غصب عني، بس خلاص كل حاجة هترجع زي الأول وأحسن كمان.

ثم أمسكت يدها فقبّلتها مبتسمة، فنظرت إليها والدته بحب وإشفاق ويأس واعتذار في آنٍ واحد، فهمّت بالذهاب، ولكنه استوقفها قائلًا بصوت فاتر:

- هتسيبيني تاني يا ياسمين؟ دا أنا ما صدقت أنه ربنا جمعني بيكِ، عادي كدا عايزة تسيبيني وتمشي؟ طب وأنا! عادي مش فارق معاكِ؟

نظرت إليه مبتسمة قائلة:

- ما اقدرش أجاوبك ع السؤال دا.

صمتت لفترة ثم تابعت:

- لأن إجابته ما ينفعش أقولها لشاب أجنبي عني للأسف.

استدارت وذهبت، فكفكف مصطفى دموعه ووقف أمام والدته قائلًا بصوتٍ منخفض:

- ماشي يا ماما هاعمل لك اللي عايزاه، بس ياسمين تفضل هنا ودا شرطي الوحيد، ولو حضرتك مش هتنفذيه يبقى مش أنا اللي أخلفت بكلمتي؛ لأنه ياسمين لو مشيت أنا كمان هاسافر.

قالها وذهب غرفته، فارتمت والدته على المقعد منهمرة في البكاء، قائلة بصوت

منخفض:

- سامحني يا ابني غصب عني والله، سامحني.

كفكفت دموعها فقامت واتجهت إلى غرفتها، فدلفت إليها دون أن تطرق الباب؛ لتجدها جالسة على فراشها منهمرة في البكاء، فدلفت واحتضنتها حتى سكنت، فمسحت بيدها دموعها قائلة:

- مستحيل أسيبك تمشي يا ياسمين مستحيل، دا إنتِ حتة من قلبي، والله يابنتي غصب عني.

وقفت ياسمين قائلة:

- وأنا مش هاقعد هنا ثانية واحدة بعد كدا، أنا آسفة، بس لازم أمشي.

أجلستها والدته برفق قائلة مبتسمة:

- لأ هتقعدي، لما تعرفي سبب اللي عملته هتقعدي.

قطبت حاجبيها فتابعت:

- أنا هاقول لك على كل حاجة.

* * *

- يلا يا سارة عشان ما تتأخريش ع الكورس.

قالتها والدتها في غرفتها، وهي توقظها في الصباح الباكر، فاستيقظت سريعة قائلة:

- صباح الخير يا ماما.

- صباح النور يا حبيبتي.

- هي الساعة كام؟
- 5، قومي بقى اتغدي عشان ما تتأخريش على الكورس بتاعك.
- لا يا حبيبتي، مستحيل أسيبك وانتِ في الحالة دي.
- سارة! عشان خاطري سيبك مني وانتظمي تاني في دراستك، أنا يا بنتي مش عايزة أقف في طريقك وعايزاكِ تجيبي امتياز زي كل سنة، ومش هاتنازل عن كدا.

ابتسمت بتوتر قائلة في نفسها "امتياز؟! طب وأنا هاعملها ازاي دي بقى إن شاء الله؟!"

- يلا يا حبيبتي قومي صلي العصر عقبال ما أحضر الغدا.

ابتسمت دون أن تتحدث، وما إن خرجت حتى زفرت بضيق، فأخرجت هاتفها واتصلت عليه، وما إن أجاب حتى قالت بصوتٍ منخفض:

- أسامة أنت فين؟ ... تمام قوي خليك عندك أنا جاية لك ... آه فيه لما أجي هتفهم... ماشي مش هاتأخر سلام.

* * *

- الزعل خطر عليها فوق ما تتخيلي، وأمها ما عندهاش استعداد تخسرها عشان أي حاجة.

كفكفت دموعها قائلة:

- لا حول ولا قوة إلا بالله، طب ومصطفى ما عندوش عِلْم بالكلام دا؟
- عنده يابنتي، بس بيقول لي يا ماما دي حياة والجواز هو سلم لحاجة من اتنين يا الجنة يا النار، وما ينفعش أضيعه وأختار غلط عشان خاطر أي حد،

والله زعلان عليها، بس ما عندوش استعداد يضحي بنفسه عشانها.
أطرقت برأسها لأسفل، فتابعت والدته:
- مرة قالت لي إنه مصطفى آخر أمل ليها في الدنيا، قالت لي إنها مش عايزة حاجة من الدنيا غير وجوده جنبها، وطبعًا مصطفى عمره ما اداها ريق حلو، حتى مش بيتكلم معاها غير بالصدفة.
سالت دموعها ثانية، فقالت بصوتٍ مختنق:
- طب وحضرتك بتقولي لي الكلام دا دلوقتي ليه؟
ابتسمت والدته، فربتت على يدها قائلة:
- لسببين؛ أولاً لأنه أنا ما اقدرش أستغنى عنك، ولا هارضى إنك تبعدي عني تاني، وثانيًا وجودك هنا دا شرط مصطفى عشان يقبل يتقدم لها.
انهمرت في البكاء قائلة:
- وحضرتك فاكرة إني هاقدر أفضل هنا وأشوفه وهو...
ولم تستطع أن تكمل فنظرت إلى أسفل، فربتت والدته على يدها قائلة:
- سامحيني يا بنتي.
نظرت إليها دون أن تتحدث، فتابعت:
- مش هتمشي مش كدا؟
لم تجب، بل ارتمت بين يديها وانهمرت في البكاء..

* * *

- قضيت إن شاء الله يا قمر.
- أسامة! الموضوع مش تهريج، لو مش هتعرف تتصرف قل لي قبل الامتحانات

عشان أحاول أتصرف.

- ما تخافيش يا يا ياسمين، بعون الله الورق هيبقى عندك قبل الإمتحانات، دا أنا أسامة، يعني مصلحتك قضيت.

قالتها فهمّت بالوقوف قائلة:

- تمام، أنا هاقوم بقى عشان ما اتأخرش

- استني، مش هتقولي لي إيه اللبس الغريب اللي لبساه دا؟ وإيه اللي حطاه على وشك دا؟

- حكم الزمن يا اخويا.

- ياسمين أنا خايف عليكِ، وانتِ مش عايزة تفهّميني أي حاجة يمكن أساعدك.

- أنا ما اقدرش أثق في أي حد يا أسامة، ما علش خلينا كدا أحسن.

- المهم تخلي بالك من نفسك.

- ربنا يسهل.

- الخطوة الجاية إمتى؟

- إن شاء الله لما أوصل لحاجة تانية أقدر أحرق قلبها عليها.

- صحيح ما قُلتليش مين الست دي؟!

تلعثمت قائلة:

- مرات أبويا.

* * *

دق جرس الباب ولاحظت أنه لم يتقدم أحد ليفتحه، حتى مصطفى لم يخرج من غرفته! فخرجت من غرفتها وذهبت، وما إن فتحته حتى دلف قائلًا بصوت عال:

- إيه يا ابني سنة عقبال ما تف...

ولكنه لم يكمل حينما رآها فتنحنح فنظر إلى أسفل بخجل قائلًا:

- السلام عليكم.

قطبت حاجبيها قائلة:

- وعليكم السلام مين حضرتك؟

- أنا اللي مين؟ إنتِ اللي مين؟

- والله حضرتك اللي داخل البيت مش أنا.

- أنا...

ولم يكمل حينما خرج مصطفى سريعًا من غرفته، فما إن وجده معها حتى نظر إليها بغضب أرعبها فدلفت لغرفتها سريعًا، فتنحنح قائلًا:

- تعالى يا بدر.

دلف معه لغرفته، وما إن جلس حتى ابتسم بدر قائلًا:

- مين أم عيون عسلية اللي فتحت لي دي يا واد يا مصطفى؟

قال مصطفى بغضب:

- أفندم! وأنت ما لك؟

- يا واد بطل رخامة بقى بجد مين؟

- دي واحدة قريبتنا من ناحية بابا.

- آه، أصل دي أول مرة أشوفها.

- وآخر مرة إن شاء الله.

- ياباي على غلاستك، طب قل لي هي مخطوبة؟

- بتسأل ليه؟ هو أنت كل بنت تشوفها عايز تخطبها؟

- لا يا بابا لو سمحت قُلها مظبوط، أي بنت متدينة أشوفها آه بابقى عايز أخطبها، وكالعادة بتبقى مخطوبة.

ابتسم قائلًا بسخرية:

- وأنت عرفت منين بقى إن شاء الله أنها متدينة؟

ضحك بدر قائلًا:

- لو مش متدينة مش هتخليها دقيقة في بيتك يا صاحبي.

- طب بطل كلام بقى في الموضوع دا وركز معايا.

- صحيح موضوع إيه اللي كنت عايزني فيه؟

- أنا هاخطب يا بدر.

وقف بدر قائلًا بفرح:

- الله أكبر، أيوة بقى يا شيخنا، وأخيرًا لقيت اللي توقعك؟ مين دي بالله عليك وشُفتها فين؟ أنطق.

- أنا هاخطب منال بنت خالتي.

ارتمى بدر على المقعد بذهول قائلًا:

- أفندم! تخطب منال ازاي؟ الموضوع دا اتكلمنا فيه من زمان واتفقنا إنه مش هنعمل غير بوصية الرسول ونتجوز ذات الدين؟ إيه اللي بتقوله دا؟ ولا يكون جمالها غلب مبادئك يا مصطفى؟

ابتسم مصطفى بألم قائلًا:

- والله يا بدر غصب عني، ماما مصممة إني أتجوزها.

- لا يا مصطفى مستحيل أسيبك تضيّع مستقبلك، أنا هاروح أتكلم مع طنط.

أمسك مصطفى بذراعه قائلًا:

- لو ينفع كلام في الموضوع دا ما كانتش استنيتك وكلمتها، بس صدقني الموضوع خرج من إيدي وبقى أمر واقع.

- إزاي بس؟ يعني إيه أصلًا أمر واقع؟ أنت كدا بتظلم نفسك وهتظلم منال.

- عارف والله يا بدر عارف، بس خلاص ماعادش الاختيار في إيدي.

- اعمل اللي أنت عايزه يا مصطفى، بس اعرف إني مش موافقك ولا هاحضر لك فرح، السلام عليكم.

قالها وهرول للخارج، وقبل أن يصل إلى باب الشقة استوقفته والدة مصطفى قائلة مبتسمة:

- ازيك يا بدر؟ عامل إيه يا ابني؟ بقى لي كتير قوي ما شُفتكش.

نظر إلى أسفل بغضب قائلًا:

- الحمدلله يا طنط بخير، بعد إذنكم.

قالها فذهب وأغلق الباب خلفه بعصبية، فخرجت على صوت الباب لتجده يمسح بيده على رأسه بضيق، فتلعثمت قائلة:

- فيه إيه يا طنط؟

وقبل أن تتحدث والدته، تقدم مصطفى منها قائلًا بصرامة:

- بعد كدا يا تبصي من العين السحرية قبل ما تفتحي، يا متجيش جنب الباب خالص.

قالها وهرول للداخل، فتلعثمت قائلة:

- ما كنتش أعرف إن فيه رجالة بتيجي هنا والله، يا طنط أنا آسفة.

ابتسمت قائلة:

- ولا يهمك يا حبيبتي حصل خير، بدر مش غريب، بدر دا صاحب عمر مصطفى وزي ابني بالظبط.

* * *

حل المساء واستعد مصطفى على مضض لما هو آتٍ، وينفطر قلبه كلما تذكر خجلها حينما طلب منها أن يتزوجها، و يغمض عينيه بألمٍ كلما تذكر دموعها الصامتة حينما طلبت منه والدته أن يستعد ليتقدم لابنة خالته، وبعد أن أنهى صلاة المغرب خرج من غرفته، ليجدها جالسة في الشرفة تسند رأسها على طرف المقعد، وتنظر إلى السماء بشرود، فتقدم منها وتنحنح قائلًا بصوتٍ مختنق:

- يعني خلاص كدا؟

وقفت سريعة بفزع، فنظرت إلى أسفل بضيق، فتابع:

- هنستسلم للي إحنا فيه دا؟

نظرت إليه قائلة بعينين مدمعتين:

- ما فيش حاجة اسمها إحنا يا مصطفى، أنا ضيفة هنا في البيت وفي حياتك كمان، يعني ما ينفعش تقف عندي، أنت ما تعرفش عني حاجة حتى أنا ما اعرفش حاجة عن نفسي، ما استاهلش أبدًا تقف قدام أي حد عشاني، أنا واحدة من غير شخصية، من غير اسم، من غير عيلة، من غير أي حاجة؛ عشان كدا باقول لك ما فيش حاجة اسمها إحنا.

- وبالرغم من كدا أنا عايزك يا ياسمين.

- ربنا مش هيسألك عليَّ، بس هيسألك على والدتك يا مصطفى، عشان كدا باقول لك ما فيش حاجة اسمها إحنا.

قالتها وهرولت ناحية غرفتها، فارتمى مصطفى على المقعد خلفه ودمعت عيناه بألم، وظل هكذا حتى خرجت والدته من غرفتها، وبالرغم من انفطار قلبها لحالته قالت بصرامة:

- جاهز يا مصطفى؟

وقف فكفكف دموعه قائلًا:

- إن شاء الله.

*** * ***

الفصل العشرون

- جاهز يا مصطفى؟

وقف فكفكف دموعه قائلًا:

- إن شاء الله.

وانطلقا إلى منزل والدة منال، التي كانت في قمة سعادتها برغم ما قاله في الليلة السابقة، إلا أنها تناست كل ذلك وتركت نفسها وسعادتها؛ لتسير الأمور برتابة ورسمية، وما إن انتهيا حتى عادت والدته المنزل بعد أن استأذن مصطفى ليؤدي صلاة العشاء في المسجد حيث يوجد بدر، فدلف مصطفى فوجده جالسًا في مكتبه واضعًا يديه على وجهه، فتلعثم قائلًا:

- السلام عليكم.

ابتسم بدر بسخرية قائلًا:

- وعليكم السلام، منور يا عريس.

جلس مصطفى قائلًا بصوتٍ منخفض مختنق:

- بالله عليك يا بدر كفاية، والله أنا فيَّ اللي مكفيني، مش هاقدر أستحمل كلمة تانية.

قطب بدر حاجبيه بعدم فهم وتذكر حينها ضيقه حينما سأله عنها

" - مين أم عيون عسلية اللي فتحتلي دي يا واد يا مصطفى

- أفندم! وأنت مالك؟

- اه، أصل دي أول مرة أشوفها.
- وآخر مرة إن شاء الله ...

- مخطوبة؟
- بتسأل ليه؟ هو أنت كل بنت تشوفها عايز تخطبها"
فأطرق برأسه قليلاً، ثم قام فجلس أمامه قائلًا:
- طيب انسى الموضوع دا دلوقتي، عايز أكلمك في حاجة تانية
- خير؟
- أنا عايز أتقدم للبنت اللي شُفتها عندك في البيت أم عيون عسلية دي.
وقف مصطفى قائلًا بغضب:
- أفندم؟ تتقدم لها يعني إيه؟
ابتسم بدر بخبث قائلًا:
- أتقدملها يعني أتجوزها، يعني تبقى مراتي.
قال مصطفى بانفعال وصوتٍ عال:
- دا يبقى آخر يوم في حياتك يوم ما تفكر تعمل كدا.
قرر بدر استفزازه، فتابع بنفس بسمته الخبيثة:
- مصطفى بطل تهريج بقى وقُل لي أطلب إيدها من مين؟
- وأنا مش باهزر يا بدر واللي في دماغك دا تنساه خالص.
- أنا مش قادر أفهمك، أنت معترض ليه؟
- من غير ليه! الموضوع دا تنساه تمامًا، وما عدتش تفكر فيها تاني ولا تجيب سيرتها على لسانك.
قالها فأسرع للخارج، وقبل أن يترك المسجد اصطدم بخالد، فقطب الأخير حاجبيه قائلًا:

- مصطفى! ما لك يا حبيبي؟
- ما فيش حاجة يا خالد، مخنوق شوية.
- طب تيجي نروح في أي حتة نشم هوا؟
- لا يا خالد، ما علش أنا عايز أبقى لوحدي شوية.
- ما أنا مش هاسيبك كدا يا مصطفى بالحالة دي! يلا بقى ما تعاندش

مسح مصطفى بيده على وجهه قائلًا:

- تمام .

* * *

- كنتِ فين يا حبيبتي لحد دلوقتي؟
- كنت في المحل يا سارة، اتفقت مع عمال هيبدأوا فيه شغل من بكرة إن شاء الله.
- طب ... طب وحضرتك هتجيبي فلوس التصليحات دي منين؟
- كان عندي غويشتين ورثاهم عن والدتي الله يرحمها هابيعهم مع إيجار المحلات الشهر دا إن شاء الله يقضوا.
- تمام إن شاء الله.
- أنا هادخل أريح في أوضتي شوية.

قالتها ودلفت غرفتها، فابتسمت ياسمين بخبث قائلة في نفسها "حلو قوي الكلام دا، أهو كدا بقى نبدأ الشغل."

ثم أخرجت هاتفها وقامت بالاتصال عليه، وما إن أجاب حتى ابتسمت بخبث،

فقالت بصوتٍ منخفض:

- المرادي مش هتنفذ الخطوة اللي بعدها ببلاش، ليك عندي مصلحة جامدة، بس انت ركز معايا كويس قوي.

* * *

- طب وليه عملت كدا يا مصطفى؟ حرام عليك نفسك.

قال مصطفى بصوتٍ فاترٍ منخفض:

- كنت عايزني أعمل إيه يا خالد؟ أقف قدام والدتي وأقول لها لأ وأغضب ربنا ولا كنت هاخطفها وأتجوزها غصب عنها؟ كنت عايزني أعمل إيه قل لي؟

تلعثم خالد قائلًا:

- أكيد ما كنتش هتعمل كدا، بس أنت كدا برضه ظلمت 3 في طريقك، أنت وحبيبتك وبنت خالتك كمان، القرار دا لا يخصك ولا يخص مامتك لوحدكم، فيه ناس هتتظلم في النص أولهم البنتين دول! لازم تفهّم مامتك نقطة زي دي.

- ماما هي اللي مربية خالتو دي يا خالد، مش سهل عليها أبدًا تخسرها عشان أي حاجة.

- بس مستقبلك مش أي حاجة يا مصطفى، الصح دايمًا هو اللي يقرّبك من ربنا اسألني أنا، مرة واحدة بس عملت حاجة صح في حياتي، عملت حاجة عشان خاطر ربنا وعشان كدا ربنا قربني منه، حتى ولو كانت المسافة بيني وبين رضاه عني لسَّا بعيدة، بس كفاية إنه دلني على أول الطريق.

ربت مصطفى على يده قائلًا بفرح:

- تعرف يا خالد لما باشوفك وبافتكر إنك تخليت عن كل حاجة عشان ربنا قلبي بيفرح وبانسى كل همومي.

ابتسم خالد قائلًا بحب:

- نسيت أقول لك إن ربنا حب يكافئني بطريقة تانية فرزقني صحبتك، أنت مقويني وأنت سندي بعد ربنا، فمش لازم تضعف يا مصطفى ومش لازم تتخلى عن حبك عشان أي حاجة، ما دام من الأول أنت اخترت صح يبقى هتقدر بعون الله تقف قدام الدنيا كلها.

احتضنه مصطفى بفرح، فاستأنفوا الحديث حتى انتهيا فذهب كل منهما في طريقه بعد اتفاقٍ على لقاء آخر في الشركة في اليوم التالي، ومضى مصطفى في طريقه لا يفكر سوى بما قاله بدر له، ماذا لو لم يكترث بتحذيره؟ ماذا لو تقدم لخطبتها؟ والأصعب من ذلك، ماذا لو وافقت؟ ماذا لو أصبحت زوجته؟ ماذا لو أعطته قلبها؟ ذهب به فكره بعيدًا لدرجة جعلت الهم والحزن والغضب يجتمعون فوق قلبه، فهو يعلم يقينًا أن هذا لن يحدث ما بقي على قيد الحياة، فلن يسمح أن تكون لغيره، فهي إما له أو فلن تكون لسواه، مقرٌ بأنه أناني، ولكنه لا يكترث أيضًا لذلك، وظل هكذا شاردًا حتى وصل بيته، فدلف ليجد غرفة الاستقبال مضاءة، فقطب حاجبيه، وقبل أن يتحرك وجدها تخرج من غرفة المعيشة، وهي تطوي سجادة صلاتها ناظرة لأسفل، فتلعثم قائلًا:

- السلام عليكم.

ولكنها لم تتحدث، حتى أنها لم تنظر إليه، فقطب حاجبيه قائلًا:

- أظن ما فيش غيرك عشان يرد عنك السلام.

ابتسمت رغمًا عنها، فاستدارت وأشارت له بيدها، فلاحظ أنها تتمتم بآياتٍ من القرآن، فابتسم ناظرًا إلى أسفل بخجل، وما إن أنهت حتى قالت بجدية:

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

- آسفة.

- لا عادي ولا يهمك.

- ماما فين؟

- جوا في الصالون مع أستاذ بدر.

جحظت عيناه، فقال بصوتٍ عالٍ أفزعها:

- أفندم!

قالها فاتجه إلى غرفة الاستقبال، وقبل أن يفتح الباب، استدار فعاد إليها ليجدها تنظر إليه بوجل، فتلعثم قائلًا بصوتٍ هادئ:

- مين فتح له الباب؟

- أنا بصيت من العين لقيته هو قُلت لطنط تفتح له والله.

- تمام، ادخلي أوضتك وما تخرجيش منها خالص طول ما هو هنا.

قالها وتركها، فطرق الباب ثم دلف محاولًا تمالك أعصابه فهو –رغم اشتعال قلبه- لا ينسى أنه ضيفه وصديقه قبل كل شيء، فجلس مبتسمًا بتكلف قائلًا:

- السلام عليكم.

أجاب بدر مبتسمًا (بطريقة مستفزة):

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

نظر إلى والدته ليجدها تنظر إليه بتوتر، فتلعثم قائلًا:

- أكيد يا بدر ما لحقتش أوحشك.

- ومين قال لك إني جاي لك أصلًا؟ رخم قوي ابنك يا طنط.

- يا جدع أنت ما تستفزنيش.

- اللهم طولك يا روح.

قالت والدة مصطفى:

- شششش بس بقى بطلوا خناق زي العيال الصغيرة كدا، بدر كان جاي لي أنا يا مصطفى.

تلعثم قائلًا بترقب:

- خير يا ماما؟

نظرت إليه بوجل، فقالت بصوت منخفض:

- بدر كان جاي يتقدم لياسمين يا ابني.

وقف مصطفى سريعًا بغضب، فاستدار لفترة قصيرة ثم جلس ثانية قائلًا بصوتٍ هادئ:

- أظن يا بدر إحنا اتكلمنا في الموضوع دا في المسجد.

- مصطفى! أنت ما كانش ليك أي مبرر عشان تمنعني أتقدم للآنسة ياسمين، وأكيد أنا مش طفل عشان أسمع كلام حد من غير ما أفهم سببه.

وقف قائلًا بغضب وانفعال:

- مش محتاج إني أبرر لك حاجة يا بدر، وياسمين مش هتتجوز.

وقف بدر قائلًا بهدوء بابتسامة خبيثة:

- من غير زعل يا مصطفى بس دي حاجة ما لكش تحكم فيها، ياسمين صاحبة الشأن والقرار الأول والأخير ليها، ولا أنا غلطان يا طنط؟

وقفت والدته قائلة بجدية:

- بدر معاه حق يا مصطفى، القرار الأول والأخير لياسمين.

قال مصطفى بصوتٍ ضعيف:

- حضرتك بتقولي إيه يا ماما!

- بقول إن الأصول يا ابني يكون القرار الأول والأخير لياسمين، ولازم يكون

عندها علم بالموضوع دا.

قالتها والدته فخرجت، وما إن أنهت حتى قطب مصطفى حاجبيه قائلًا بغضب:

- شكلك ما فهمتش اللي قلته في المسجد يا بدر.

- أيوة أنا معترف إني ما فهمتهوش يا مصطفى، غضبك وغيرتك وعصبيتك لما باجيب سيرتها ما فهمتش ليهم سبب، مصطفى! أنا صحيح شُفتها مرة واحدة، بس برضه شُفت فيها الزوجة الصالحة اللي...

- بس يا بدر اسكت، وافتكر إني قلت لك ما تجيبش سيرتها على لسانك، ياسمين مستحيل توافق أصلًا، مستحيل!!

اقترب منه بدر، فوقف أمامه مباشرة قائلًا بتحد:

- ولو وافقت؟

قال مصطفى بنظرة تحدٍ متبادلة:

- قلت لك مستحيل.

في تلك اللحظة دلفت والدته، وتكسو ملامح وجهها علامات الضيق والوجل، فتلعثمت قائلة:

- خلاص يا بدر، إن شاء الله بكرة المغرب تيجي يا ابني عشان الرؤية الشرعية.

ابتسم بدر بانتصار، فارتمى مصطفى على المقعد بذهول دون أن يتحدث، فنظرت والدته إليه بعينين مدمعتين، وكذلك نظر إليه بدر قائلًا في نفسه "سامحني يا مصطفى، أنا عارف إني السبب في حالتك دي، بس أنا ما اقدرش أشوفك بتضيع واقف أتفرج يا صاحبي، مستحيل أسيبك تضيّع نفسك، ومستحيل أسيبك تضيّع حبيبتك و لا تدوس على قلبك، بالله عليك تسامحني."

* * *

الفصل الحادي والعشرون

دلفت إلى غرفة والدتها لتجد الضيق يكسوها، وكأنها تبحث عن شيء، فابتسمت بخبث ووقفت لفترة قصيرة تتأملها، ثم طرقت الباب طرقاتٍ خفيفة، فدلفت قائلة:

- بتدوري على حاجة يا ماما؟

قالت والدتها بحزن:

- الغويشتين اللي وارثاهم عن ستك مش لاقياهم يا سارة.

- طب يا حبيبتي دوري بس كويس.

- من زمان قوي يا سارة وأنا عايناهم هنا في درج الدولاب، بس دلوقتي ما لقيتهمش.

- طب يا حبيبتي اهدي بس، إن شاء الله هتلاقيهم.

- أهدي إيه يا سارة دي مصيبة و...

نظرت في ساعتها قائلة:

- مين هييجي لنا دلوقتي؟!

- مش عارفة يا ماما، هاروح أفتح.

- لا خليكِ إنتِ يا سارة، أنا هافتح.

وذهبت ففتحت الباب، وضعت ياسمين اللثام على وجهها فدلف أحدهم بسرعة قائلًا بخوف:

- الحقينا يا ست هانم.

- خير يا" رزق "وسايب المحل دلوقتي لوحده إزاي؟

- اتخرب بيتنا يا ست هانم.

- انطق قول فيه إيه؟
- قفلنا المحلات عشان نروح نصلي العشا، رجعنا لاقينا الـ3 محلات فاضيين.
ارتمت ياسمين على المقعد واضعة يدها على فمها، فتابعت والدتها بذهول:
- يعني إيه فاضيين؟
- يعني اتسرقوا ياست هانم اتسرقوا.
لم تستطع والدتها التحمُّل؛ فسقطت مغشيًا عليها، وما أسعد قلب ياسمين في تلك اللحظة! ولكنها -لوجود رزق- هرولت تجاهها بلهفة(مصطنعة)
وبمساعدته نقلتها للمستشفى، وما إن انتهى فحص الطبيب وغفت والدتها، خرجت وجلست على إحدى المقاعد أمام غرفة والدتها فزفرت بأريحية، فابتسمت بخبث قائلة في نفسها " ولسَّا، لسَّا هتشوفي أيام أسود من اللي شُفتها بمراحل، صدقيني بإيدي هاوصلك للموت عشان تشوفي بقى عذابك اللي بجد، كل اللي عملته دا تسخين بس، مش هاخليكِ تلحقي حتى تشمي نَفَسِك من مصيبة ورا مصيبة ورا مصيبة، وأول ما تخرجي من المستشفى هتلاقي تالت هدية مني، إنتِ اللي بدأتي والبادي أظلم."
ثم أخرجت هاتفها -كالعادة بعد كل كارثة تحدث لوالدتها- فقامت بالاتصال عليه، وما إن أجاب حتى ابتسمت قائلة بصوت منخفض:
- قسمًا بالله أنت أستاذ ... هههههههه وهي لسَّا شافت مني حاجة؟! يلا يا أوس أوس كل البضاعة دي حلال عليك وع الرجالة اللي معاك ... شوية بس خليك على استعداد للي بعده ... تمام، يلا سلام.

* * *

استيقظ كعادته قبيل الفجر بحزن لم يشعر بمثله طيلة حياته، وكالعادة اقترب من غرفة المعيشة ليروي أذنه بصوتها العذب في قرآءة القرآن، ولكنه

تلك المرة لم يسمعها تقرأ القرآن، بل سمع صوت بكائها، وصوتها المتهدج في الدعاء من فرط البكاء، تتضرع بصوتٍ فاترٍ ضعيفٍ مختنق:

- يارب شيله من قلبي، أنا أضعف بكتير من إني أتحمل إنه بعد اللي حطيته في قلبي ليه يبقى لغيري، أنا عاملة زي الطفلة اللي لسَّا مولودة، ما اعرفش أي حاجة ولا أي حد غيره، يارب رجع لي قلبي زي ما كان من غير حب ومن غير حزن ومن غير هم، يارب عشان خاطري.

قالتها وانهمرت في البكاء، فاستدار ومسح بيده على رأسه بضيق، ثم ذهب فتوضأ، وفي طريقه إلى الباب، خرجت تطوي سجادتها دون أن تلتفت إليه، فأمسك بمقبض الباب قائلًا دون أن يستدير إليها:

- ماتنسيش تنامي كويس عشان الرؤية الشرعية يا ... يا عروسة!

لم تتبع عادتها في الصمت، بل على النقيض تمامًا وجدت أنه الوقت المناسب للتعبير عن غيظها، فقالت بصوتٍ مختنق:

- شكرًا على اهتمامك يا ... يا عريس!

لم يكمل طريقه، بل عاد إليها فوقف على بعد مناسب منها قائلًا بتحدٍ:

- في يوم واحد، هنبقى عريس وعروسة في نفس اليوم يا ياسمين، بس مش لبعض.

سالت دموعها على وجنتها، وهي تنظر إليه بحزن وألم وغيره وغيظ في آنٍ واحد، ولم يتحمل هو دموعها، فذهب سريعًا دون أن يتحدث وأنهى صلاته، وعاد ليجد غرفتها مطفأة، فعلم أنها أنهت صلاتها واحتمت بالظلمة من مواجهته، فدلف إلى غرفته وغفا كذلك حتى جاء موعد استيقاظه، فقام وتوضأ فصلى الضحى، خرج من غرفته ليجد والدته جالسة على المقعد تقرأ القرآن بصوتٍ منخفض، فتنحنح قائلًا:

- صباح الخير يا ماما.

قالت والدته بصوتٍ منخفض بوجه يملؤه الإشفاق:

- صباح النور يا حبيبي.

تقدم ليقبّل يدها فتلعثم قائلًا:

- ياسمين فين؟

- جوا في المطبخ بتحضر الفطار.

- بتهرب مني يعني؟

- لا يا ابني والله، هي بس طلبت مني أرتاح عشان مشوار امبارح.

- طب ناديها لو سمحتِ.

- يا ابني عشان خاطري اهدى بس، ياسمين نفسيتها متدّمرة خالص والله، يابني ما هتقدر تستحمل منك كلمة زيادة.

- وأنا يا ماما؟ وأنا هاقدر أستحمل أشوفها بتتجوز؟ فكرك هاستحمل حاجة زي دي؟ مستحيل.

لحظتها خرجت من المطبخ قائلة بصوتٍ منخفض:

- الفطار جهز يا طنط.

وقف مصطفى فتقدم ناحيتها، ثم نظر إلى أسفل قائلًا بصوتٍ هادئ:

- أكيد إنتِ مش بتفكري توافقي مش كدا؟

- ليه؟

قالتها بجدية أغضبته، فقطب حاجبيه لنتابع:

- أنا خلاص ما عادش ليَّ حد، مش قادرة أفتكر أي حاجة عن أي حد كنت أعرفه، ما فيش قدامي حل غير أني أبدأ حياة جديدة، إيه الغلط في كدا؟

قال بغضب وانفعال:

- حياتك الجديدة دي هتبدأيها معايا أنا مش مع حد تاني

نظرت إلى أسفل سريعًا، فتلعثم بخجل دون أن يتحدث، فوقفت والدته قائلة:

- سيبها تشوف حياتها يا ابني، بدر بني آدم متدين ومحترم وعارف ربنا وهيحفظها.

نظر إلى والدته بذهول قائلًا:

- ياسمين مش هتتجوز بدر يا ماما.

نظرت إليه الأخرى فقالت بصوتٍ منخفض:

- لو بجد فيه كل الصفات اللي والدتك قالت عليها دي، يبقى ليه لأ؟

نظر إليها بغضب ثم تحول بنظره لوالدته، فقال بصوتٍ مشرف على البكاء:

- كدا حضرتك مرتاحة يا ماما؟ كدا شايفة إن اللي بتعمليه صح؟ لو حصلت في يوم من الأيام واتحطت الأخت والأبن في مقارنة، أكيد الواحدة هتختار ابنها، بس للأسف يا ماما إنتِ اخترتِ أختك وكسرتي قلبي ودمرتيني، بس لازم تعرفي حاجة واحدة، لو ياسمين اتجوزت حد غيري أنا هموت،

ثم نظر إليها قائلًا:

- افتكري دا كويس وانتِ قاعدة قدامه النهار دا.

قالها فذهب سريعًا، فهرولت ياسمين إلى غرفتها حيث انهمرت في البكاء، أما والدته فارتمت على المقعد خلفها، وصدى كلماته يتردد في أذنها "بس للأسف يا ماما إنتِ اختارتي أختك وكسرتِ قلبي ودمرتيني ... لازم تعرفي حاجة واحدة، لو ياسمين اتجوزت حد غيري أنا هاموت"

* * *

- حمد الله على سلامتك يا ماما.

- الله يسلمك يا بنتي.

- إن شاء الله يا ماما كل حاجة هتتظبط، بس إنتِ شدي حيلك يا حبيبتي.
نظرت إليها والدتها بيأس، فقالت بصوتٍ فاتر منخفض:
- عمر اللي أنا فيه ما هينتهي يا سارة.
نظرت إليها ياسمين بعدم فهم، فتلعثمت قائلة:
- ليه بتقولي كدا؟
سالت دموع والدتها فقالت:
- لأنه كل اللي أنا فيه دا ذنب أبوكِ وأختك.
نظرت لها بذهول فتابعت:
- أنا رميت بنتي في الملجأ في عز ما هي محتاجاني وحسرت قلب أبوكِ عليها لحد ما مات بحسرتها، وللأسف لما فُقت كان متأخر قوي، عارفة يا سارة! أنا لو شُفت ياسمين مرة واحدة بس هابوس على رجلها عشان تسامحني لو وصلت لكدا، أنا وعدت ربنا لو رجعت لي هاعوضها عن كل اللي فات ومش هابعد عنها لحظة واحدة، بس أشوفها بس.
للمرة الأولى تدمع عيناها بحزن من قلبها منذ أن قابلتها، تركت والدتها تبكي وخرجت فجلست على المقعد أمام باب الغرفة، وانهمرت في البكاء فقالت بصوت منخفض:
- فعلًا إنتِ اتأخرتِ، اتأخرتِ قوي.
رن هاتفها فكفكت دموعها لتجيب:
- أيوة يا أسامة ... ما فيش حاجة، لا على اللي اتفقنا عليه، تمام ماشي، سلام.
أغلقت الهاتف فوقفت قائلة في نفسها "مستحيل هاسمح للضعف يسكن قلبي تاني، ولو مهما حصل، ما فيش أي حاجة في قلبي تشفع لك، أنا خلاص نهايتي قربت، بس مش قبل ما أسلمك للموت، وقتها بس هاموت وأنا مرتاحة."

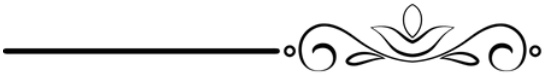

الفصل الثاني والعشرون

- معقول الشيخ بدر يعمل كدا!

- أنا هاتجنن يا خالد.

- مصطفى! أنا مش فاهم حاجة، طيب ليه يروح يتقدم لها من وراك؟

- ما اعرفش حاجة يا خالد ما اعرفش غير إني هاتجنن، طب تخيل عجبها، تخيل وافقت؟ أنا هاعمل إيه وقتها؟

- اهدى بس يا مصطفى.

- خالد! أنا خايف أغلط، خايف أعمل حاجة ربنا يغضب عليَّ بسببها، أنا غلطت كتير يا خالد كتير، بصيت لها كتير غصب عني وما غضيتش بصري كتير، سمعتها بتقرأ قران متعمد رغم إني حرام أسمعها، كتير كلمتها كلام بلا حاجة، ودا لا يجوز -حتى لو كلام عادي- كتير لمّحت غصب عني عن حبي ليها وفتنتها.. الله المستعان، من أول ما عرفتها وأنا باموت كل يوم بسبب جهاد نفسي وإني أقدر أمسك على قلبي، بس امبارح بعد ما بدر مشي، دماغي خدتني لحاجات بعيدة قوي، آخرها إني أهرب أنا وهي ونتجوز واللي يحصل يحصل، والحمد لله إني قدرت أهزم الشيطان وأبعد عني كل الأفكار دي، بس تخيل المرة الجاية ما قدرتش؟ تخيل ضعفت؟!

- الله المستعان، ومين قال إني هاسيبك تضعف يا مصطفى؟؟

- يا خالد أنا...

ولم يكمل حينما رن هاتفه برقم غريب، فقطب حاجبيه فقال خالد:

- رد يا مصطفى عقبال ما أنزل للمدير وأرجع لك تاني.

- ماشي.

خرج خالد فأجاب مصطفى:

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام، إزيك يا مصطفى؟

- مين معايا؟

- أنا منال.

أغمض عينيه بشدة، ثم زفر بضيق قائلًا:

- إزيك يا منال؟

- الحمدلله بخير، مش محتاج أكيد أقول لك إني موافقة عليك من قبل ما تتقدم لي أصلًا، بس أنا كنت عايزة أقول لك على حاجة.

- خير؟

- أنت آخر أمل ليَّ في الدنيا يا مصطفى، من يوم ما عرفت إني مريضة وأنا ما ليش حلم غير إني أموت وأنا جنبك، ودي آخر حاجة أنا عايزاها من الدنيا، ما تبعدش عني يا مصطفى.

مسح بيده على وجهه بحزن وإشفاق، فتلعثم قائلًا بصوت هادئ:

- ما علش يا منال أنا مشغول شوية في الشغل ولازم أقفل، السلام عليكم.

أغلق الهاتف وابتسم بسخرية قائلًا بصوت مسموع:

- آخر أمل ليها تموت وأنا جنبها، الدنيا غرت الناس لدرجة إنهم حتى ولو الموت قدام عينهم برضه مش بيفكروا في آخرتهم، ارحمنا برحمتك يارب.

* * *

- ما اقدرش أسيبه يا خالد يضيع نفسه ويضيع مستقبله، كان لازم أعمل كدا عشان يعرف إنه مش هيقدر يتجوز غيرها، كان لازم أتقدم لها عشان يشوف

بعينيه الحب اللي حطه ربنا في قلبه لها، مصطفى مش عشرة يوم ولا شهر ولا سنة ولا عشرة حتى، مصطفى دا أخويا، أنا عمري ما عرفت صاحب في الدنيا غيره من وأنا طفل، ما اقدرش بعد العمر دا كله ألاقيه بيضيع نفسه وأسكت يا خالد، ما ينفعش!

وقف خالد قائلًا بتساؤل:

- طب وناوي على إيه يا بدر؟

- أنا مش أعمى عشان ما اشوفش حبها ليه، لا شُفته من أول يوم شُفتها فيه، ربنا مستحيل يعلق قلبه بواحدة غير لما يحط كمان حبه في قلبها، وأنا مش أناني عشان أضحك عليها، النهار دا هاصارحها بكل حاجة وهافهمها أنا عملت كدا ليه.

اقترب منه خالد، فربت على كتفه قائلًا مبتسمًا:

- يا بخته بصحبتك يا بدر، اللي زيك بقى بجد اللي بيتقال عنهم صحبة صالحة.

احتضنه بدر قائلًا:

- يابختي أنا بيكم انتوا الاتنين.

* * *

حلّت بوادر المساء، فذهب مصطفى إلى بيته مباشرة بعد صلاة العصر ودلف غرفته دون أن يتحدث إلى أحد حتى جاء المساء، وعاد بعد صلاة المغرب بيته ثانية، وقبل أن يدلف إلى غرفته، استوقفته والدته قائلة:

- عمرك ما دخلت أوضتك قبل ما تطمن على أمك يا مصطفى!

مسح مصطفى بيده على وجهه، فاستدار واتجه إليها، ثم مال فقبّل يدها قائلًا:

- أنا آسف يا ماما، بس رجعت تعبان شوية.

- حبيبي...

- إيه يا طنط رأيك؟ مظبوطة كدا؟

قالتها سارة، وهي تخرج من غرفتها بعد أن انتهت من قياس وتعديل عباءتها الجديدة، ولكنها نظرت إلى أسفل بخجل حينما رأته، فلقد استغلت فرصة ذهابه لصلاة المغرب حتى تنتهي من تعديل العباءة، ولم تكن تعلم بأنه قد عاد، وحقيقة كانت جميلة بتلك العباءة الفضفاضة وذلك الحجاب الطويل، الذي أعطى عينيها العسليتين بريقًا أكثر مما بهما لدرجة جعلته ينظر إلى أسفل مغمضًا عينيه بشدة، فابتسمت والدته رغمًا عنها قائلة:

- كدا اتظبطت يا حبيبتي؟

قال بجدية وصرامة دون أن ينظر إليها:

- حضرتك رايحة فين باللبس دا؟

نظرت إلى والدته بخوف، فقالت الأخيرة:

- أنا يا ابني اللي جبتها لها النهار دا عشان الرؤيـ..

أكمل، وكأنه لم يسمع والدته:

- وانتِ بقى فاكرة هاسيبك تقابليه باللي انتِ لابساه دا؟

ظلت ناظرة إلى أسفل بخجل، فقالت والدته:

- وفيها إيه يا بني ما العباية واسعة أهي والطرحة طويلة؟

- شرط الزي الإسلامي يا ماما مش إنه يكون فضفاض وبس، فيه شروط تانية: أهمها أنه ما يكونش لافت ولا يكون زينة في نفسه، تقدري تقولي لي يا آنسة كمية الألوان والخرز اللي في العباية دا لافت ولا لأ؟

نظرت إلى عباءتها، وكأنها للمرة الأولى تلاحظ كمية الألوان المتداخلة في عباءتها، فتلعثمت قائلة بصوتٍ منخفض:

- بس أنا ما كانش قصدي ألفت نظر حد.

- وأنا مالي بقصدك؟ وبعدين أظن واحدة متدينة زيك ما ينفعش أفضل أقول لها إيه الصح وإيه الغلط!

قالت والدته بهدوء:

- اهدى بس يابني، والله أنا اللي اختارته، حتى إنها ما كانتش معايا والله، وبعدين خلاص كلها ربع ساعة وبدر يبقى هنا، عديها المرادي يا مصطفى.

نظر إليها قائلًا بصرامة:

- قسمًا بالله لو ما دخلتِ غيرتي اللي لبساه دا حالًا ما فيه خروج من أوضتك يا ياسمين، اتفضلي!

سالت دموعها قائلة بصوتٍ فاتر منخفض:

- أنت ليه مش بتعرف تنصح بالراحة؟ الرسول ما كانش بيتعامل مع حد كدا، وأظن إنك متدين كفاية عشان تتعلم منه كان بيعامل غيره ازاي!

نظر إلى أسفل بخجل، فتابعت ببكاء:

- كل ما تكلمني تزعق لي وأنا مش باعرف أرد، بس ما تفكرش إن دا ضعف، أنا بس عارفة إني باكون غلطانة بس مش كدا، والله أنا فرحت بالعباية لدرجة إني ما فكرتش لما ألبسها هيكون صح ولا غلط، بس عمومًا حاضر يا مصطفى، هادخل أغيرها وهالبس العباية السمرا بتاعتي، أظن وقتها مش هالفت نظر حد.

قالتها، وهرولت إلى غرفتها حيث انهمرت في البكاء حتى وصل أذنيه، فضرب بيده على المقعد أمامه، قائلًا بصوتٍ مسموع:

- غبي! نفسي أعرف أنا بعاقبها على إيه؟ على إيه بس!

ربتت والدته على يده قائلة بحنان:

- سامحني يا ابني.

نظر إليها قائلًا بصوتٍ مختنق:

- يا ماما أنا مش قادر أسامح نفسي، أنا كل يوم والتاني أخليها تعيط، وأنا عارف إن دموعها بتقتلني، وبرضه ما باحرمش يا ماما.

- اهدى يا حبيبي عشان خاطري، ياسمين مش...

ولم يكمل جملته حينما دق جرس الباب، فمسح على وجهه ثم ذهب ففتح الباب، فوجده بدر ينظر إليه مبتسمًا بغيظ، فتلعثم قائلًا بصوتٍ منخفض:

- منور يا بدر، اتفضل.

دلف بدر قائلًا:

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

- ما شُفتكش في المسجد النهار دا ليه؟

- ما علش، كنت تعبان شوية فصليت في المسجد اللي جنب البيت.

- ألف سلامة عليك، ما لك يا حبيبي؟

قال بغضب، ولكن بصوت منخفض:

- بدر ما تستهبلش أنت...

ولم يكمل حينما خرجت والدته مبتسمة قائلة:

- إزيك يا بدر؟

تقدم بدر قائلًا مبتسمًا:

- مين فينا اللي بدر يا أمي؟ اللهم زد وبارك!

- هههههه بكاش قوي.

- هههههه يعني أنفع؟

- بطل لماضة و...

خرجت سارة من غرفتها مرتدية عباءتها السوداء قائلة مبتسمة:

- السلام عليكم.

ابتسم بدر قائلًا (دون اكتراث لما ترتدي):

- وعليكم السلام، إزيك يا آنسة ياسمين؟

- تمام الحمدلله.

تنحنح مصطفى فنظرت إلى أسفل بضيق، فتلعثم قائلًا:

- اتفضلوا يا جماعة، هتفضلوا واقفين ولا إيه؟

دلف الجميع إلى غرفة المعيشة التي لا يفصلها عن الصالة أي شيء، وهنالك جلست سارة، وأمامها مباشرة جلس مصطفى وبجواره بدر وبجانبها والدة مصطفى..

لم يكن يتحدث سوى بدر ووالدة مصطفى -بالجد مرة وبالهزل مرة- أما مصطفى فجلس ينظر إلى أسفل بشرود، يحرك قدمه بتوتر واضح وغضب يكسو ملامحه، وكأنه بركانٌ خامد، وكذلك كانت حالتها، وإن كانت أنجح في إخفاء مشاعرها بعض الشيء، ولكنها أيضًا كانت شاردة به، لا تفكر سوى بكلماته معها منذ أن طلب منها أن يتزوجها

" - لأنها خطيبتي، وكلها أسبوع إن شاء الله وهتبقى مراتي، وأنا عايزها تبقى جنبي طول الوقت ... أنا ما كدبتش يا ماما هي دي الحقيقة وهو دا اللي هيحصل ... تتجوزيني؟ ... ولأني مش أناني ولأنك ما تعرفينيش، فأكيد هيبقى فيه بينْنَا رؤية شرعية وصلاة استخارة زي أي بنت، أنا عمري ما هاحرمك من حاجة زي دي " إلى أن قال ما قسم قلبها نصفين " - هتسيبيني تاني يا ياسمين؟

دا أنا ما صدقت إن ربنا جمعني بيكِ، عادي كدا عايزة تسيبيني وتمشي؟ طب وأنا! عادي مش فارق معاكِ؟"

وكذلك ما أوصاها بتذكره وهو أمامها

" - لو ياسمين اتجوزت حد غيري أنا هاموت"

فأخذها من شرودها صوته قائلًا بصوتٍ منخفض دون أن ينظر إليها:

- الآنسة ياسمين مش معانا خالص.

انتبه مصطفى لجملته ولكنه لم ينظر إليه، أما سارة فتنحنحت قائلة (دون تفكير):

- آسفة بس سرحت شوية، حضرتك كنت بتقول حاجة يا أستاذ مصطفى؟

* * *

الفصل الثالث والعشرون

- آسفة بس سرحت شوية، حضرتك كنت بتقول حاجة يا أستاذ مصطفى؟

نظر إليها مصطفى سريعًا بذهول وكذلك والدته، وبالرغم من ذلك لم يغضب بدر، بل أسعده أنه تيقن من حبها لها وشرودها به، فتنحنحت قائلة بخجل:

- أنا آسفة.

ابتسم بدر قائلًا:

- ولا يهمك، كنت باقول إني من زمان بادور على زوجة متدينة ونور ربنا سر جمالها، والحمد لله وأخيرًا لقيتها.

ابتسمت (بتكلف) دون أن تتحدث، أما مصطفى وقف سريعًا بغضب ثم نظر إلى بدر بضيق، فبادله النظر مبتسمًا ببرود ثم دلف إلى غرفته دون أن يتحدث إلى أحد، فتلعثمت والدته وابتسمت بتكلف أيضًا قائلة:

- طيب يا ابني، أنا جنبكم هنا أهو.

ما إن خرجت، حتى اعتدل بدر في جلسته واختفت تلك البسمة (المستفزة) فقال بجدية:

- طنط حكت لي عن كل حاجة عنك يا ياسمين، ومع ذلك أنا لسَّا متمسك بيكِ.

نظرت إلى أسفل بضيق مدمعة العينين، فابتسم قائلًا:

- ودا بالظبط التعبير اللي كنت منتظره منك.

نظرت إليه بعدم فهم، فتابع دون أن ينظر إليها:

- بتحبيه؟

نظرت إليه بذهول دون أن تتحدث، فتابع بجدية:

- ياسمين! صدقيني جوابك دا هيتبني عليه حاجات كتير قوي ... بتحبيه؟

صمتت لفترة ثم أومأت برأسها إيجابًا، فتنحنح قائلًا بجدية:

- تمام ... يبقى ركزي معايا كويس قوي، لأنه -ولو مهما حصل- مستحيل أسمح لحاجة تبعدكم عن بعض.

نظرت إليه، وعلى وجهها ألف تعبير، فتابع بجدية:

- أنا هافهّمك كل حاجة يا ياسمين.

* * *

وفي صباح اليوم التالي وبعد أن عادت ياسمين إلى المنزل مع والدتها، ارتدت الإسدال واللثام وخرجت من غرفتها قائلة دون أن تنظر إلى والدتها:

- صباح الخير يا ماما.

- صباح النور يا سارة، مش هتفطري يا حبيبتي؟

- لا ما علش مستعجلة شوية، سلام.

- سارة!

- نعم؟

- إنتِ كويسة؟

- الحمدلله، السلام عليكم.

قالتها وذهبت سريعة تاركة والدتها في حيرة من أمرها، أما ياسمين، فذهبت إلى الجامعة حيث قابلت آية التي اعتادت وجودها جوارها، وكذلك أصبحت ماهرة في تفادي أي حديث شخصي معها قد يكشف عن هويتها، وما هي إلا

لحظات حتى تقدم منهما حمزة، فقال بجدية:

- صباح الخير.

ردّت آية مبتسمة ولم تفعلها ياسمين، فتنحنح بخجل قائلًا:

- آنسة سارة! ممكن أتكلم مع حضرتك شوية؟

كثيرًا ما طلب منها نفس الشيء وكثيرًا ما ذهبت سارة دون أن تتحدث أو أن تجيب، أما هذه المرة هاله رد ياسمين:

- تمام اتفضل.

ولكنه ومع ذلك، جلس معها على منضدة قريبة، وهنالك تنحنح قائلًا بجدية:

- سارة! أنا مش عارف أنام ولا أشتغل، ولا عارف أعيش طول ما انتِ زعلانة مني.

زفرت بضيق فقالت في نفسها "آه ما هي كانت ناقصاك يا عم هاني يا شاكر!

- والله يا سارة ما كنتش أعرف إنها أختك.

انتبهت لكلمته، فتابع:

- ما كنتش أعرف إنك بتحبيها قوي كدا واستحملتِ كل اللي عملته فيكِ عشانها، وبدل ما تعاقبيني ع اللي عملته اتحايلتي عليَّ عشان ما افكرش فيها بالشكل دا.

قطبت ياسمين حاجبيها بصدمة فتابع:

- صدقيني والله أنا مصدقك وعارف إنها ضحية ووعد مني هاساعدك تلاقيها، بس إنتِ سامحيني.

وهنا سالت أولى دموعها لسبب لا تعرفه، ولكنه على الأغلب كونه شعورًا يشبه الندم إلى حدٍ كبير، وكأنها تكتشف أختها ووالدتها من جديد، لم تتحمل أكثر فهرولت إلى الخارج إلى حيث تقتل شعورها بالندم والضعف، فذهبت مباشرة

إلى حيث يعمل أسامة، وما إن رأته حتى قالت بصوتٍ مختنق:
- النهار دا هننفذ الخطوة اللي بعدها، النهار دا يا أسامة.

* * *

وفي مكان آخر استيقظت سارة بفرح لما قاله لها بدر الليلة السابقة وكان مما طلبه أن تتجنب لقاءه في الفجر بأي طريقة كانت وبالفعل فعلت ما طلبه وأقامت الصلاة بغرفتها ولم تخرج إلا في الصباح..

خرجت من غرفتها مبتسمة، فوجدت والدته تقرأ في مصحفها بصوتٍ معتدل، فقالت:
- صباح الخير يا طنط.
وضعت والدة مصطفى المصحف من يدها فابتسمت قائلة:
- صباح النور ياست البنات، الواد بدر من الصبح عمال يرن عشان يعرف صليتِ استخارة ولا لسَّا.
لحظتها خرج مصطفى من غرفته قائلًا دون إبداء أي تعبير:
- صباح الخير.
- صباح النور.
قالتها والدته مبتسمة، فتنحنحت سارة قائلة:
- الحمدلله يا طنط، صليتها امبارح قبل ما أنام.
- طب وإيه؟
رمقته بنظرة سريعة ثم ابتسمت قائلة بخجل (مصطنع):
- أنا موافقة.

ابتسمت والدته بتوتر، فنظرت إليه لتجده ينظر إلى سارة بذهول وغضب، فوقفت قائلة بصوتٍ منخفض:

- ربنا يسعدك يا حبيبتي.

تلاشى غضبه واستحال إلى دموع مترقرقة في عينيه، فتقدم ناحيتها وابتسم قائلًا:

- مبروك يا ياسمين، صدقيني أنا كفاية عندي إن ابتسامتك دي ما تفارقش وشك أبدًا، حتى لو كان شخص تاني هو السبب فيها، بس عايز أطلب منك طلب.

سالت دموعها على وجنتها، فقالت بصوتٍ مختنق:

- اتفضل

ابتسم فتابع:

- سامحيني على أي مرة اتعصبت عليكِ أو جرحتك فيها، والله أنا عمري في حياتي ما كنت كدا، لا عمري كنت عصبي ولا عمري جرحت حد، بس مش عارف إيه اللي ... عمومًا يا ياسمين خلي بالك على نفسك وكوني دايمًا مبسوطة عشاني، السلام عليكم.

قالها وهم بالذهاب، فأمسكت والدته بذراعه قائلة بخوف:

- يعني إيه كلامك دا؟

- أنا مسافر يا ماما.

ثم نظر إلى سارة فتابع:

- مسافر ومش هارجع غير لما أنساها.

بكت والدته قائلة بصوتٍ مختنق:

- يبقى مش ناوي ترجع يا مصطفى!!

الفصل الرابع والعشرون

- مسافر ومش هارجع غير لما أنساها.
بكت والدته قائلة بصوت مختنق:
- يبقى مش ناوي ترجع يا مصطفى!!
تركها وذهب سريعًا، وكذلك هرولت ياسمين إلى غرفتها فانهمرت في البكاء، وارتمت والدته على المقعد مستعيدة كلماته

" - كدا حضرتك مرتاحة يا ماما؟ كدا شايفة إن اللي بتعمليه صح؟ لو حصلت في يوم من الأيام واتحطت الأخت والابن في مقارنة أكيد الواحدة هتختار ابنها، بس للأسف يا ماما إنتِ اخترتِ أختك وكسرتي قلبي ودمرتيني"
فوقفت وكفكفت دموعها قائلة بجدية بصوتٍ مسموع:
- مستحيل أسمح لحاجة تكسر قلبك يا ابني حتى لو كنت ... حتى لو كنت هاخسر أختي نفسها.

* * *

- الحقني يا بدر!
قالها خالد، وهو يدلف مكتب بدر في المسجد، فوقف الأخير قائلًا بفزع:
- إيه يابني ما لك؟ أنت مش المفروض في الشركة دلوقتي؟
- سيبك من الشركة دلوقتي.
- طيب أقعد بس واهدى وقل لي فيه إيه؟

- مصطفى النهار دا قدم استقالته في الشركة ومصمم يسافر.

وقف بدر قائلًا بذهول:

- يسافر! يسافر يعني إيه؟

- يعني اللعبة قلبت بجد.

- طب ... وهو فين دلوقتي؟

- مع المدير في الشركة، لما مصطفى قدم له الاستقالة خدها قطعها وقاله ما فيش سفر، شكله بيعزه قوي وسبته بيحاول يقنع فيه.

- يا الله! طب والعمل؟!

- ما اعرفش يا بدر اتصرف، مصطفى متدمر خالص دا...

ولم يكمل حينما رن هاتفه، فأخرجه وقال بصوتٍ منخفض:

- دا مصطفى!

- طب رد بسرعة.

أجاب خالد:

- السلام عليكم.

- وعليكم السلامة، أنت فين يا خالد؟

- حبيبي انت اللي فين؟

- أنا خرجت من الشركة، المدير ما رضيش يسمع لي وقال لي هاديك النهار دا أجازة تريح أعصابك، بس خلاص يا خالد - ولو مهما حصل- في ظرف يومين هاكون مسافر.

- مصطفى! اهدى عشان خاطري، قل لي أنت فين؟

- رايح المسجد.

- أنا كمان في المسجد مستنيك.

- بدر عندك؟

- آه.

- يبقى مش هاجي.

- ما تعاندش عشان خاطر ربنا، تعالى ومش هاخليك تشوفه طيب.

- عرفه إني على أخري ومش حمل كلمة مستفزة منه.

- حاضر بس أنت تعالى.

- خمس دقايق إن شاء الله وهاكون عندك.

وبعد خمس دقائق وصل مصطفى، فرآه بدر من النافذة فقال:

- كلمه قل له يدخل وبلاش لعب عيال.

وبالفعل قام خالد بالاتصال عليه ثانية:

- مستنيك في مكتب بدر.

- خالد! قلت لك مش عايز أشوفه.

- عشان خاطري، صدقني هو عايزك في موضوع مهم.

- يا الله!! ماشي يا خالد.

دلف مصطفى ناظرًا إلى أسفل، فقال بغضب:

- السلام عليكم.

رد كلاهما السلام، فارتمى مصطفى على المقعد وأسند رأسه على ظهره، أخذ ينظر إلى أعلى بشرود دون أن يتحدث إلى أحد، وبعد فترة قصيرة تنحنح بدر قائلًا:

- عمرك ما كنت أناني يا مصطفى.

ابتسم مصطفى قائلًا (دون أن يتحرك أو ينظر إليه):

- أنا ما اخترتش أي حاجة خالص، لا اخترت أقابلها ولا اخترت إني أحبها، ولا

اخترت أنها تحبني ولا اخترت إن ماما تفرض عليَّ أخطب منال ولا اخترت أتعذب ولا اخترت إن أعز أصحابي ياخد حبيبتي مني.

- بس أنا ما أخدتهاش منك يا مصطفى، أنت اللي اتخليت عنها، ما دام بتعمل حاجة صح يبقى كان المفروض تقف قدام الدنيا كلها، غضب والدتك عليك ساقط ما دام بتنفذ اللي الرسول قال عليه، بس أنت استسلمت وكسرت قلبك وقلبها، لا وكمان عايز تخليها جنبك كدا؟ يبقى حرام عليك!

قال مصطفى بصوتٍ مختنق أيضًا دون أن يتحرك أو ينظر إليه:

- ياسمين لو بقت لغيري أنا هاموت.

وقف بدر سريعًا، فذهب ناحيته وجذبه من ذراعه بقوة قائلًا بجدية:

- يبقى ما تسيبهاش لغيرك يا غبي، ما تتخلاش عن حبك وما تتخلاش عن بنت ما فيش زيها اتنين في الزمن دا لأي حد، واجه العالم كله لو تتطلب الأمر واتجوزها.

كان ينظر إليه بذهول فقال:

- أنت اللي بتقول كدا؟

- فاكرني ممكن أبص لحبيبتك في يوم من الأيام؟ البنت اللي ساكنة قلبك محرمة عليَّ، أنا ما عنديش في الدنيا أغلى منك وعملت كدا عشانك، عشان تعرف أنك مش هتتحمل بعدها، و عشان تواجه استسلامك.

بكى مصطفى بفرح، فاحتضنه بشدة قائلًا:

- يااااااه ما تتصورش ريحتني قد إيه!

قال خالد بصوت هزلي: - كفاية أرجوك، أنا قلبي رهيف ودمعتي قريبة.

أبعده بدر عنه ضاحكًا، فكفكف بيده دموعه قائلًا:

- ما فيش سفر و ما فيش استسلام يا مصطفى، صدقني مش هاسمح لك

بكدا.

أومأ برأسه مبتسمًا، ثم كفكف دموعه قائلًا:

- طيب ... بس ياسمين قالت لماما إنها وافقت عليك.

- أنا اللي قُلت لها تعمل كدا، امبارح ما كانتش طايقة تبص في وشي، فما قدرتش أخبي عليها واتفقت معاها على كدا.

وضع مصطفى يده على فمه بذهول قائلًا:

- يا نهار فضايح!!

ضحك خالد قائلًا:

- إيه الـ reaction الغريب دا؟

ضحك بدر، فابتسم مصطفى ونظر إلى أعلى قائلًا بصوتٍ مسموع:

- شكرًا يارب ... الحمد لله.

رن هاتف بدر، فتلاشت بسمته ثم قطب حاجبيه قائلًا:

- دي مامتك يا مصطفى!

- ماما! طب رد.

أجاب بدر:

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام، ازيك يا بدر؟

- الحمد لله يا حبيبتي، إنتِ عاملة إيه؟

- الحمد لله بخير يا ابني.

- أُمال صوتك ما له!

لم تجبه، بل تابعت:

- انت فين يا بدر؟

- في المسجد، ليه؟
- عايزاك تيجي لي شوية.
- دلوقتي؟
- حالًا.
- ليه؟
- لما تيجي هتعرف كل حاجة، السلام عليكم.

أغلق بدر الهاتف مقطب الحاجبين، فقال مصطفى:

- فيه إيه يا بدر؟ ما لها ماما!
- مش عارف، بتكلمني بجدية قوي وقالت لي تعالى حالًا.
- ما قالتش ليه؟
- لأ.
- طيب يلا بينا.

وانطلقا، وما هي إلا عشر دقائق حتى كانا أمام باب الشقة، فدق مصطفى الجرس، ففتحت سارة الباب ناظرة إلى أسفل فدلفا ليتنحنح مصطفى قائلًا:

- السلام عليكم.

نظرت إلى أسفل قائلة بصوتٍ منخفض:

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

قال مصطفى بصوتٍ منخفض دون أن ينظر إليها:

- ماما فين؟
- جوا.

قالتها، وهرولت للداخل حيث أشارت كما أوصتها والدته، فتلعثم بدر قائلًا:

- أنا خايف! مش عارف ليه حاسس إني هاتنفخ.

ابتسم مصطفى رغمًا عنه، فجذبه من ذراعه ودلفا إلى الغرفة حيث توجد والدته مع سارة فدلفا فقال بدر:

- السلام عليكم.

قالت والدة مصطفى بجدية:

- وعليكم السلام، اقعدوا.

جلس مصطفى جوار والدته ولم يجلس بدر، فتنحنح مصطفى قائلًا:

- خير يا ماما؟

لم تجبه، حتى أنها لم تنظر إليه، ولكنها قالت موجهة حديثها لبدر:

- ما علش يا بدر، كل شيء قسمة ونصيب يا ابني.

في لحظة، نظر مصطفى وسارة إلى بعضهما البعض بعدم فهم، وما لبثت سارة أن نظرت لأسفل بتوتر، فنظر مصطفى إلى بدر وقطب حاجبيه، فتنحنح بدر قائلًا:

- هي ... هي الآنسة ياسمين ما وافقتش؟

- لأ وافقت، بس أنا اللي مش موافقة.

نظرت سارة إليها بعدم فهم وكذلك فعل الجميع، فتنحنح مصطفى قائلًا:

- فيه إيه يا ماما؟

تابعت والدته دون أن تنظر إليه:

- أنت عارف يا بدر لا يخطب أحد على خطبة أخيه.

ضحك بدر رغمًا عنه، وفعلته الغريبة جعلت الجميع يبتسم ما عدا والدة مصطفى، ثم أخفى بسمته فقال متصنعًا الجدية:

- أنا مش فاهم حاجة بصراحة.

قالت والدته:

- خمس دقايق وهتفهم كل حاجة.

مرت خمس دقائق، والجميع في حالة من الصمت لم يقطعها سوى صوت دقات الباب، فخرج بدر ففتح الباب، فقطب حاجبيه حينما رأى خالة مصطفى وابنتها فدخلا وتبعهما، وما إن دلفت والدة منال حتى قطبت حاجبيها لرؤيتها سارة جوار أختها فأقلقها ذلك، أما منال فدلفت بعد أن ألقت السلام، فجلست جوار مصطفى، نظرت سارة إلى أسفل بضيقٍ لاحظه، فقام فوقف جوار بدر، الذي قال هامسًا:

- وبعدين بقى في جو السبع وصايا دا؟

ضحك مصطفى قائلًا بصوتٍ منخفض:

- اخرس بقى هتفضحنا.

- لا والله بجد؟ تفتكر هتطلع مش ابنها في الآخر؟!

- هههههه يابني اخرس اخرس.

- طب إيه حكاية لا يخطب أحد على خطبة أخيه دي؟ أنا حاسس إني هيطلع لي ديل من قلة الفهم!

- هههههههه بدر بجد يا تسكت يا تطلع برا.

- أدينا سكتنا أما نشوف آخرتها.

بدأت والدة منال الحديث بغيظ، بعد أن رمقت سارة بنظرة ازدراء:

- خير يا أم مصطفى؟ إيه الموضوع المهم اللي جبتينا عشانه دلوقتي؟

قالت والدة مصطفى بجدية:

- خير إن شاء الله، أنا جمعتكم كلكم دلوقتي عشان أعرّفكم بس أنه كتب كتاب مصطفى بعد بكرة بإذن الله.

نظر إليها مصطفى مصدومًا وكذلك سارة، أما منال فابتسمت بفرح، وبالنسبة

لبدر فقد أكل الخوف قلبه، فقال بصوتٍ متهدج:

- حضرتك قررتِ كدا فجأة يعني؟

- أيوة ما دام هيسافر يبقى ياخد مراته معاه.

قال مصطفى منفعلًا:

- بس أنا مش عاوز أتجوز دلوقتي يا ماما.

- أنا مش باخد رأيك يا مصطفى، اللي قلته دا قرار نهائي.

ابتسمت والدة منال بفرح قائلة:

- ربنا يتمم لهم على خير يا أم مصطفى.

ابتسمت والدته قائلة:

- يارب يا حبيبتي، وأنا جبتك إنتِ ومنال عشان تكونوا أول المعزومين!!!

* * *

الفصل الخامس والعشرون

- يارب يا حبيبتي، وأنا جبتك إنتِ ومنال عشان تكونوا أول المعزومين!!!
وقف الجميع في نفس اللحظة، منهم من هو مذهولٌ فرحٌ كما كانت حالة مصطفى ومعه سارة وبدر، ومنهم من هو مصدومٌ غاضبٌ كما هي حالة والدة منال، ومنهم من ترقرقت الدموع بعينيه كما كانت منال، ولم يتحدث أحد غير والدته فتابعت:
- أنا غلطت يا أم منال لما كسرت قلب ابني عشان أي حد، إنتِ نسيتِ في ثانية أني اللي مربياكِ ووقفتِ علاقتنا على جواز بنتك من ابني، وعشانك بعدت ابني عن حبيبته اللي دايمًا كنت بادعي ربنا عشان يلاقيها، وكسرت قلب ياسمين اللي عمري ما شُفت منها غير الحنان والرضا والابتسامة، كنت باشوفه كل يوم همومه بتزيد وبيدبل قدام عيوني، وأنا واقفة اتفرج، وكنت باشوف ياسمين كل يوم بتنام معيطة وكل يوم بتدعي أنه ربنا يرجعه لها، وكنت باتفرج وباسكت برضه، بس خلاص يا أم منال أنا اخترت ابني ولو عشان بادور على سعادة ابني هتطلعي من حياتي يبقى دا اختيارك إنتِ.
قالت أختها بغيظ وغضب:
- فكرتِ في واحدة غريبة وما فكرتيش في بنتي، بس عمومًا يا أم مصطفى إنتِ اللي اخترتي مش أنا، يلا يا منال.
قالتها وهمت بالذهاب، ولكن استوقفها صوت منال المختنق قائلة:
- لا يا ماما، أنا مش هسيب خالتو، أنا هافضل هنا عشان أجهّز معاها لكتب الكتاب، أنا يا ماما عمري ما كنت ولا هاكون أنانية، أنا ما يهمنيش في الدنيا

غير سعادة مصطفى؛ لأنه يستاهل، حتى لو كانت سعادته مع غيري، طب وفيها إيه؟ ربنا كاتب له كدا، وأكيد ربنا كاتب لي شخص تاني هيسعدني ويعلمني في ديني اللي ما اتعلمتوش، واللي كنت هاطلب من مصطفى يعلمهولي بس...

ابتسمت فنظرت إلى سارة، التي كانت تبتسم لها بحب وإشفاق قائلة:

- هو هيعلِّم ياسمين وياسمين تبقى تعلمني بقى.

بكت والدة مصطفى بفرح فاحتضنت منال بشدة، وانهمرت الأخيرة في البكاء ومعها والدتها، وكذلك فعلت سارة، فنظر إليها مصطفى مبتسمًا، وحينما التقت أعينهما كفكفت سارة دموعها مبتسمة بفرح، فأشار مصطفى بيده لأعلى، فنظرت حيث أشار قائلة بصوت هامس:

- الحمد لله.

ظلت والدة مصطفى تمسح على رأسها حتى هدأت، فنظرت لها منال بحب ومسحت بيدها دموعها قائلة:

- خلاص بقى يا خالتو، ما فيش عياط تاني خالص.

وسرعان ما اختفت بسمتها واستحالت إلى دهشة حينما رأته يقترب منها دون أن ينظر إليها، فنظرت إليه بذهول فقال بصوتٍ منخفض:

- تتجوزيني؟

* * *

- عمر الضعف ما عرف طريق لقلبي، عمر الشفقة ما زارتني من ناحيتهم في يوم، هاشفق على مين؟ على اللي رمتني في الملجأ ولا على اللي أخدت حياتي وسعادتي وحب بابا وكل حاجة كانت من حقي؟ أيوة أنا رميتها في الصحرا عشان تتعذب قبل ما تموت، بس دلوقتي ما اقدرش أقول إنه لو رجعت بيَّ الأيام

هاعمل كدا تاني! ودا اللي مش عارفة له سبب، لا، سارة ما كانتش بتحبني! كانت بتدور عليَّ بس عشان تنفذ وصية بابا! حتى ... حتى مراته برضه كانت بتدور عليَّ عشان بابا يرضى عنها،

ما فيش حد عمل حاجة عشان ياسمين، ما حدش حس بياسمين ولا حبها، ولا عمر قلبي عرف حب أي حد، قلبي ما عرفش غير العذاب من يوم ما رموني في الملجأ، ودا اللي عشت عمري كله استنى اليوم اللي هيدوقوا فيه كل اللي دُقته، عارفة إن سارة اتعذبت وماتت، وبالنسبة ليَّ دا كفاية عليها، أما التانية عمر قلبي ما هيرتاح غير لما تموت من كتر الألم والعذاب،

بس تتعذب لوحدها، أنا مش عايزة أتعذب تاني، يبقى ليه كلامها أثر فيَّ؟ ليه ندمت للحظة ع اللي عملته في سارة وباعمله في أمها؟ أنا مش هاسمح للضعف يسكن قلبي، ولو حصل هاكسر قلبي وأكمل طريقي ما عادش ينفع أرجع، وحتى لو ينفع برضه هاكمل طريقي، عارفه إنه آخره الموت وعارفة إن آخرتي في النار، بس أنا عملت حاجة صح في حياتي؛ وهي إني لسَّا على عهدي مع بابا ولسه محافظة ع الخيط اللي بيني وبين ربنا، يمكن ربنا برحمته يجعله سبب عشان يغفر لي، ربنا حاسس بيَّ وعارف إني اتعذبت كتير من غير ذنب، أكيد هيغفر لي، هو عارف إني باحبه، والله أنا باحب ربنا جدًا، ويمكن هو دا سبب شوية الرحمة اللي لسَّا في قلبي، بس برضه عمري ما هاسمح لها إنها تخليني ضعيفة ولو ومهما حصل، أنا...

رن هاتفها فألح في الرنين، كفكفت دموعها وأغلقت أوراقها ووضعتها في صندوقها، فأجابت بصوتٍ منخفض:

- ألو.

- أيوة يا ياسمين ألحقيني!
- مالك يا أسامة فيه أيه؟
- العيال اتقبض عليهم.
- مين؟
- اللي سرقوا المحلات، كاميرا السوبر ماركت اللي في الشارع جابت وش واحد، وطبعًا اعترف ع الباقيين.
- جابوا سيرتك؟
- لحد دلوقتي لأ.
- طيب ما تخافش واهدى، خلينا نفكر.
- هدي اللعب اليومين دول خالص يا ياسمين لحد ما الموضوع دا يعدي.
- خلاص ماشي، بس خلي بالك من نفسك.
- وانتِ كمان، سلام.
- سلام.

* * *

مر يومان، وبعد صلاة العشاء وقف مصطفى وبدر يستعدان في منزل خالد لعقد قرانهما، فوقف مصطفى أمام المرآة يعدل من هيئته قائلًا:
- جه اليوم اللي أتنازل وألبس فيه بدلة وكرافتة كمان، فعلًا والله الحب بيبهدل، بس يلا كله يهون عشان خاطر عيونك يا حوريتي.
دلف بدر قائلًا بضحك:
- آه والله، اللي اخترع البدل دا كان راجل فاضي فقال يقرفنا بقى.

- هههههههه إيه رأيك يا واد يا بدر يا حقود؟
- ما أنت طول عمرك أوسم مني إيه النيو؟
- هههههههه ميرسي خالص، المهم..
جلس بدر قائلًا، وهو يربط ساعته:
- ها؟
جلس جواره مصطفى قائلًا بجدية:
- مش ناوي تقول لي إيه خلاك تعمل كدا؟
- أعمل إيه؟
- ما تستهبلش.
أسند بدر ظهره على المقعد، فنظر إلى الفراغ بشرود قائلًا:
- هتصدقني لو قلت لك ما اعرفش، عارف يا مصطفى! رغم إني دايمًا بادور على زوجة ملتزمة، بس عمري ما دعيت بيها دايمًا أدعي ربنا بزوجة صالحة القلب، عارف أنت نوعية الناس اللي بيتقال عنهم متى أشرت لهم على طريقٍ إلى الله سبقوك إليه فيه؟ أهو أنا بقى كنت عايز زوجة أعلّمها الالتزام على إيدي، كنت بادور على بنوتة ليَّ قبل زوجة، فاهم لما تكون مش عايز حاجة تضيع من إيدك؟ أهو أنا بقى لقيت إنه منال دي فرصة ما ينفعش أضيعها من إيدي، ليه برضه ما اعرفش؟ بس بعد ما قالت إنها كانت عايزاك تعلمها في الدين اللي ما اتعلمتوش، وبعد ما لقيتها مؤمنة بقضاء ربنا كدا وواثقة إنه هيرزقها الزوج اللي يقربها منه، ما حستش بأي حاجة غير وأنا قدامها وبطلب منها إنها تتجوزني.
ابتسم مصطفى بفرح، فتابع بدر:
- هتصدقني لو قلت لك إني باحبها؟ وأنه من ساعة ما والدتها وافقت وأنا

مستني النهار دا عشان تبقى مراتي؟ باحبها قوي قوي إزاي وإمتى وليه ما اعرفش؟ بس اللي أعرفه إني هاعلّمها كل حاجة ربنا مَنّ عليَّ بأني أدرسها وأعرفها في يوم من الأيام، ومش هاسيبها، مصطفى! أنا بجد فرحان قوي.

احتضنه مصطفى قائلًا بحب:

- ربنا يسعدك أنت وهي يارب يا حبيبي.

- أعوذ بالله، انتوا الأتنين! وفي الأوضة بتاعتي ويوم كتب كتابكم كمان! حسبي الله ونعم الوكيل.

قالها خالد بضحك حينما دلف الغرفة، فوقف مصطفى قائلًا بضحك:

- دا إيه الأهبل اللي بيحسبن عليَّ يوم كتب كتابي دا يارب!!

ضحك بدر فأردف مصطفى:

- يلا يا حقود، بتحقد علينا عشان احنا عرسان وانت لأ؟

ضحك بدر قائلًا بحب:

- عقبالك يا خالد.

أجاب خالد متصنعًا الإبتسامة:

- لا يا اخويا أنا والبنات والجواز بقينا Don't Mix

ضيق مصطفى عينيه قائلًا:

- تراهني يا بدر إن الواد دا بيحب؟

- هههههه وربنا كنت لسَّا هاقولها.

ضحك خالد قائلًا:

- تكسبوا الرهان يا اخويا انت وهو، يلا عشان ما نتأخرش.

وانطلق الجميع إلى المسجد حيث سيتم عقد القران، وكانت ليلة من أبهج ما

يكون؛ فللمرة الأولى يخفق قلبها بهذه الطريقة وهي تسمع الشيخ يقول ووكيلها (الذي اختارته) يردد خلفه، ومن بعده صوته الذي باتت تعشقه، وكذلك كان الحال بالنسبة لمنال، وبعد أن أنهيا عقد قرانهما استأذن خالد، فمشي ووقف بدر مع الشيوخ رفاقه، أما مصطفى فهرول إلى حيث توجد زوجته، وقفت والدته علي الباب فقبل يدها، فابتسمت قائلة:

- أخيرًا يا مصطفى اتطمنت عليك؟!

- الحمدلله يا قلب مصطفى، عديني بقى خليني أنا أتطمن على نفسي.

وضعت يدها على طرف الباب قائلة بضحك:

- أفندم!

- بالله عليكِ خمس دقايق هاقول لها حاجة وأخرج على طول.

- هههههه هي عارفة إنك بتحبها خلاص بقى.

- هههههه لا يا والدتي، بقى فيه حاجات أكبر من كدا دا إنتِ غلباااااانة قوي.

أمسكت بأذنه فقالت:

- مش هاسمح لك تكلمها لحد الفرح.

- نعم! ومين قال إني هاقدر أستحمل شهر؟

- هو كدا، ويلا اتفضل اقف مع أصحابك تحت؛ عشان البنات تعرف تخرج.

- يا ماما بقى بالله عليكِ، خليني أشوفها ولو من بعيد حتى!

- انزل تحت يا مصطفى وبلاش لعب عيال.

- ياربي! طيب هي لابسة إيه طيب مش عايزاني أشوفه؟

- هههههه ما لكش دعوة، بس مراتك أقل وصف يتقال لها دلوقتي إنها برنسيسة، ما أنا عشان كدا مش عايزة أدخلك.

- يا ماما عشان خاطري بقى.

- بص لو نزلت دلوقتي احتمال أخليك تقعد معاها شوية في البيت، ودا مجرد احتمال.

ابتسم بفرح قائلًا:

- وعد يعني؟

- هههههههه وعد يا حبيبي، يلا بقى انزل.

- حاضر.

*** * ***

الفصل السادس والعشرون

- ما نمتيش ليه لحد دلوقتي يا سارة؟

قالتها والدتها، وهي تدلف للغرفة، فاعتدلت ياسمين في جلستها ونظرت إلى أسفل قائلة بضيق:

- ما فيش، مش جاي لي نوم.

مسحت على وجنتها قائلة بحنان:

- مش ملاحظة إنك متغيرة قوي اليومين دول؟

قطبت ياسمين حاجبيها قائلة:

- متغيرة إزاي يعني؟

- على طول لما ما كانش بيجي لك نوم كنتِ بتخرجي تقعدي معايا برا وتقولي لي احضنيني عشان أعرف أنام يا ماما!

نظرت إليها ياسمين بذهول، فابتسمت والدتها ففتحت ذراعيها، وبتلقائية ارتمت ياسمين بين ذراعيها، فأغمضت عينيها بشدة وانهمرت في بكاءٍ صامت، لم تشعر بهذا الشعور من قبل، شعور جميل لا نحققه سوى بين ذراعي أمهاتنا، وبالنسبة لها كانت تلك هي المرة الأولى التي تشعر بمثل ذلك الشعور، لم تكن تعرف أفعلت ذلك حتى لا تشعر والدتها بشيءٍ من التغيُّر، أم لأنها كانت تحتاج ذلك الشعور؟ لم تعرف حينها إلا أن تغللها إحساسٌ بالضعف ثانية؛ فابتعدت سريعًا عن والدتها وكفكفت دموعها، فقطبت والدتها حاجبيها قائلة:

- مالك يا سارة؟ فيكِ إيه يا حبيبتي؟

لم تجب ياسمين، فتابعت:

- أنا عارفة أنك زعلانة عشاني، وكالعادة مش بتقولي، بس أنا حاسة بيكي يا بنتي، ما تقلقيش يا سارة ربنا بيبتليني عشان يعاقبني على اللي عملته في أختك، وعمري ما هارتاح غير لما أرجعها في حضني مرة تانية، وقتها بس هاقدر أموت وأنا متطمنة إن أبوكِ مرتاح في قبره وإن ربنا راضي عني.

نظرت ياسمين إلى أسفل بغضب، فربتت والدتها على كتفها قائلة بحنان:

- بس لو ربنا أخد أمانته قبل ما أشوفها، عرفيها يا سارة إني كنت باحبها قوي، وإني دفعت تمن اللي عملته فيها غالي، خليها تسامحني يمكن ربنا يسامحني، تصبحي على خير يا حبيبتي.

قالتها وخرجت من الغرفة، فاستلقت ياسمين على الفراش وانهمرت في البكاء قائلة في نفسها "لسَّا ما دفعتيش تمن حاجة خالص، لسَّا ما دفعتيش تمن 20 سنة عذاب، عايزاني أسامحك في ثانية وأنسى عشان حضرتك ندمتِ؟ بس ياريتها بالسهولة دي! صدقيني كنت... كنت سامحتك.."

* * *

- ماما حبيبتي، إنتِ وعدتيني.

- همَّ خمس دقايق برضه.

- إنتِ بتعامليني ليه كدا يا حاجة إنتِ؟

- ياسمين بنتي وأنا لازم أحافظ عليها.

- تحافظي عليها من جوزها؟

- لسَّا يا حبيبي دا يا دوبك كتب كتاب، لسَّا قدامك شهر وتبقى جوزها، ووقتها

ابقى أعمل اللي انت عايزه.

- يا ماما أبوس إيدك، دا أنا ما صدقت!

- برضه همَّ خمس دقايق بس.

- ياربي! خلاص خمس دقايق خمس دقايق، هو حد لاقي؟

- هههههه ماشي يا لمض اتفضل.

دلف مصطفى غرفة المعيشة مبتسمًا بفرح، فوجدها تقف أمام النافذة مغمضة عينيها، تتمتم ببعض الأدعية، وهي تنظر إلى السماء فابتسم بحب ووقف أمامها دون أن يتحدث، وكأنه يحاول أن يرضي حاجته في أن يحفظ ملامحها، وبعد فترة قصيرة، تقدم منها فأحاط ظهرها بيديه، فأسند رأسه على كتفها، ففتحت عينيها مبتسمة بخجل، ثم قال بصوتٍ هامس:

- أخيراً بقيتِ مراتي! هاسمع صوتك وانتِ بتقرأي قرآن، ما عدتش هاتصنت من على الباب تاني، هتبقي مأمومتي وهتعينيني على طاعة ربنا وهناخد الثواب سوا، ما عدتش هامشي في طريق الجنة لوحدي تاني وفي كل خطوة هتبقي معايا، ياسمين أنا باحبك قوي، لو فيه حاجة أكبر من العشق فهو دا بالظبط اللي في قلبي، ربنا ما يكتب عليَّ يوم في الدنيا دي من غيرك، ماما كانت بتقول لي مستحيل ألاقي بنت فيها كل الصفات اللي عايزها، بس أنا والله كنت بادعي بيقين وعمري ما قبلت غير إن زوجتي تكون فيها كل حاجة دعيت بيها، تعرفي أنا كنت بادعي كتير جدًا إن حوريتي يبقى صوتها ملائكي زيك كدا في تلاوة القرآن؟

استدارت سارة مبتسمة، فنظرت في عينيه مباشرة قائلة:

- كنت باحس بيك في كل قيام ليل واقف على الباب، كنت باخاف تكون واقف فعلاً وصوتي دا يبقى فتنة ليك، بس بالرغم من كدا كان فيه آية قصدت أكررها أكتر من مرة لو تفتكر؟

ابتسم فقال بحب:

- "اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي"

ابتسمت بخجل، فتابعت:

- أنا خايفة أكون باحلم يا مصطفى، خايفة أصحى ألاقيك مش جنبي.

اقترب منها قائلًا بصوتٍ منخفض:

- بس أنا جنبك وخلاص ما عادش فيه حاجة ممكن تبعدك عني ثانية واحدة، ياسمين! اوعي تبعدي عني تاني.

ابتسمت سارة بفرح فارتمت بين ذراعيه، فاحتضنها بقوة مغمضًا عينيه بفرح قائلًا في نفسه "الحمد لله."

* * *

- باحبك.

قالها بدر لمنال في غرفة الاستقبال في بيتها، فنظرت الأخيرة إليه بوجهٍ خالٍ من أي تعبير، ثم تلعثمت فقالت بجدية:

- عشان مراتك؟

- لأ عشان حبيبتي.

- ودا من إمتى دا؟ على فكرة أنت لسَّا شايفني من يومين.

- بس حبيتك، حبيتك فوق ما تتخيلي.

- ليه اتجوزتني يا بدر؟

- عشان تفضلي جنبي، عشان أعلمك في دينك اللي ما اتعلمتهوش يا منال، ونبقى صحبة في الدنيا وإن شاء الله في الجنة.

نظرت إلى أسفل قليلاً دون أن تتحدث، ثم رفعت رأسها ببطئ قائلة بعينين مدمعتين:

- تفتكر أنا أستاهلك يا بدر؟

- باحبك يا روح قلب بدر.

ابتسمت منال بفرح فتابع:

- عايز أسمعها منك.

قالت بطفولية:

- هي إيه دي؟

نظر إليها مبتسمًا بخبث، فتنحنحت قائلة بصوتٍ منخفض:

- باحبك با بدر.

- الله أكبر، أيوة بقى.

نظرت إلى أسفل بخجل، فاقترب منها وقال ناظرًا في عينيها مباشرة:

- ألا صحيح هي طنط قالت الفرح إمتى؟

* * *

ومضى اليوم وجاء غيره ببداية جديدة للبعض، منهم سارة التي غفت، والبسمة لا تكاد تغادرها وعلى وعد معه أن يقيم بها الليل، ولكن تلك البسمة تلاشت دون أن تستيقظ، وكأن القدر انتظرها لتكون زوجته ثم يضعها موضعها في طريقها ثانية...

"- خلاص بقى اطلعي من الشويتين دول...

- رايحة فين يا حلوة يا أم عيون عسلية؟ ...

- ألا مش دا اسمك برضه اللي معروفة بيه في الكباريه يا أم عيون عسلية؟ ... - ليه؟ ليه عملتِ فيَّ كدا يا سارة؟ ليه ضحكتِ على كل اللي حواليكِ؟ ... سارة!

إنتِ أقذر واحدة أنا عرفتها في حياتي! ...

- بالله عليك تودِيني ليها، وديني المكان اللي شُفتها فيه.

- سارة إنتِ بتقولي إيه؟ عايزاني آخدك كباريه؟! ...

- خلي بالك من نفسك يا سارة عشان خاطري، إنتِ يا بنتي الحاجة الحلوة الوحيدة اللي عملتها في حياتي ...

- أنا اللي إنتِ بقى لك كتير بتدوري عليها ... إيه يا سارة مش عايزة تشوفيني ولا إيه؟!

- ما طلبتش أقابلك عشان تحضنيني، فبلاش جو الأبيض والأسود دا ...

- أنتوا اللي عملتوا فيه كدا، أمك اللي رمتني في ملجأ وانتِ، إنتِ اللي فضلوكِ عليَّ واترميت أنا في الملجأ وفضلتِ إنتِ في حضن بابا ...

- هتقتلي أختك يا ياسمين؟ ... - لأ أنا مش هاقتلك يا سارة ما تخافيش دا إنتِ أختي برضه ...

- بس هخليكي تتمني الموت ومش هتلاقيه"

- ياسمين!

قالتها سارة بفزع فاستيقظت من النوم، أخذت تدير عينيها هنا وهناك بخوف، وكأنها تطمئن إلى أن ما حدث لم يكن سوى حلم تذكرت به تفاصيل حياتها، فانهمرت في البكاء، دلف مصطفى إلى الغرفة سريعًا ومعه والدته، فجلس جوارها واحتضنها وأخذ يمسح على رأسها قائلًا:

- هدي يا حبيبتي هدي، أنا جنبك ما تخافيش.

قالت والدته بخوف:

- مالك يا ياسمين؟ فيه إيه يا حبيبتي؟

ابتعدت عنه فقالت بذهول:

- ياسمين! فين ياسمين؟

نظر مصطفى إلى والدته بعدم فهم، فقامت سارة من مكانها، أمسك مصطفى بيدها قائلًا برفق:

- رايحة فين يا حبيبتي؟

قالت بصوتٍ مختنق:

- لازم ألحق ياسمين، لازم ألحقها قبل ما تعمل حاجة في ماما.

لم يكن من العسير عليهما فهم أنها استعادت ذاكرتها، ولكن كان من العسير عليهما فهم أنها ليست ياسمين، فنظر إليها مصطفى بعدم فهم، فقالت والدته:

- ياسمين مين يا بنتي؟ إنتِ تبقي...

- أنا مش ياسمين، أنا اسمي سارة.

مسح مصطفى على رأسها رفقًا بحالها، فقال بصوتٍ منخفض:

- بس يا حبيبتي أنا لما لقيتك كان جنبك بطاقتك وعليها صورتك واسمك.

نظرت إليه بذهول ثم إلى الفراغ، فقالت بصوتٍ مختنق:

- أكيد عملت كدا عشان تاخد مكاني وتأذي ماما ... مصطفى بالله عليك أنا لازم أمشي حالًا، فيه كارثه هتحصل لو فضلت هنا.

- كارثة إيه يا حبيبتي بس فهميني!

نظرت إلى أسفل بعينين مدمعتين، فرفع بيده رأسها وتابع بحنان:

- بصي، إنتِ بس فهميني وصدقيني هابقى معاكِ في أي حاجة تعمليها ... اتفقنا؟

كفكف بيده دموعها، فقالت باستسلام:

- اتفقنا.

الفصل السابع والعشرون

- أسامة! حد يتصل في الوقت دا؟

- البوليس جالي لحد الورشة يا ياسمين وهربت منه بالعافية.

وقفت ياسمين بذهول قائلة:

- اعترفوا عليك؟

- اعترفوا يا ياسمين وأنا مش عارف أعمل ايه! ما اقدرش أسيب أمي واخواتي لوحدهم، دول ما لهمش غيري!

مسحت ياسمين بيدها على وجهها بتوتر فقالت:

- أسامة بأي طريقة خليك بعيد اليومين دول، وأمك واخواتك ما لكش دعوة بيهم أنا هاتصرف.

- ياسمين ما...

قالت بانفعال:

- أنا لازم أخلص اللي جيت هنا عشانة يا أسامة، ما ينفعش أستسلم دلوقتي عشان أي حاجة أو أي حد.

- بس أنا عملت كل دا عشانك يا ياسمين

قالت سريعًا (دون تفكير):

- وأخدت تمن كل حاجة عملتها لي وزيادة شوية.

صمت لفترة أدركت خلالها قسوة ما قالت، ثم قال بصوتٍ مختنق:

- بس أنا ما عملتش كدا عشان الفلوس يا ياسمين.

تلعثمت قائلة بجدية:

- خليك عند أي حد اليومين دول وما تجيش ناحية بيتكم عقبال ما الموضوع يهدى، وزي ما قلت لك أمك واخواتك أنا هاخد بالي منهم كويس.
- كالعادة مش هاقول لك غير حاضر يا ياسمين.
أغلقت الهاتف فارتمت على الفراش بعينين مدمعتين، فقالت في نفسها "معقولة النهاية تيجي بالسرعة دي؟ لأ مستحيل! مستحيل أسمح لحاجة تقف في طريقي."

* * *

- أنا مش مستعدة أخسر ياسمين تاني يا مصطفى، ياسمين مش توأمي في الشكل وبس، ياسمين دي توأم روحي، مستحيل أسيبها تضيع نفسها.
قالتها سارة بصوتٍ باكٍ لمصطفى في محضر من والدته، فجلس واضعًا يده على وجهه، ينظر إليها طيلة حديثها بذهول حينًا وإشفاق حينًا، وصدمة حينًا آخر، وما إن أنهت كلماتها حتى انهمرت في البكاء، فنظر لوالدته نظرة فهمتها، فتنحنحت قائلة:
- هاقوم أعمل لك ليمون يا حبيبتي عشان تهدي.
خرجت فأغلقت الباب خلفها، وقف مصطفى سريعًا فجذبها إليه في رفق، فارتمت بين ذراعيه وانهمرت في البكاء..

من الصعب على أي رجلٍ أن يفهم أنه في لحظة ما لا تحتاج الأنثى سوى لأن يحتضنها ويطمئنها بدقات قلبه في صمت، ولكنه فهم ذلك، وحقيقة كان ذلك ما تحتاجه تمامًا، فظل يمسح على رأسها حتى هدأت، فنظر في عينيها مبتسمًا

فكفكف بيده دموعها قائلًا بحنان:

- أنا جنبك يا... صحيح قُلتِ لي اسمك إيه يا شاطرة؟

ابتسمت لطريقته المضحكة رغما عنها، فاحتضنها ثانية فقال بصوتٍ منخفض:

- إن شاء الله بكرة كل حاجة هتتغير ومش هاسمح لحاجة تبعدك عن أختك ولو مهما حصل...

* * *

استيقظت منال على صوت هاتفها، فأجابت بتثاقل:

- ألو.

- وحشتيني، بقى لي أكتر من 8 ساعات ما شُفتكيش.

ابتسمت فقالت بترقب:

- بدر!

- وانتِ كنتِ مع رجالة غيري ولا إيه يا مدام؟

- آنسة لو سمحت.

- عديها يا موني باعتبار ما سوف يكون بعد 29 يوم وحبة ساعات.

- هههههههه

- باقول وحشتيني.

نظرت في ساعتها فقالت بطفولية:

- دلوقتي؟

- هههههه شُفتي فاضل دقيقتين على الفجر، هتقولي لي باحبك ولا أقفل ولا إيه؟

- هههههه ما أنت قاعد.

- الله أكبر! لماضة بقى وكدا؟

- هههههه حرام عليك والله يا بدر أنا هاموت وأنام.

- بصي يا موني كدا ولا كدا فإنتِ فُقتِ، وأكيد مراتي حبيبتي مش هيهون عليها تنام وتسيب الفجر صح؟

ابتسمت بفرح قائلة:

- صح.

- ثانيًا برضه مراتي حبيبتي مش هيهون عليها تسيب جوزها حبيبها من غير ما تقول له اللي هيخليه مبسوط طول اليوم.

استحالت نبرتها إلى الحزن، فقالت بصوت منخفض:

- بدر! هو أنا عملت إيه عشان أستاهلك؟

ابتسم بحزن فتابع:

- أنا اللي عملت لك إيه عشان تخليني أحبك بالطريقة دي من أول مرة شُفتك فيها؟! منال! أنا باحبك.

ابتسمت بحزن، فتابع:

- باقول باحبك.

ضحكت رغمًا عنها فقالت:

- يعني أقولها دلوقتي وأضيع وقتي، ولا أقوم أتوضا الأول عشان ما اضيعش الفجر؟!

- هههههه مش سهلة.

ابتسمت بخجل فتابع:

- يلا يا موني صلي ونامي وإن شاء الله الصبح هاكلمك.

ابتسمت بحب فقالت:

- هاصلي وهاستناك، أنا مش عايزة أنام خلاص.

ابتسم بفرح ثم قال بخبث:

- طب أنا هاقفل عشان ما اتهورش.

- هههههههههه لالا خلاص وعلى إيه؟

- هههههه يلا يا حبيبتي، قومي اتوضي وإن شاء الله مش هاتأخر عليكِ، السلام عليكم.

- وعليكم السلام.

أغلقت الهاتف مبتسمة، فقالت في نفسها "أُمال اللي كنت باحسه ناحية مصطفى دا كان إيه؟ اللي متأكده منه أنه كان أي حاجة غير الحب.

ابتسمت بفرح فتابعت لازم أقول له إنه أول حب في حياتي زي ما أنا أول حب في حياته ... باحبك يا بدر باحبك قوي."

ثم نظرت - للمرة الأولى في هذا الوقت -إلى السماء قائلة بفرح:

- الحمدلله.

* * *

- ادخلْ.

قالتها سارة بصوتٍ منخفض، فدلف مصطفى مبتسمًا فاعتدلت في جلستها ليجلس أمامها مباشرة، فأخذ يدها بين يديه قائلًا بحب:

- مش اتفقنا ننام ونرتاح؟

- مش قادرة يا مصطفى، هاتجنن على ياسمين، أنا حاسة بيها، ياسمين مش بخير أبدًا، خايفة تكون عملت حاجة في ماما.

- للدرجادي أختك بتكره مامتك؟

- مصطفى! قلت لك ياسمين مش هي المجرم، ياسمين هي الضحية، ضحيتنا كلنا، أنا أخدت حياتي وحياتها، بس مش بمزاجي؛ أنا كنت طفلة وما كنتش أقدر أعمل لها حاجة، بس شيطان نفسها مفهمها إني عشت في نعيم من حقها، ودا اللي خلاها ترميني في طريق صحرا كانت عايزاني أتعذب قبل ما أموت.

وضع يده على فمها سريعًا قائلًا:

- بس يا سارة، ربنا يطول عمرك ويجعل يومي قبل...

- شششش بس يا مصطفى عشان خاطري، إن شاء الله نفضل صحبة لحد الجنة من غير فراق تاني.

ابتسم مصطفى بفرح، ثم اقترب منها ببطء، وفجأة دخلت والدته قائلة:

- ياسمين حبيبتي إنتِ ... إيه دا! بتعمل إيه هنا يا واد أنت؟!

زفر مصطفى بضيق قائلًا:

- كنت باحط لها قطرة زي فيلم أم العروسة كدا يا ماما بس ما لحقتش.

ضحكت سارة ومعها والدته، فقالت الأخيرة:

- أنا مش قُلت ما تدخلش هنا لحد الفرح؟

- الله! مراتي وباتطمن عليها يا مامتي، إيه الغلط في كدا؟ وبعدين قُلنا اسمها سارة بقى الله!

ضحكت سارة فنظر إليها بحب؛ فنظرت إلى أسفل بخجل، ابتسمت والدته

وقبل أن تتحدث، تلاشت بسمة سارة ووثبت من مكانها سريعًا واضعة يدها على فمها، فوقف مصطفى قائلًا بفزع:

- ما لك يا حبيبتي؟ فيه إيه؟

- مصطفى! هو انا نزلت قبل كدا من غير النقاب؟!

نظرت إلى الفراغ فتابعت بصدمة:

- أيوة، كنت بانزل فجر كل جمعة وكمان كنت باتكلم مع إمام المسجد كل مرة و ... وبدر صاحبك! بدر كمان شافني من غيره وأنت.

نظرت إليه فتابعت:

- أنت كمان شُفتني من غيره قبل كتب الكتاب، والله أعلم مين تاني شافني من غير نقابي؟

قالتها بصوتٍ مختنق، فارتمت على المقعد وانهمرت في البكاء واغرورقت عينا مصطفى بالدموع، ولكن ليس حزنًا، بل فرحًا بأن الله استجاب دعوته ورزقه بذات النقاب، وهو لا يعلم فجلس بجانبها واحتضنها، فابتسمت والدته واقتربت منها وأخذتها من بين يديه، فاحتضنتها بحنان وأخذت تمسح بيدها على رأسها حتى هدأت فقالت:

- بكرة الصبح هاروح أجيب لك نقاب يا حبيبتي.

كفكفت دموعها كالأطفال فقالت:

- مين هيحاسب؟!

ضحكت والدته، فقطب مصطفى حاجبيه مبتسمًا فقالت والدته:

- أكيد جوزك يعني.

نظرت إليه قائلة بخجل:

- يبقى تجيب لي إسدال بالمرة.

أغمض عينيه بفرح (غير مصدق) ثم مسح بيده على وجهه، فأدار وجهها ناحيته قائلًا بحب:

- كمان الحورية بتاعتي بتلبس إسدال؟

- وجوانتي كمان؟

- الله أكبر ... إنتِ إيه يا بنتي؟؟؟

ابتسمت بفرح قائلة:

- مش قولت أنا حوريتك؟!

قالتها مبتسمة ابتسامة سحرته، فابتسم ونظر إلى والدته قائلًا بمرح:

- إيه يا ماما؟

ضحكت والدته قائلة:

- إيه يا صاصا؟

- إيه يا قلبي مش سامعة بابا الله يرحمه بينده عليكِ؟

- هههههه ودا زي فيلم أم العروسة برضه؟؟؟

- لا دا زي فيلم همام في أمستردام يا روحي.

ضحكت والدته ونظرت سارة إلى أسفل مبتسمة، فوقفت والدته قائلة بضحك:

- طيب يا لمض هاروح أشوف أبوك الله يرحمه عايز إيه وراجعة.

وما إن خرجت حتى تبعها مصطفى متباطئًا، فأغلق الباب وعاد إليه ليجدها تنظر إلى أسفل بخجل، فاقترب منها قائلًا بخبث:

- كنا بنقول إيه بقى قبل ما ماما تدخل؟!

الفصل الثامن والعشرون

- صباح الخير يا ماما.

قالتها ياسمين بوجه مطفأ لوالدتها فوقفت والدتها فزعة وهرولت ناحيتها قائلة بخوف:

- ما لك يا سارة؟ عينك وارمة ليه؟ إنتِ كنتِ بتعيطي يا حبيبتي؟

زفرت ياسمين بضيق قائلة:

- ما فيش حاجة يا ماما.

- لا يا سارة إنتِ متغيرة قوي اليومين دول، طمنيني عليكِ يا بنتي.

قالت ياسمين بانفعال:

- جرى إيه يا ماما؟ هو كل ما تشوفيني تقولي لي متغيرة ومش متغيرة؟ أنا مرهقة شوية، فيها إيه دي؟

قالت والدتها بحزن:

- أيوة متغيرة، وأكبر دليل إن عمر صوتك ما عِلِي عَلَيَّ غير دلوقتي يا بنتي.

تلعثمت ياسمين بتوتر وهمت بالذهاب دون أن تتحدث، فاستوقفتها والدتها قائلة:

- ياسمين حصلها حاجة؟

نظرت إليها ياسمين بدهشة مجحوظة العينين، فتابعت والدتها ببكاء:

- عمرك ما بتبقي مضايقة للدرجاي ودموعك مش بتنشف غير عشان أختك، نفس الملامح كانت على وشك يوم ما رجعتِ من الملجأ من غير ما تعرفي حاجة عنها، ونفس حزن عينيكِ من يوم ما بعدت أختك عنك ... سامحيني يا بنتي، أنا غلطت غلط دفع تمنه إنتِ وأبوكِ.

أغلقت ياسمين الباب ثانية فهرولت إلى غرفتها وانهمرت في البكاء، أخذت تضرب بيدها على المقعد بقسوة، قائلة بانفعال باكية:

- غبية ... أنا غبية!!

ثم وقفت فجأة فكفكفت دموعها ونظرت إلى المرآة بذهول من تلك التي تقف أمامها مبتسمة، وبعد لحظات تعالت ضحكات الأخيرة فقالت "جاية تندمي دلوقتي يا ياسمين؟"

قالت بانفعال:

- أنا مش ندمانة على حاجة، اللي عملته فيهم يستاهلوه.

"لسَّا بتقنعي نفسك إن أختك مجرمة؟ لسَّا هتصدقي الكدبة يا ياسمين؟"

- لا مش كدبة دي الحقيقة سارة كان لازم تموت عشان أعرف آخد حقي

"سارة عملت إيه عشان تموت؟ سارة عمرها ما نسيتك، سارة دورت عليكِ لآخر لحظة، غضبك عماكِ وما قدرتيش تشوفي دموع الفرح اللي كانت في عينيها أول ما شافتك، وثقت فيكِ وفضلت جنبك وما همهاش خوفها من اللي هتعمليه فيها، كل دا عشان عايزة تصلح غلط مش غلطها وترجعك لحضنها تاني."

- بس بقى اخرسي، كفاية كفاية!!!

قالتها ياسمين ببكاء وانفعال، فأمسكت بكوب جوارها وألقته على المرآة فتهشمت، دلفت والدتها سريعًا إلى غرفتها بفزع لتجدها مستلقية على الأرض مغشيًا عليها، فهرولت ناحيتها قائلة ببكاء:

- سارة حبيبتي إنتِ كويسة؟ بنتي عشان خاطري ردي عليَّ ... سارة!

* * *

- سارة فين يا ماما؟

قالها مصطفى، وهو يدلف من باب الشقة بلهفة، فقالت والدته:

- في أوضتها.

هم بالذهاب سريعًا، فأمسكت بذراعه قائلة:

- رايح فين أنت؟

تلعثم قائلًا بتوتر:

- هـ... هديها الحاجات اللي طلبتها.

ضحكت قائلة:

- هات أنا هاوديهم لها.

قبل جبينها قائلًا بتوسل:

- بالله عليكِ يا ماما عشان خاطري عشان خاطري.

- شششش طيب بطل دوشة، توديهم لها وتخرج بسرعة.

قبل جبهتها قائلًا بفرح:

- هَوا.

دلف مصطفى إلى الغرفة مبتسمًا ابتسامة تلاشت سريعًا واستحالت إلى ملامح وجل حينما وجدها تجلس على فراشها، مخبأة رأسها بين يديها، منهمرة في البكاء، فألقى ما بيده سريعًا وهرول ناحيتها، فأنزل يديها بيده فنظر في عينيها مباشرة وما إن رأته حتى ارتمت بين ذراعيه فقالت ببكاء:

- وَحَشِتني قوي يا مصطفى قوي، هاموت وأشوفها.

مسح بيديه على رأسها قائلًا:

- طيب قومي البسي.

كفكفت دموعها بذهول قائلة بترقب:

- ليه؟

- عشان أنا مش هاسمح لحاجة تكون سبب دموعك مرة تانية، أنا في الدنيا دي عشانك إنتِ، أي حاجة عايزاها هاعملها لك، بس أستحلفك بالله بلاش دموع.

مسحت دموعها بفرح قائلة بصوتٍ هادئ:

- ربنا يحفظك ليَّ.

وضع يده على وجنتها قائلًا بحنان:

- ويديمك حاجة جميلة في حياتي، يلا يا حوريتي قومي البسي عشان ما نتأخرش.

قالها وهم بالوقوف، فأمسكت يده قائلة بحب:

- باحبك.

جذبها إليه، فقال بصوتٍ هامس:

- لازم نروح النهار دا قوي يعني؟

ابتعدت عنه سريعًا فقالت بخجل:

- بس بقى بدل ما أقول لمامتك.

- هههههه لا وعلى إيه؟ آسفين يا ريس.

* * *

فتحت عينيها بتثاقل، فوجدت نفسها مستلقية على فراشها وجوار فراشها بسطت والدتها سجادة صلاتها، وأخذت تصلي وتدعو الله بخشوع لدرجة جعلتها تسمع صوت نحيبها وابتهالها، ورغم أن والدتها لا تعرف حقيقتها إلا أنها

سمعت اسمها مرارًا وتكرارًا ،أخذ قلبها ينبض بضعف، ودموعها تنهمر، تحاول جاهدة كتم صوت بكائها؛ حتى لا يصل إلى والدتها صوت ضعفها ورغبتها الملحة في أن ترتمي بين أحضانها وتقول لها أنها لم تستطع ولن تستطيع أن تفعل ما قضت سنوات طوال في انتظار تحقيقه، وما إن أنهت والدتها صلاتها حتى كفكفت دموعها، فقالت بصوتٍ منخفض مختنق:

- تقبل الله يا ماما.

ابتسمت والدتها بفرح، فهرولت ناحيتها واحتضنتها بشوق، فأغمضت ياسمين عينيها وأخذت دموعها تنهمر من جديد، وهي تحاول جاهدة كتم صوت بكائها، وفي لحظة، كادت ياسمين أن تحتضنها هي الأخرى، ولكن تراجعت وابتعدت عنها، فكفكفت دموعها لتقول والدتها:

- حمد الله على سلامتك يا حبيبتي.

- الله يسلمك يا ماما.

- سارة...

وقبل أن تكمل رن هاتفها فأجابت:

- السلام عليكم ... أيوة أنا ... بجد ... اللهم لك الحمد ... مسافة السكة إن شاء الله ... تمام السلام عليكم.

أغلقت الهاتف قائلة:

- الحمد لله.

تلعثمت ياسمين بخوف قائلة:

- خير يا ماما؟

ابتسمت بفرح قائلة:

- قبضوا على العيال اللي سرقوا المحلات.

جحظت عينا ياسمين، وبعد فترة قصيرة أخذت تدير عينيها هنا وهناك بتوتر.
فقالت والدتها بحنان:
- إن شاء الله يا حبيبتي ساعة بالظبط ومش هاتأخر عليكِ.
قالتها والدتها وذهبت، فأخذت ياسمين هاتفها سريعًا واتصلت بأسامة لتجد هاتفه مغلقًا، فألقت هاتفها بغضب وضربت بيدها على المقعد جوارها، أخذها الوجل و الشرود بعيدًا، وبعد فترة طويلة استفاقت ثانية على صوت الباب فكفكفت دموعها وهرولت ناحية الباب، وما إن فتحته حتى حجظت عيناها، فقالت بعدم استيعاب:
- إنتِ مين؟
رفعت سارة لثامها، فعادت ياسمين خطوتين للخلف واضعة يدها على فمها، فابتسمت سارة بفرح لرؤيتها ثانية فدلفت، وجذبتها إليها، أخذت تمسح بيدها على رأسها قائلة:
- اللهم لك الحمد، كنت عارفة إن ربنا أرحم من إنه يأذيني فيكِ أو يفرقني عنك.
وإن منعت نفسها عن احتضان والدتها، فلم يمنعها قلبها عن ضم أختها بقوة وشوق، فبكت كثيرًا وكثيرًا، وأخذ صوتها يرتفع شيئًا فشيئًا، فسالت دموع سارة دون أن تتحدث، وكلما ارتفع بكاؤها ضمتها سارة إليها أكثر.

* * *

- يعني لسَّا ما وصلتوش للي دبر حادثة السرقة دي؟

قالتها والدة ياسمين للمحقق فقال الأخير:

- للأسف هربان وما حدش عارف مكانه، بس فيهم واحد دلنا على بنت كانت دايمًا تروح له الورشة وجاري الاستعلام عنها، وبإذن الله مش هيمر النهار دا غير وهي هنا، وأكيد هتعرّفنا مكانه، ما تقلقيش يا مدام.

- إن شاء الله خير.

*** * ***

الفصل التاسع والعشرون

- ماما دفعت تمن اللي عملته غالي قوي يا ياسمين، من أول ما اتجوزت وهي نفسها في ولد، وربنا أراد إننا نيجي بنات، وبعدها عرفت إن عندها مشاكل في الحمل، ويمكن دا اللي سبب كل الكره اللي كان في قلبها لينا وكان سبب قسوتها، بس بعد ما دخلتِ الملجأ ربنا أراد إنها تحمل خمس مرات وأول ما تعرف إن اللي في بطنها ولد يشاء ربنا إنها تسقط! فضلت على كدا لحد ما الذنوب هلكتها وما كانش قدامها غير إنها ترجع لربنا تاني، خصوصًا بعد ما مات بابا، وهو غضبان عليها، من يوم وفاته وهي واحدة تانية، وكأنها اتبدلت، وأول حاجة عملتها راحت الملجأ عشان ترجعك،

بس كان أستاذ علي دا أخدك والمدير القديم اتشال وما حدش رضي يعرفها حاجة عنه، وفضلت على كدا سنين وسنين ما تعديش شهر غير لما تروح الملجأ وتسأل عنك وعمرها ما يأست، ربنا سامحها وجعل لها فرصة تانية يا ياسمين، مين إحنا عشان نعاقبها أكتر من عقاب ربنا؟

كانت تستمع ياسمين بشيء من الذهول حينًا ومن الندم حينًا ومن الإشفاق حينًا آخر حتى أنهت سارة كلماتها، فارتمت ياسمين على الأرض أمامها قائلة ببكاء:

- سامحيني يا سارة، أبوس إيدك سامحيني!

جلست سارة على الأرض أمامها فكفكفت بيدها دموعها، ثم قالت مبتسمة بعينين مدمعتين:

- مين اللي يطلب السماح من التاني؟

ارتمت ياسمين بين ذراعيها فانهمرت في البكاء، سمعا صوت طرقات الباب فأنزلت سارة لثامها ووقفتا، فتحت ياسمين الباب فدلفت والدتها مبتسمة قائلة:

- حبيبتي عاملة إيه دلوق...

ولم تكمل، بل ثبتت مكانها فنظرت إلى عيني سارة بذهول، وما هي إلا لحظات حتى انهمرت في البكاء واقتربت منها ببطء، رفعت بيدها لثامها فابتسمت سارة بفرح فاحتضنتها والدتها بقوة وانهمرت في البكاء قائلة:

- أخيرًا يا ياسمين! أخيرًا شُفتك يابنتي اااااااه، اللهم لك الحمد.

نظرت ياسمين إلى سارة بخوف، فابتسمت سارة وأشارت لها بعينيها لتطمأن وابتعدت عنها، فكفكت سارة بيدها دموع والدتها قائلة بحنان:

- حبيبتي أنا...

ولم تكمل حينما دق جرس الباب، فأنزلت سارة لثامها ثانية وتقدمت والدتها ففتحت الباب، عادت ياسمين إلى الوراء بخوف فتقدم المحقق مقطب الحاجبين، فقالت والدتها:

- خير يا حضرة الظابط؟

قال المحقق بذهول:

- دا بيت الآنسة ياسمين؟!

نظرت والدتها إلى سارة بذهول ثم إلى المحقق، فقالت بخوف:

- خير يا حضرة الظابط!

قال بجدية:

- مطلوب القبض عليها.

جحظت عينا سارة ومعها والدتها، فوضعت ياسمين يدها على فمها وانهمرت في البكاء، فأمسكت سارة يدها بقوة فقالت بجدية:

- أنا ياسمين!

نظرت إليها ياسمين بذهول، فابتسمت إليها سارة ابتسامة عذبة ظهرت جلية في دفء عينيها، فسالت دموعها بغزارة حينما قال المحقق:

- هاتوها!

قالت ياسمين بهدوء:

- أنا مش هاقاوم، بس أستحلفك بالله مش عايزة حد يحط إيده عليَّ.

وفضلاً من الله وافق المحقق فهمّت سارة بالذهاب معهم، فأمسكت والدتها بيدها قائلة ببكاء:

- هتسيبينا تاني يا ياسمين؟

ابتسمت سارة قائلة بصوت منخفض:

- سامحيني يا أمي! سامحي ياسمين بنتك!

قالتها وذهبت، فارتمت والدتها على الأرض منهمرة في البكاء وجوارها ياسمين، التي لم تستطع كتم صوت بكائها فجذبتها والدتها إليها واحتضنتها بقوة قائلة بصوت مختنق:

- خليهم يحبسوني أنا، أنا المجرمة مش هي، قولي لهم إني السبب في اللي وصلت له يا سارة، قولي لهم ياخدوني مكانها يا بنتي.

وقفت فجأة، فكفكفت دموعها وأردفت بصرامة:

- مش هاسيبها تبات يوم واحد في السجن ولو هيبقى بموتي، كفاية قوي اللي استحملته بسببي، كفاية قوي.

استوقفتها ياسمين قبل أن تخرج قائلة بصوت مختنق:

- فعلا يا أمي كفاية قوي!

جحظت عيناها، فابتسمت ياسمين بانكسار قائلة:

- أيوة يا ماما أنا السبب في كل اللي حصل، أنا اللي حرقت المحل، وأنا اللي سرقت الغوايش، وأنا اللي دبرت لسرقة المحلات، وأنا اللي كانت خطوتي الجاية إني أقتلك ... أنا ياسمين!!!

* * *

- أنا عايز أعرف مراتي موجودة هنا بتهمة إيه؟

- اهدى لو سمحت يا أستاذ مصطفى ... اتفضل اقعد.

قال مصطفى بغضب:

- مش هاقعد غير لما أعرف مراتي هنا ليه؟

- المدام ياسـ..

ولم يكمل المحقق جملته حينما دق باب مكتبه فقال:

- ادخل

دلف العسكري قائلًا:

- تمام يا فندم، تم القبض على المتهم أسامة أحمد.

- دخله بسرعة.

دلف أسامة مكبلًا بالسلاسل الحلقية حول يديه، فنظر إلى سارة بحزن، قام المحقق ليقف جواره قائلًا:

- تعرف المدام يا أسامة؟

تلعثم أسامة، فنظرت سارة إلى أسفل بخوف ونظر إليه مصطفى بغضب، فتنحنح أسامة قائلًا بصوت منخفض:

- أيوة.

سالت أولى دموعها، فأمسك مصطفى بيدها ناظرًا في عينيها بخوف، فتابع أسامة:

* * *

الفصل الثلاثون (قبل الأخير)

- تعرف المدام يا أسامة؟

تلعثم أسامة فنظرت سارة إلى أسفل بخوف، ونظر إليه مصطفى بغضب، فتنحنح أسامة قائلًا بصوتٍ منخفض:

- أيوة.

سالت أولى دموعها، فأمسك مصطفى بيدها ناظرًا في عينيها بخوف، فتابع أسامة:

- تبقى مدام ياسمين صاحبة أكبر مخزن لقطع السيارات الخردة.

قال المحقق:

- صبيك قال إنها كانت دايمًا بتتردد عندك في الورشة بشكل يومي تقريبًا ودايمًا بينكم محادثات تليفونية.

نظر إليها أسامة طويلًا ثم قال بثبات:

- وإيه الغريب في كدا؟ أنا أغلب شغلي معاها على التليفون لأني ما اقدرش أسيب الورشة.

- بس صبيك قال إن حواراتكم وطريقة اتصالاتكم كانت دايمًا بشكل سري.

- حضرتك دا شغلي، وحواراتنا ما كانتش سرية ولا حاجة، بس زي ما حضرتك شايف، المدام منتقبة ولازم نبعد عن دوشة العمال والعربيات ونتكلم في هدوء؛ عشان نقدر نمشي الشغل.

نظر له المحقق بغضب فقال:

- يعني المدام ما لهاش أي علاقة لا بحرق ولا بسرقة المحلات؟

نظرت له سارة بخوف -يكاد يكون توسل بلغة العين- فتلعثم قائلًا:

- أنا معترف بكل حاجة حصلت ... أنا المسؤول الأول والأخير، ومدام ياسمين ما تعرفش أي حاجة عن اللي حصل.

ثم نظر إليها بثبات فقال:

- أنا آسف يا مدام إني حطيت حضرتك في وضع زي دا، يا ريت تسامحيني.

ابتسمت سارة بامتنان، وكذلك تنهد مصطفى بأريحية، فأمسك يدها بقوة ونظر إليها مبتسمًا ثم إلى المحقق بغضب قائلًا:

- أظن دلوقتي وجود ياسمين هنا ما لهوش أي معنى يا حضرة الظابط!

* * *

- سامحيني يا بنتي، خلي ربنا يرضى عني وأبوكِ كمان يسامحني.

قالتها والدة ياسمين لها بتوسل، فقالت الأخيرة بعد أن ارتمت على المقعد ببكاء:

- أسامحك ازاي يا ماما؟ قولي لي أسامحك ازاي؟ طيب حتى قولي لي أسامحك على إيه؟ على عذاب وحرمان 20 سنة؟ ولا على خدمتي وشقايا من وأنا عندي 5 سنين؟ أسامحك على جسمي اللي بقى هدف لكبير وصغير عايز يوصله وينهش فيه بأي طريقة؟!

أسامحك على بابا اللي كنت عايشة على أمل إني أشوفه تاني ومات بسببك؟! أسامحك على إيه بس؟

... بس ليه؟ ليه في قلبي رحمة ليكي رغم إني ما شُفتش منك غير قسوة وكره من يوم ما اتولدت؟ إنتِ تُبتِ طب وأنا؟

وحقي؟ ضاع عشان إنتِ ندمتي ورجعتِ لربنا بعد كل اللي عملتيه؟ خلاص يا ماما أنا وصلت لآخر طريقي، بس وصلت خسرانة كل حاجة، حتى انتقامي فشلت فيه وما عرفتش آخد حقي، أنا هاسلم نفسي للبوليس وهارجع لك سارة، واعرفي يا ماما إني عمري ما هاسامحك، عمري!

قالتها وهرولت ناحية الباب، تاركة والدتها في حالة صدمة، فتحت الباب لتجد سارة أمامها تنظر إليها مبتسمة، فجحظت عينا ياسمين وعادت إلى الخلف في ذعر، وبنفس التعبير وقفت والدتها، وبعد فترة حاولت ياسمين أن تخرج صوتها فقالت بصوتٍ منخفض:

- سارة!

* * *

وبعد مرور أربعة شهور...

- وحشتيني قوي.

- وانت وحشتني يا مصطفى، طمني عليك!

- باموت من غيرك يا سارة، مش قادر أستحمل بعدك أكتر من كدا.

- حبيبي! خلاص فات الكتير ومابقاش إلا القليل خاالص أهو.

- سارة! أنا من يوم ما شُفتك ما بعدتيش عن عيني ولا يوم، كان المفروض تبقي مراتي من 3 شهور، دا بدر اتجوز ومنال حامل أهي، وأنا لسَّا باحضن في المخدة لحد دلوقتي.

- هههههههه يا نهاري! جوزي عسل يا ناس.

- لو شُفتِ اللي أنا فيه دلوقتي مش هييجي لك قلب تضحكي.

- حبيبي ما كانش ينفع أسيب ياسمين في الحالة اللي كانت فيها وأتزوج، كان لازم أتطمن عليها الأول؛ عشان أقدر أبعد وأنا مش قلقانة.

- وأنا مقدر دا واستحملت بعدك عني 4 شهور كاملين، ومش مصدق إن خلاص همَّ يومين وهتبقي معايا لوحدي.

قالت بغضب طفولي:

- بس بقى يا مصطفى.

ضحك رغمًا عنه قائلًا:

- خلاص خلاص سكتت أهو، سيبك من النظري خالص ... نمشيها عملي طيب؟

- مصطفى...

- خلاص خلاص، آسفين يا ريس.

- أنت رخم أقسم بالله.

- هههههه آسف يا حوريتي.

- خلاص يا قلبي تقبلته.

- هههههههه

- ماما عاملة إيه واحشاني قوي؟

- هتتجنن يا ستي، بقالها يومين ما شافتش بنتها!

- يا حبيبتي!! والله يا مصطفى نفسي آجيلها كل، يوم بس باخاف.

- بتخافي! من إيه؟

زفرت سارة قائلة بضيق:

- اللهم طولك يا روح.

ضحك مصطفى قائلًا:

- أنا عملت لك حاجة لسَّا يابنتي إنتِ؟

- أنا هاشرح ومش مضطرة إني أشرح.

ضحك مصطفى عاليًا، فأردفت:

- نسيت اللي عملته آخر مرة جيت أشوفها يا أستاذ أنت؟
- وانا مالي! مش هي اللي راحت تشوف منال من غير ما تقول لي، وبعدين الحياة فرص بصراحة.

قالت بطفولية:

- باكرهك بقى هه!
- هههههههه طب والله ما رادد.
- على فكـ... إيه دا؟!
- إيه يا حبيبتي؟
- مش عارفة، صوت ماما وياسمين عالي هاروح أشوف فيه إيه!
- هتسيبيني؟
- باقول لك صوتهم عالي، تقريبًا مناقشة حادة عنيفة غليظة.
- طب خلاص خلاص إيه كل دا! ربع ساعة وهاكلمك تاني.
- ماشي يا حبيبي، السلام عليكم.
- وعليكم السلام .

أغلقت سارة الهاتف وخرجت سريعًا إلى غرفة المعيشة لتجد ياسمين تجلس على المقعد غارقة في الضحك، تعبث بهاتفها، وبجوارها تقف والدتها تنظر إليها بغيظ فقطبت سارة حاجبيها قائلة:

* * *

الفصل الحادي والثلاثون

(الأخير)

أغلقت سارة الهاتف وخرجت سريعًا إلى غرفة المعيشة لتجد ياسمين تجلس على المقعد غارقة في الضحك، تعبث بهاتفها، وبجوارها تقف والدتها تنظر إليها بغيظ فقطبت سارة حاجبيها قائلة:

- إيه يا ماما؟ صوتكم عالي ليه؟

قالت والدتها بغيظ:

- تعالي يا سارة شوفي أختك عشان أنا غلبت فيها.

ضحكت سارة رغمًا عنها لضحك ياسمين فقالت:

- عملتِ إيه يا لمضة؟

وقفت ياسمين قائلة (بعينين مدمعتين من فرط الضحك):

- ما فيش يا ساسو، أصل أمك جايبة لي عريس، لأ ومين؟! ابن طنط تفيدة روحي روحي روحي.

ضحكت سارة فنظرت إلى والدتها قائلة:

- تاني يا ماما؟ طنط تفيدة تاني؟

قالت والدتها بغيظ:

- أنا مش عارفة انتو واخدين منها موقف ليه انتو الاتنين؟

تابعت سارة:

- يا قلب سارة والله لا موقف ولا حاجة، بس مش معنى إنها صاحبتك وابنها مهندس يبقى لازم واحدة فينا تتجوزه، وطنط تفيدة مش قادرة تفهم نقطة زي

دي.

- يابنتي ودا عيبه إيه بس؟ عارفة يا سارة! أختك لو تديني سبب للرفض هاقول ماشي، بس دي نسخة كربون منك، بتقعد تضحك وبس زي ما شُفتِ.

نظرت سارة لياسمين لتجدها شاردة، فتلعثمت قائلة:

- يا ماما يا حبيبتي، لا مهم هو مين ولا ابن مين ولا أصله إيه ولا بيشتغل إيه، قد ما مهم أخلاقة وعلاقته بربنا، وأكيد دا سبب رفضها.

- يا سارة، اتقدم لها الشيخ اللي بيحفّظها قرآن في المعهد اللي راحته الشهر اللي فات، وبرضه رفضت حتى إنه يتقدم! مش عارفة فيه إيه؟

وقفت ياسمين قائلة بصوت منخفض:

- أستحلفك بالله يا ماما تنسي موضوع الجواز دا دلوقتي خالص، على الأقل لحد ما نتطمن على سارة، بعد إذنكم.

قالتها ودلفت غرفتها، فقبّلت سارة يد والدتها قائلة:

- أنا هادخل لها أتكلم معاها يا ماما ما تقلقيش.

- نفسي أتطمن عليها يا سارة قبل ما أموت.

- ربنا يديكِ الصحة وطولة العمر يا ست الكل.

ابتسمت والدتها، فذهبت سارة وطرقت باب غرفة ياسمين، فدلفت لتجدها تنظر من النافذة بشرود، فأغلقت الباب وذهبت فوقفت جوارها تنظر للخارج، وبعد فترة، ابتسمت سارة بخبث قائلة:

- بتحبيه للدرجادي؟

انتبهت ياسمين على جملتها، فتلعثمت بتوتر قائلة (مقطبة الحاجبين):

- هو ... هو مين دا؟

نظرت لها سارة مبتسمة، فربتت على يدها قائلة بحنان:

- احنا روح واحدة يا ياسمين وما حدش هيحس بيكِ أكتر مني.

زفرت ياسمين بأريحية فجلست، وجلست أختها إلى جوارها، فأدارت وجهها ناحيتها قائلة مبتسمة:

- حد من المعهد؟

تلعثمت ياسمين قائلة بتوتر:

- لأ.

- أُمال عرفتيه منين؟

- كان ... كان واحد من زباين الكباريه!

وقفت سارة بذعر، فوقفت ياسمين سريعًا قائلة:

- عارفة إنك مش بتحبي تسمعي السيرة دي يا سارة، بس هي دي الحقيقة إنه كان من زباين الكباريه، واللي مستعدين يدفعوا اللي وراهم واللي قدامهم عشان يوصلوا لي حتى ولو غصبًا عني.

وضعت سارة يدها على فيها، بعد أن شهقت شهقة فزعت على إثرها ياسمين فتلعثمت، وهي تتابع:

- ما قدرش يأذيني، وبعد ما كنت بين إيديه وفي أوضته سابني أمشي يا سارة، لو بمزاجي مش هاكره حد قده، بس أنا كل حاجة تقريبًا في حياتي اتغيرت إلا ... إلا حبي ليه، كنت زمان باعاند وباقول أنا مستحيل أحب، بس دلوقتي خلاص ما اقدرش أعاند، والله غصب عني بس مش بانساه.

وضعت سارة يدها على وجنة ياسمين قائلة بحنان:

- ومش هتقدري تنسيه غير لما تسمحي لغيره يسكن قلبك.

- هتصدقيني لو قلت لك مش عايزة؟

- ما ينفعش نعلق قلوبنا بغير ربنا يا ياسمين، إنتِ كدا بتخوني الإنسان اللي

ربنا كاتبهولك واللي ما حدش يعلم بيه إلا الله.

- لا لا، أعوذ بالله.

- يبقى توعديني لو اتقدم شاب متدين تدي فرصة لقلبك إنه ينسى ويبدأ من جديد، وانك ما ترفضيش ولا تاخدي أي قرار قبل ما تصلي استخارة الأول.

احتضنتها ياسمين قائلة (مبتسمة بحزن)

- أوعدك يا سارة.

* * *

دلف مصطفى إلى المسجد، فوجد نور مكتب بدر مطفأ ليعلم أنه لم يأتِ بعد، فأقام صلاة العشاء وجلس يقرأ القرآن ويعيد حفظ ورده اليومي، حتى وجد من يضع يده على كتفه، فنظر إليه مبتسمًا قائلًا:

- اتأخرت ليه يا خالد؟

جلس خالد قائلًا:

- ماما كانت عندي في البيت، قالت يا هارجع معاها يا هتقعد معايا، وأنا طبعًا مستحيل أرجع لأي حاجة خاصة بحياتي القديمة تاني.

- يعني هتقعد معاك؟

ضحك خالد بسخرية قائلًا:

- ماما كانت فاكرة إني مش هاقبل عليها إنها تسيب العز اللي عايشه فيه فهارجع معاها، وطبعًا لما رفضت مشيت تاني، بس مش مهم أي حاجة غير إنها مشيت راضية عني.

تلعثم مصطفى فقال:

- بس أنت أكيد مش هتفضل طول عمرك وحيد؟

فهم خالد ما يرمي إليه مصطفى، فنظر إلى أسفل دون أن يتحدث، فتابع مصطفى:

- ما وافقتش على العروسة اللي بدر قال لك عليها ليه؟ قال لي إنها متدينة ومنتقبة ومحترمة، بس انت رفضت حتى تشوفها!

نظر إليه خالد قائلًا بجدية:

- أنا قلت له إني مش بافكر في الجواز دلوقتي.

- يا خالد انت داخل على الـ 30 سنة، يعني ما ينفعش تقول لسَّا مش بافكر في الجواز دلوقتي؟

قال خالد (بشفتين مرتعشتين) بصوتٍ مشرف على البكاء:

- بالله عليك يا مصطفى تقفل الموضوع دا لو ليَّ خاطر عندك.

- مش هينفع توقف حياتك على واحدة ممكن ما تشوفهاش تاني.

- ويمكن أشوفها!

- ولو ما حصلش؟

وضع خالد وجهه بين يديه دون أن يتحدث، فتابع مصطفى:

- خالد! فكر بعقل شوية.

مسح خالد بيده على وجهه قائلًا:

- أنا مش هاتجوز واحدة أظلمها معايا يا مصطفى، مش هاتجوز واحدة، وأنا عارف إن قلبي مع غيرها!

- خالد...

- أستحلفك بالله كفاية يا مصطفى، وما تتكلمش في الموضوع دا تاني.

* * *

مر اليومان، وجاء مساء يوم الخميس، استعد الجميع للزفاف الذي أقامه مصطفى غاية في الجمال والمثالية، وفي قاعة الشباب، حيث يوجد مصطفى وإلى جواره أصدقاؤه يتضاحكون حينًا ويتحدثون بالجد حينًا ويتغامزون حينًا آخر، تقدم بدر منه قائلًا:

- إيه يا مصطفى! خالد اتأخر ليه؟

- مش عارف يا بدر، دا أنا مأكد عليه ييجي بدري.

- طيب أنا هاروح أكلمه أشوفه بقى فين.

- طيب استنى أنا هاجي معاك .

- هي رحلة؟ خليك مع الشباب ما ينفعش تسيبهم، خصوصًا إن ما فيش شبكة هنا خالص، هاخرج أكلمه من برا.

- تمام ماشي.

* * *

- عقبالك يا ياسمينة.

ابتسمت ياسمين بتكلف قائلة:

- ربنا يخليكِ يا طنط تفيدة.

- يا اخواتي على كلمة طنط! طالعة من بؤك زي العسل.

- لا والله!

قالتها ياسمين دون تفكير، فضحكت والدتها رغمًا عنها، فوكزتها في ذراعها قائلة بضحك:

- أبوس إيديك عدي الليلة دي على خير.

- إنتِ مش شايفة اللي بتقوله يا ماما؟ مستفزة! آل يعني عمر ما حد قال لها يا تنت قبل كدا.

- هههههه طب اسكتي يا بتاعة تنت عشان أختك جاية ... أميرتي سايبه أصحابها ليه؟

ابتسمت سارة ثم قالت لياسمين:

- أنا يابنتي مش قلت لك ما تبعديش عني؟

- قُلت أسيبك مع أصحابك يا ساسو.

- أنا مش عايزة غيرك جنبي.

- حاضر.

- واتفضلي تليفونك نسيتيه ع التربيزة يا مسطولتي.

أخذت ياسمين هاتفها ونظرت فيه قائلة:

- حد اتصل؟

- فيه رقم حاول يكلمك أكتر من مرة، بس ما فيش شبكة.

- اشطا هاخرج أكلمه من برا ... خماري فين؟

- هتلاقيه في حاجتي جوا.

- اشطا برضه.

قبلت وجنة أختها قائلة:

- مش هاتأخر عليك يا جميل.

قالت والدتها:

- استني يا ياسمين، خدي حد معاكِ يا بنتي.

قالت ياسمين بمزح:

- كُلي عيش يا ماما الله يسترك.

ضحكت سارة عاليًا ومعها والدتها، فاستأذنت ياسمين وذهبت، فارتدت خمارها وخرجت، وفي نفس لحظة خروجها دلف خالد من بوابة استقبال القاعة يتحدث في هاتفه:

- خلاص يا بدر والله وصلت، ادخل أنت خليك جنب مصطفى وأنا ... أووووووه.

قالها حينما اصطدم بها فوقع هاتفه على الأرض، فمالت لتأخذه وأعطته إياه دون أن تنظر إليه وأكملت طريقها، أما هو فوقف مجحوظ العينين تائهًا، وكأنه في عالم آخر، لا ينسى تلك الملامح حتى وإن زينها الحياء، ولا ينسى ذلك الوجه حتى وإن تجمَّل بالخمار بدلاً من مساحيق التجميل، ولا ينسى تلك العيون الساحرة حتى وإن تلاشت زينتها؛ ليصبح عسلها فقط ما يزينها، استدار فلم يجدها فهرول ثانية إلى الخارج، ليجدها واقفة معطية إياه ظهرها، ولكنه لم يقترب حينما سمع صوتها العذب فترك أذنه ترتوي بعذوبة صوتها، وكأنه لا يستوعب شيئًا مما حوله كالحلم تمامًا، فأغمض عينيه ليسمعها:

- بتهزري يا نيرة؟ أنا مش قادرة أستوعب يعني إيه إنتِ وشادي ... معقول يا بنتي! أحسن حاجة إنك هتقعدي من الشغل... مش هاقدر آجي الفرح بس إن شاء الله هاقنع ماما تخليني آجي أشوفك ... آه يا اختي ... هههههه ماشي يا حبيبتي ... سلام.

واستدارت فدلفت قاعة النساء، وفي القاعة المجاورة حيث يوجد خالد...

- يا بدر قلت لك خمس دقايق وهادخل ... شدتني ليه؟

- خمس دقايق إيه يابني أنت مجنون؟ أصلًا كنت واقف برا ليه؟

- بدر! بالله عليك سيبني أخرج عشان خاطري.

- خالد! ما تجننيش بقى.

- يا ابني...

- إيه صوتكم عالي ليه؟

قالها مصطفى مبتسمًا، فابتسم خالد واحتضنه بقوة قائلًا:

- ألف مبروك يا حبيبي.

مسح مصطفى بيده دموع خالد، فابتسم قائلًا:

- أنا عمري ما هاسيبك ما تخافش.

- بجد؟

- والله بجد ... قل لي بقى اتأخرت ليه؟

قال بدر:

- خرجت لقيته واقف برا سرحان وفي دنيا تانية.

قطب مصطفى حاجبيه قائلًا:

- واقف برا!

تلعثم خالد قائلًا بلهفة:

- مصطفى! عايز أسألك على حاجة.

- اتفضل.

- فيه ... فيه بنت شُفتها برا وعايز أعرف مين دي؟

- بنت!

- أيوة بنت مخمرة وعيونها ... عيونها عسلية.

نظر بدر لمصطفى مقطب الحاجبين، فنظر مصطفى إلى خالد قائلًا بترقب:

- بنت عيونها عسلية! ...ممكن تكون ياسمين!

جحظت عينا خالد بصدمة لدرجة أنه سقط على المقعد، ثم انهمر في البكاء

دون أن يشعر بنفسه ولا بمن حوله، فجلس مصطفى جواره قائلًا بخوف:

- حبيبي ما لك؟

"ياسمين! إزاي؟ إزاي ياسمين هنا؟ إزاي بقت كدا؟ طيب ومصطفى يعرفها منين؟ ممكن تكون دي عروسته؟ أيوة ياسمين لابسة أبيض! بس لو عروسته هتخرج إزاي وتسيب القاعة! أُمال ... أُمال عرفها أزاي؟"

وقف خالد قائلًا بصوت مختنق:

- وانت تعرف ياسمين منين؟

- ياسمين تبقى أخت مراتي ... أنت اللي تعرفها منين؟!

نظر له بدر مذهولًا قائلًا:

- خالد بس لا تكون ياسمين هي نفسها...

نظر خالد إلى أسفل بدموع مترقرقة في عينيه، وبعد أن تسربت إلى وجهه بسمة فرح نظر إليه مصطفى مبتسمًا، قائلًا بصوت منخفض:

- معقول!

* * *

- مش قادرة أعيش من غيرك يا سارة.

- حبيبتي بالله عليكِ تبطلي عياط، ما تقلقنيش عليكِ عشان خاطري.

- مصطفى دا وحش وانا بجد زعلانة منه، أخدك مني تاني يا سارة.

سالت دموع سارة، فتابعت ياسمين:

- والله لو كنتِ في مصر كنت جيت لك واللي يحصل يحصل... لا، كمان آخدك

السعودية عشان ما اعرفش أشوفك!

كفكفت سارة دموعها قائلة:

- طب بصي! عدي على صوابعك 8 أيام وهتلاقيني قدام عيونك.

قالت بصوتٍ باكٍ:

- ترجعي لي بالسلامة يا حبيبتي.

- خلي بالك على نفسك.

- إن شاء الله، وانتِ كمان.

- إن شاء الله، يلا يا قلب سارة، السلام عليكم.

- وعليكم السلام .

أغلقت ياسمين الهاتف فكفكفت دموعها، ثم خرجت لتجد والدها تدلف من باب الشقة، فابتسمت قائلة:

- حمد الله على سلامتك يا حبيبتي.

تقدمت ياسمين فقبّلت يدها، فربتت والدتها على رأسها قائلة:

- إزيك يا حبيبتي؟

- الحمدلله يا ماما، اتأخرتي ليه بقى؟

- فيه موضوع كدا أخرني شوية.

- خير؟

- طيب، هاغير وأخرج أحكي لك.

- تمام عقبال ما أحط الغدا.

وبعد أن وضعت ياسمين الأطباق على المائدة، وبعد أن بدلت والدتها ثيابها، جلست كلتاهما على المنضدة حيث تنحنحت والدتها، فقالت:

- فيه عريس جه المحل النهار دا.

- ألف مبروك يا بطة.

- ياسمين! ممكن تبطلي تهريج.

تلعثمت ياسمين وتلاشت بسمتها، فمسحت على وجهها لتتابع والدتها:

- والله يا بنتي شاب زي الفل ومتدين فوق ما تتخيلي وقمة في الأدب والاحترام.

لحظتها تذكرت ياسمين كلمات سارة "ما ينفعش نعلق قلوبنا بغير ربنا يا ياسمين، إنتِ كدا بتخوني الإنسان اللي ربنا كاتبهولك واللي ما حدش يعلم بيه إلا الله ... يبقى توعديني لو اتقدم شاب متدين تدي فرصة لقلبك إنه ينسى ويبدأ من جديد، وأنك ما ترفضيش ولا تاخدي أي قرار قبل ما تصلي استخارة الأول" فقالت بصوتٍ منخفض:

- حد أنا أعرفه؟

ابتسمت والدتها قائلة:

- يبقى محفظ قرآن في المسجد الكبير.

- ودا شافني فين دا؟

- لما كنتِ بتروحي مع سارة تصلي الجمعة في المسجد، سأل عليكِ وجا لي النهار دا.

تذكرت ياسمين خالد بكل ما حدث في ذلك اليوم الذي أطلق فيه سراحها بتعابير وجهه البائسة الحزينة، فاغرورقت عيناها بالدموع ولكنها استجمعت كلماتها فقالت:

- خلاص يا ماما هاشوفه إن شاء الله، وبعد صلاة الاستخارة اللي فيه الخير يقدمه ربنا.

- إن شاء الله جاي يوم الخميس

- خلاص يا ماما تمام.

ومرت الأيام، وجاء يوم الخميس وجاء محفّظ المسجد إلى البيت بمفرده، فجالس والدتها، وبعد فترة، خرجت ياسمين محضرة القهوة، فلم ينظر إليها ولم تنظر إليه، فقط وضعت القهوة أمامه وجلست في هدوء، فاستكملت والدتها حديثها معه، وبعد فترة استأذنت وجلست تقرأ في كتاب الله على مسافة ما في نفس المكان، فرفع عينيه، ونظر إليها مبتسمًا قائلًا:

- كنت متأكد إن ربنا هيستجيب دعوتي ويرجعك ليَّ تاني.

وقفت ياسمين محجوظة العينين تسيل دموعها لا إراديًا فور رؤيته، وظلت هكذا تنظر إليه في ذهول وينظر إليها مبتسمًا، وبعد فترة سمع صوتها قائلة بصوتٍ هامس:

- خالد!

* * *

وبعد مرور عشرة أيام

لقد أعادني خيطي إلى الله ثانية يا أبي، حقيقة أنا لم أبتعد لأعود!!

ظننت أنني أحفظ نفسي عن الحرام وأنسج خيطًا وثيقًا بيني وبين ربي، ولكنني تناسيت يا أبي أن الزنا بالنظر ولم أغضض بصري يومًا، وكذلك الزنا باللمس، وقد طُبعت قبلات لا تحصى فوق يدي، ولم أكترث يومًا أيضًا، وتعطّرت فَفُتن بي من فُتن، وكُتب في صحيفتي زانية ولم أعد أدراجي يومًا، فلم يكن خيطي جسدي أبدًا .. بل كان قلبي!!

أتذكر قول النبي صلّ الله عليه وسلم " ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ؛ ألا وهي القلب"

فصلحت مضغطتي ففزت ورب الكعبة، حتى وإن لم يصلح جسدي أبدًا..

فبقى قلبي معلقًا بالله ولم يبتعد يومًا يعلم برحمته ذلك بيقين لم يخالطه ظن، فرجعت إليه بقلبي فأصبتُ الرجعة!!

كثيرات هن من يحصنّ الجسد دون القلب، ولكن دون جدوى .. فلن يفلح إلا من أتى الله بقلبٍ سليم"يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم .. "

أرأيت يا أبي؟ لقد أنعم الله عليّ بحفظ نصف كتابه الكريم في أربعة أشهر فقط، وسأتزوج وسأتمم ختمه على يد زوجي قرة عيني، فقد منّ الله عليّ بقلب زوجي، الذي لم أتمنَ غيره زوجًا في يوم، فكتبه الله لي بعد أن تركني ليُعيدَه لي محمديًا في خلقه وأفعاله، أدامه الله لي معلمًا قبل أن يكون زوجًا، فسيتوج والديه يوم القيامة بحمله لكتاب الله في قلبه قبل عقله، مثلما سأفعل معك تمامًا ووالدتي...

أريد أن أخبرك أنني أحب والدتي، وكأنني لم أتركها يومًا، فتاب الله عليها فتابت؛ فأحبت الله فأحبها وأحبها جبريل بأمرٍ من الله عز وجل، فوضع لها القبول في الأرض، فأحبها الناس وتعلقت بها وبقلبها الحنون، فاغفر يا أبي!!

والله لو رأيتها لتمنيتها عروسًا في الجنة..
لم أنسَ الله يوماً ولم يبتعد عن قلبي برهة، حتى وإن تملكني العند سنواتٍ طوال، ولكن على أية حال لم أجد لي ملجأ سوى في رضاه، ولم أجد لذة سوى مناجاته، ولم أجد كذلك لي جليسًا سواه في يوم .. وكفى بالله جليسًا!

فظللت على العهد يا أبي، وأعدك بأنني سأبقى إلى أن نلتقي في فردوسٍ أعلى يليق بك.. !

أغلقت ياسمين كشكولها فكفكفت دموعها، ثم وضعته ببطء إلى جوار قبر والدها، وأخذت تتأمل حروف اسمه المنقوشة فوق قبره، ودموعها تتسارع فوق وجنتيها إلى أن وجدت يديها تمسح عبراتها بحنو، فابتسمت سارة قائلة:

- وعدتيني مش هتعيطي، خالد لو عرف إني سبتك تعيطي هيزعل مني أنا، ينفع كدا؟؟

كفكفت ياسمين أدمعها ثم ابتسمت قائلة:

- خلاص ما فيش دموع أهو.

- أيون كدا.

ابتسمت ياسمين بحب، فأردفت الأخرى بمرح:

- ماما كلمتني وبتقول الكوافير بعت بنوتة البيت وزمانها على وصول، يلا بينا بقى عشان ما نتأخرش.

نظرت ياسمين ثانية إلى قبر والدها بعينين مدمعتين، ثم التقطت وردات كثيرة جوارها لتندى بدموعها، ثم وضعتها إلى جوار أوراقها فوق قبر والدها ثم .. رحلت!!

* * *

وفي مساء اليوم ذاته...

دلفت ياسمين جنتها الصغيرة، تنظر إلى أسفل مبتسمة بخجل، فأغلق خالد الباب خلفه ووقف أمامها مباشرة، فرفع وجهها بيده وظل هكذا ينظر في عينيها بشوق وفرح، ثم أغمض عينيه واقترب منها، فقبّل جبهتها ثم وضع يده

على رأسها، فقال متمتمًا "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَمِنْ شَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ" وما إن فرغ حتى قبّل جبهتها ثانيةً، فنظرت إلى أسفل بخجل، فابتسم قائلًا:

- باحبك.

نظرت إليه بعينين تنيرهما الدموع، فقال هامسًا:

- يلا ادخلي اتوضي خليني أصلي بيكِ.

ابتسمت قائلة بصوتٍ منخفض:

- حاضر.

وبالفعل ذهبت فتوضأت وعادت إليه، وبعد أن فرغا من صلاتهما استدار إليها، فابتسمت ونظرت إلى أسفل فأخذ يدها بين يديه وأخذ يسبح ويكبر ويوحد على أصابعها الصغيرة، وهي تتمتم خلفه، وما إن فرغ حتى اقترب منها فقبل وجنتها فاحمرتا سريعًا، وقامت فهرولت إلى غرفتهما فوقفت أمام النافذة تفرك أصابعها بخجل، فاقترب منها محاوطًا ظهرها بيديه فارتعش جسدها وأغمضت عينيها حينما اقترب من أذنها هامسًا:

- وعدتك في يوم من الأيام إن ما حدش هيلمسك غيري، ومرت الأيام وكل حاجة اتغيرت في حياتنا: المكان، والزمان، والناس، والظروف، وفضلتِ إنتِ رغم كل حاجة على عهدك مع باباكِ، وفضلت أنا كمان على عهدي معاكِ ولحد الجنة هنفضل على العهد يا حوريتي...

كمّلت..

* * *

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©
لدار بنت الزيات
المشهرة قانونًا بسجل تجاريّ رقم / 49351
الجيزة دائري - نزلة شارع القومية العربية - برج النور - الدور 8

دار بنت الزيات للنشر والتوزيع :Facebook Page

E_mail: bentelzayat1@gmail.com

Website: www.bentelzayat.tk

Tel.: 01066736765